

الصحيح من الأثر في

خطب أمير المؤمنين

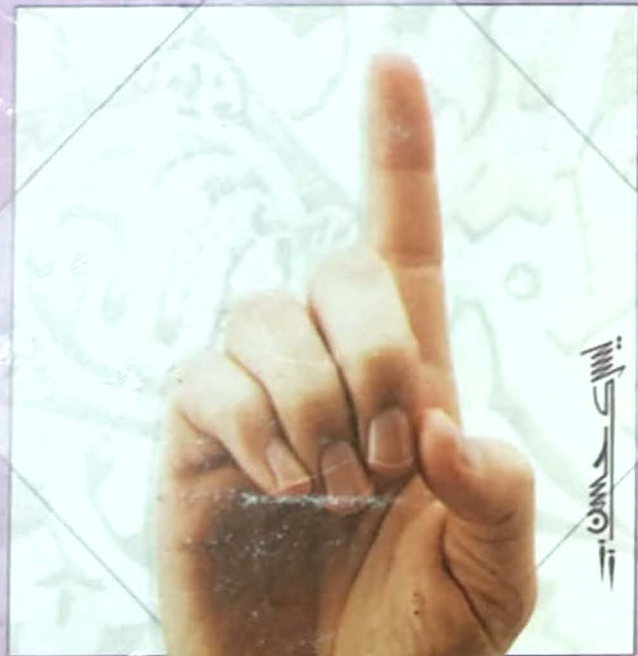
الجزء الثالث

٣

تأليف

أبي محمد القاسم بن عبيد الله بن محمد بن عيسى بن عمار السمرقندي

عفا الله عنه



دار الأيمان

دار الأيمان
الإسكندرية

الصَّحِيحُ مِنَ الْأَثَرِ فِي

حِطِّ الْأُمَّةِ بِرَأْسِهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اسم الكتاب: الصحيح من الأثر في خطب المنبر ج ٢

إعداد الشيخ: فيصل العائدي

رقم الإيداع: ٢٠٠٥/٢٠١٧

نوع الطباعة: تون واحد

عدد الصفحات: ٣٠٠

القياس: ٢٤×١٧

محموظة
جميع الحقوق محفوظة

تجهيزات فنية:

مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية

اعمال فنية وتسميم الغلاف: يسرى حسن

٢٠١٧

الجزء الثاني

١٧ شارع خليل الخياط - منطقتي كحل - الإسكندرية
تلفاكس: ٥١٥٧٢١٩ - ٥١١٦٦٩١

١٩ شارع خليل الخياط - منطقتي كحل - الإسكندرية
تلفاكس: ٥١٥٧٢١٩ - ٥٢٢٢٠٠٢



dar.al-aiman@hotmail.com

دار الإيمان المتحدة

مجمع منشورات دار الإيمان - شارع منارة من تونج العبدية
مبنى رقم ١٠٠ - شارع منارة من تونج العبدية - حارة

جوال: ٧٧٥٢٠٩٩٣٥

الصَّحِيحُ مِنْ الْأَشْرَفِي

حِطَّةُ الْأَطْبَائِبِ

الجزء الثالث

تأليف

أبي عبد الله فضيل بن محمد قاتر الأشرفي

عفا الله عنه

دار الإحياء

رقم الترخيص: ٥١٥٧٦٩

دار القبية

رقم الترخيص: ٥١٥٧٦٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.
 أما بعد، فهذه المجموعة الثانية من كتابي: «الصحيح من الأثر في خطبة المنبر».
 جاءت تلبية لرغبة بعض زملائي طلبة العلم، فإنهم أهدقوا بي من كل جانب،
 فما وسعني إلا أن أحفظ العلم ببذله، ولا أضنَّ به على أهله.
 وقد راعيت فيه السهولة واليسر، فمن السهل سرُّ الأدلة في الموضوع الواحد،
 وأضعب من ذلك اختيار الأدلة التي تفرغ سمع السامع وقلبه، حتى يصل معها إلى
 درجة من الإقناع والإفهام.

ومن طريف ما يُذكر: أن الحليل بن أحمد رحمته سُئِلَ عن مسألة، فأطرق⁽¹⁾
 ملياً⁽²⁾، فتعجَّب السائل، وقال له: «إن هذه المسألة لا تحتاج لكل هذا!».

فقال الحليل: «قد علمتُ مسألتك، وعلمتُ جوابها، ولكنني أفكرُ في جوابٍ
 أسرع لفهمك، فأعياي ذلك».

وهذه قضية عيّن حصلت لشخصٍ قد علم حاله، فكيف إذا اجتمعت طبقات
 الناس على اختلاف مشاربهم في صعيد واحد؟!، لا شك أن ذلك يستدعي ارسال

(1) أطرق: سكت.

(2) ملياً: وقتاً طويلاً.

نواظِرِ البَحْثِ فِي حُسْنِ العَرَضِ؛ فَرَبٌّ بليغٌ غَيْرُ مُبْلِغٍ، وَكَلَامٌ يَعُودُ كَلِمًا⁽¹⁾. وَقَدْ اقْتَصَرْتُ عَلَى نُصُوصِ الوَحْيَيْنِ؛ فَإِنَّهَا العَيْثُ المُبَارَكُ، وَاسْتَأْنَسْتُ بِكَلَامِ الأَكَابِرِ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ وَالدِّينِ: كَالصَّحَابَةِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ؛ فَ«الْبَرَكَهَةُ عَ أَكَابِرِكُمْ»⁽²⁾.

وَلَمْ آتِ بِجَدِيدٍ غَيْرِ خُيُوطٍ أَعْقَدُ عَلَيْهَا تِلْكَ الدَّرَرَ، حَتَّى غَدَّتْ كَعُقُودِ الجُمَانِ⁽³⁾، فَتَقَبَّلَهَا بِقَبُولِ حَسَنِ، «وَإِغْفِرْ عَوْرَاءَ»⁽⁴⁾ الكَرِيمِ إِذْ حَارَهُ، وَحَاشَاكَ أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ قَعْنَبُ بْنُ أُمِّ صَاحِبٍ:

فإِنْ رَأَوْا هَفْوَةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا ... مِنْي، وَمَا عَلِمُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا

وَإِنْ لَمْ تَسْمَعْ تَغْرِيدَ العَصَافِيرِ، وَهَدِيلَ الحَتَمِ، وَخَرِيرَ المِيَاهِ - فَبِلاغَةُ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ تَقْصُرُ عَنْهَا كُلُّ نَهَايَةٍ، وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا العَالِمُونَ.

جَعَلَنَا اللهُ مِنَ الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ القَوْلَ، فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ.

وكتبه /

أبو عبد الله

فَيَصِلُ بْنُ عَبْدِ قَائِدِ الحَاشِدِيِّ

(1) الكَلْمُ - بالفتح - : الجرح، والجمعُ كَلُومٌ وَكِلَامٌ.

(2) «صحيح»: أخرجه ابنُ حَبَّانَ (1912)، والحاكِمُ (62/1) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، وَصَحَّحَهُ الألبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (1778).

(3) الجُمَانُ - بِرُتْبَةِ الغُرَابِ - : اللُّؤْلُؤُ، الواحِدَةُ جُمَانَةٌ.

(4) العَوْرَاءُ - بِوَزْنِ الحَمْرَاءِ - : الكَلِمَةُ القَبِيحَةُ، وَهِيَ السَّقْفَةُ.

الشرك الأكبر وخطره

1

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَاتَّقُوا

اللَّهِ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالرَّحْمَٰنُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ عَنِ الشُّرْكِ الْأَكْبَرِ وَخَطَرِهِ عَلَى الْأُمَّةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى الْمُكَلَّفِ أَنْ يُؤَدِّيَهُ، وَالشُّرْكَ هُوَ أَوَّلُ

وَاجِبٍ أَنْ يَجْتَنِبَهُ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ⁽²⁾ النَّبِيِّ ﷺ

عَلَى حِمَارٍ، فَقَالَ لِي: «يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟».

(1) رواه البخاري (5967)، ومسلم (30).

(2) الرديف: الراكب خلف الراكب بإذنيه.

قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ أَلَّا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تُبَشِّرُهُمْ فَيَسْكَلُوا».

أَيُّهَا النَّاسُ، دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى حَقِّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ، وَحَقِّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ، وَتِلْكَ - أَيُّهَا النَّاسُ - حُقُوقٌ، فَهَلْ نَمُرُّ عَلَيْهَا مُرُورَ الْكِرَامِ دُونَ مَعْرِفَةٍ، وَدُونَ عِلْمٍ؟
الْجَوَابُ: لَا.

نَذَا فَلَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ الشُّرْكِ؛ حَتَّى لَا نَقَعَ فِيهِ.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾

(الأنعام: 55).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ الْحَتْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ؛ مَخَافَةَ أَنْ يَدْرِكَنِي».

أَيُّهَا النَّاسُ، الشُّرْكُ هُوَ أَعْظَمُ الذُّنُوبِ، وَأَكْبَرُ الْكِبَائِرِ، وَمَا مِنْ ذَنْبٍ إِلَّا وَالشُّرْكُ أَعْظَمُ مِنْهُ؛ قَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ (لقمان: 13).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الذُّنُوبِ أَعْظَمُ؟

قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدَاءً⁽³⁾ وَهُوَ خَلَقَكَ». قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟

(1) رواه البخاري (3506)، ومسلمه (1847).

(2) رواه البخاري (6861)، ومسلمه (85).

(3) انْدُدُّ - بِالْكَسْرِ - : الْمِثْلُ وَالنَّظِيرُ، وَالْجَمْعُ أَنْدَادٌ.

قال: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ؛ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ».

قال: قلت: ثم أي؟ قال: «أَنْ تَزْنِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ».

وفي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث أبي بكرَةَ رضي الله عنه قال: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: «أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَايِرِ؟ - ثَلَاثًا - : الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ - أَوْ قَوْلُ الزُّورِ - ». وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مُتَكِنًا فَجَلَسَ، فَمَا زَالَ يُكْرَرُهَا، حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ.

أيها الناس، هل سأل أحدنا نفسه: لماذا كان الشرك أكبر الكبائر، وأعظم الذنوب؟

فالجواب: لأُمُورٍ، منها:

أولاً - أَنَّ الشَّرْكَ تَشْبِيهٌُ لِلْمَخْلُوقِ بِالْمَخْلُوقِ، فَمَنْ أَشْرَكَ مَعَ اللَّهِ أَحَدًا، فَقَدْ شَبَّهَهُ بِاللَّهِ - سُبَّحَانَهُ، وَتَعَالَى -، وَهَذَا أَعْظَمُ الظُّلْمِ.

قَالَ تَعَالَى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ (البقرة: 165).

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لَهُ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: 22).

ثانياً - أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الْجَنَّةَ عَلَى الْمُشْرِكِ، فَمَا وَاهُ النَّارُ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا، وَبِشَسِّ الْمَصِيرِ!

قَالَ اللَّهُ - سُبَّحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ

وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴾ (المائدة: 72).

(1) رواه البخاري (2654)، ومسلم (87).

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث جابر رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجُلٌ، فقال: يا رسول الله، ما المَوْجِبَتَانِ؟⁽²⁾ فقال: «مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ».

ثالثاً - أَنَّ الشُّرْكَ يُجِبُّ الْأَعْمَالَ؛ قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَلِلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ (الزمر: 65).

وقَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَسْتَمْلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ (الأنعام: 88).

رابعاً - أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لِلْمُشْرِكِ؛ قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (النساء: 48).

فالمُشْرِكُ إِذَا مَاتَ عَلَى الشُّرْكِ - وَلَمْ يَتُبْ مِنْهُ - لَا يَدْخُلُ فِي رَحْمَةِ الرَّاحِمِينَ، وَلَا تَنْفَعُهُ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ.

خامساً - أَنَّ الْمُشْرِكَ حَلَالُ الدَّمِ وَالْمَالِ؛ قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَاقْتُلُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ (التوبة: 5).

أَمَّا أَهْلُ الْكِتَابِ فَإِنَّهُمْ يُدْعَوْنَ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَبَوْا أُخِذَتْ مِنْهُمْ الْجِزْيَةُ، فَإِنْ أَبَوْا قُوتِلُوا.

وَقَتْلُ الْمُشْرِكِ إِنَّمَا هُوَ لَوْلِيٍّ أَمْرُ الْمُسْلِمِينَ، وَلَيْسَ لِعُمُومِ النَّاسِ.

(1) رواه مسلم (93).

(2) المَوْجِبَتَانِ أَيُّ: الْحَصْلَةُ الْمَوْجِبَةُ لِلْجَنَّةِ، وَالْحَصْلَةُ الْمَوْجِبَةُ لِلنَّارِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، الشَّرْكَ الْأَكْبَرُ يَنْقَسِمُ إِلَى أَقْسَامٍ، مِنْهَا:

أولاً - شِرْكُ الْعِبَادَةِ :

وهو صَرَفُ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : كالدُّعَاءِ، وَالنَّذْرِ، وَالذَّبْحِ، وَالْحَوْفِ، وَالرَّجَاءِ، وَالتَّوَكُّلِ، وَالرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْإِنَابَةِ، وَالِاسْتِغَاثَةِ، وَالصَّلَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَنَحْوِهَا، فَمَنْ صَرَفَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَتَقَرَّبَ بِهِ لِغَيْرِهِ - فَقَدْ أَشْرَكَ، مِثْلُ: مَنْ يَنْذِرُ لَوْلِيٍّ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ، أَوْ يَذْبَحُ لَهُ، أَوْ يَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، أَوْ يَطُوفُ بِقَبْرِهِ تَقَرُّبًا لِلْمَيِّتِ، أَوْ يَسْتَعِيْثُ بِهِ، فيقولُ: يَا سَيِّدِي، أَغْنِنِي، أَوْ اشْفِ مَرِيضِي، أَوْ أَرْجُوكَ الْوَالِدَ أَوْ الزَّوْجَ أَوْ طَوْلَ الْعُمُرِ، فهذا - وَنَحْوُهُ - كُلُّهُ شِرْكٌ، صَاحِبُهُ مُشْرِكٌ كَافِرٌ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ فِطْرِهِ

﴿ ١٣ ﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعْوَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا

يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿ ١٤ ﴾ ﴾ (فاطر: 13، 14).

ثانياً - شِرْكُ الْمَحَبَّةِ :

وهو أَنْ يَتَّخِذَ أُنْدَادًا مِنْ دُونِ اللَّهِ يُحِبُّهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ، وَمَا وَقَعَ الْمُشْرِكُونَ فِي الشَّرْكِ إِلَّا أَنَّهُمْ أَحَبُّوا هَذِهِ الْأَصْنَامَ وَالْأَوْلِيَاءَ كَحُبِّ اللَّهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ

اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ (البقرة: 165).

ثالثاً - شِرْكُ الْهَوَى :

وهو أَنْ يَقْدَمَ هَوَاهُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - ، فَإِنْ كَانَ هَوَاهُ فِي الشَّرْكِ

كَانَ مُشْرِكًا.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ فَإِنَّ لَكُمْ مَتَجِيبًا لَكُمْ فَأَطِمْ أَنَّهَا بَيُوتُكُمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾

(النصر: 50).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اخْتَدَا إِلَهًا، هَوَيْتُهُ أَتَانَتْ تَكُونُ مَلَكًا

وَكَيْلًا ۝١٣﴾ (الفرقان: 43).

رابعاً - شِرْكُ الطَّاعَةِ ،

وذلك أن يُطِيعَ إِنْسَانًا فِي تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، أَوْ تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ، فَإِذَا فَعَلَ

ذلك، فقد جعله رَبًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ التَّحْلِيلَ وَالتَّحْرِيمَ حَقُّ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - .

ففي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَنَةُ الْأَبَانِيِّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ

حَدِيثِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتَ النَّبِيَّ ﷺ فِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ،

فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ، اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَتْنَ». وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءةٍ: ﴿ اخْتَدُوا

أَعْبَادَهُمْ وَرَهْبَانَهُمْ أَزْكَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (التوبة: 31).

قال: «أَمْ إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ،

وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ».

فَمِنْ هَذَا يَتَّضِحُ أَنَّ مَنْ أَطَاعَ عَالِمًا، أَوْ أَمِيرًا، أَوْ غَيْرَهُمَا فِي تَحْلِيلِ مَا عَلِمَ مِنْ دِينِ

الإسلامِ بِالضَّرُورَةِ تَحْرِيمُهُ - فَقَدْ أَشْرَكَ مَعَ اللَّهِ.

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «حَسَنٌ»: أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3095)، وَحَسَنَةُ الْأَبَانِيِّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ» (2471).

الخطبة الثانية - الشرك الأصغر:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد - أيها الناس - تقدم الحديث معكم عن الشرك الأكبر، والآن حديثي معكم عن الشرك الأصغر.

أيها الناس، الشرك الأصغر أمره خطير - وإن كان أصغر - فهو أكبر الكبائر، وصاحبه على خطر.

والفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر: أن الشرك الأكبر محكوم على صاحبه بالخروج من الإسلام في الدنيا، والتخليد في النار، وتحريم الجنة على صاحبه في الآخرة.

وأما الشرك الأصغر فهو بخلاف ذلك، فلا يُحكّم على صاحبه بالكفر، ولا بالخروج من الإسلام، ولا يُخلد في النار.

كما أن الشرك الأكبر يُحبط جميع الأعمال، بينما الأصغر يُحبط العمل الذي قارنه.

ومن العلماء من يقول: الشرك الأصغر لا يُغفر إلا بالتوبة كالشرك الأكبر تمامًا؛

لعموم قوله - تعالى - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ (النساء: 48).

ومن العلماء من يقول: إن الشرك الأصغر داخل تحت المشيئة، وأن المراد بقوله:

﴿أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾: الشرك الأكبر، وأما الشرك الأصغر فإنه يُغفر؛ لأنه لا يُخرج من الملة، وكل

ذنب لا يُخرج من الملة فإنه تحت المشيئة، على كل فصاحب الشرك الأصغر على خطر⁽¹⁾.

(1) انظر «القول المفيد على كتاب التوحيد» لابن عثيمين (1/208).

أَيُّهَا النَّاسُ، الشَّرْكُ الْأَصْغَرُ يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ:

ظَاهِرٌ، وَخَفِيٌّ.

فَالظَّاهِرُ: يَكُونُ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، وَالْخَفِيُّ: فِي النِّيَّةِ، وَهُوَ: الرَّيَاءُ.

فَشِرْكُ الْأَقْوَالِ: كَالْحَلْفِ بِغَيْرِ اللَّهِ: كَالنَّبِيِّ، وَالكَعْبَةِ، وَحَيَاتِي، وَحَيَاةِ أَبِي وَوَلَدِي، وَالْأَمَانَةِ، وَالْعَيْشِ وَالْمَلْحِ، وَالشَّرَفِ، وَالصَّدَاقَةِ وَالزَّمَالَةَ، كُلُّ هَذَا - وَنَحْوُهُ - مِنْ الشَّرِكِ فِي الْأَقْوَالِ.

ففي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الإِرْوَاءِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ، فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ».

وَمِنَ الشَّرِكِ فِي الْأَقْوَالِ - أَيُّهَا النَّاسُ - قَوْلٌ: «مَا شَاءَ اللَّهُ، وَشَاءَ فُلَانٌ، أَوْ لَوْلَا اللَّهُ وَأَنْتَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ».

فِيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَقُولَ: «مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ، وَلَوْلَا اللَّهُ ثُمَّ أَنْتَ».

ففي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ، وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ».

أَيُّهَا النَّاسُ، بَقِيَ الشَّرْكُ الْخَفِيُّ، وَهُوَ: الرَّيَاءُ، وَقَدْ خَافَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُمَّتِهِ، وَبَالَغَ فِي التَّحْذِيرِ مِنْهُ.

(1) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (3251)، وَالتِّرْمِذِيُّ (1535)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الإِرْوَاءِ» (2561).

(2) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (4980)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (137).

ففي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ لَبِيدٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله قَالَ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشُّرْكَ الْأَصْفَرُ». قالوا: وما الشُّرْكَ الْأَصْفَرُ - يا رسولَ الله - ؟. قال: «الرِّبَاءُ، يَقُولُ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - إِذَا جَزَى النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ - : اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تِرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا، فَانظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً».

و في «سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ» بسندٍ حسنٍ، حَسَّنَهُ الألبانيُّ في «المشكاة»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعْدِ بْنِ أَبِي فَضَالَةَ الأَنْصَارِيِّ - وَكَانَ مِنَ الصَّحَابَةِ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: «إِذَا جَمَعَ اللهُ الأَوَّلِينَ والأَخِيرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ - نادَى مُنادٍ: مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ لَهُ اللهُ، فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ؛ فَإِنَّ اللهُ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ».

وأَخْرَجَ ابْنُ مَاجَةَ - أَيضًا - فِي «سُنَنِهِ» بسندٍ حسنٍ، حَسَّنَهُ الألبانيُّ فِي «صحيح الجامع»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله، وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ المَسِيحَ الدَّجَالَ، فَقَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخَوْفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ المَسِيحِ الدَّجَالِ؟». قَالَ: قُلْنَا: بَلَى. فَقَالَ: «الشُّرْكَ الخَفِيُّ: أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ؛ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ».

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُودُ بِكَ مِنَ الشُّرْكِ كُلِّهِ: دِقِّهِ وَجِلِّهِ⁽⁴⁾، سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُودُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَنَحْنُ نَعْلَمُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لا نَعْلَمُ.

(1) «صحيح»: أخرجه أحمد (428/5)، و صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (1555).

(2) «حسن»: أخرجه ابنُ ماجَةَ (4203)، وحَسَّنَهُ الألبانيُّ في «المشكاة» (5318).

(3) «حسن»: أخرجه ابنُ ماجَةَ (4204)، وحَسَّنَهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (2607).

(4) دِقِّهِ وَجِلِّهِ - بكسرِ أولهما - أي: صغيره وكبيره.

التَّمَائِمُ

2

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ. وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَقَىٰ لَوْنُ يَوْمِهِ وَالْأَرْكَامُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ أَهْدِي هَدْيِي مُحَمَّدٌ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، حَدِيثِي مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ التَّمَائِمِ.

والتَّمَائِمُ - كَمَا عَرَّفَهَا ابْنُ الْأَثِيرِ - :

خَرَزَاتٌ كَانَتْ الْعَرَبُ تُعَلِّقُهَا عَلَى أَوْلَادِهِمْ؛ يَتَّقُونَ بِهَا الْعَيْنَ فِي زَعْمِهِمْ، فَأَبْطَلَهَا الْإِسْلَامُ⁽¹⁾.

وقد تكون التَّمِيمَةُ فِي الرَّقَبَةِ، أَوِ الْيَدِ، أَوِ الرَّجْلِ، أَوْ أَيِّ مَكَانٍ مِنَ الْجَسَدِ.

(1) «النهاية»، (1/198).

وهي من الشرك الأكبر أو الأصغر بحسب ما يريد الإنسان منها، إن اتخذها معتقداً أن المسبب للمحبة، ورد العين، وتوفي المخذور - هو الله؛ فهي شرك أصغر، وإن اعتقد أنها تفعل بنفسها؛ فهي شرك أكبر.

أيها الناس، قد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على تحريم التهايم، وأنها من الشرك.

قال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿ وَإِن يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمَسَّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٧ ﴾ (الأنعام: 17).

وقال - سبحانه، وتعالى - : ﴿ وَإِن يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُنصِرْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝١٧ ﴾ (يونس: 107).

وقال - سبحانه، وتعالى - : ﴿ وَمَا يَكُم مِّن يَتَمَرَفِينَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنَا مَتَّكُم الشَّرُّ فَإِنَّهُ لَيَجْعَلُنَّ لَكُمْ إِذَا كَشَفَ الشَّرَّ عَنْكُمْ إِنَّا فَرِيقٌ مِّنكُمْ يَشْكُرُونَ ۝٥٤ ﴾ (النحل: 53، 54).

وأما الأدلة من السنة على تحريم التهايم فكثيرة جداً، فمنها:

ففي «مسند أحمد» و«سنن ابن ماجه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح ابن ماجه»⁽¹⁾ من حديث زينب امرأة عبد الله - يعني: ابن مسعود - قالت: كانت عجوز تدخل علينا ترقى من الحُمرة، وكان لنا سرير طويل القوائم، وكان عبد الله إذا دخل تنحنح وصوت، فدخل يوماً، فلما سمعت صوته احتجبت منه، فجاء فجلس إلى جانبي فمسني فوجد مس خيط، فقال: ما هذا؟. فقلت: رقى لي فيه من الحُمرة، فجذبه فقطعه، فرمى به، وقال: لقد أصبح آل عبد الله أغنياء عن الشرك،

(1) «صحيح»: أخرجه أحمد (1/381)، وابن ماجه (3530)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (2845).

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الرُّقَى وَالتَّهَامِمَ وَالتَّوَلَةَ شُرُكَ». قُلْتُ: فَإِنِّي خَرَجْتُ يَوْمًا، فَأَبْصَرَنِي فُلَانٌ؛ فَدَمَعَتْ عَيْنِي الَّتِي تَلِيهِ، فَإِذَا رَقِيْتُهَا سَكَنتُ دَمْعَتُهَا، وَإِذَا تَرَكْتُهَا دَمَعَتْ. قَالَ: ذَلِكَ الشَّيْطَانُ، إِذَا أَطْعَمَهُ تَرَكَكَ، وَإِذَا عَصَيْتَهُ طَعَنَ بِأَصْبَعِهِ فِي عَيْنِكَ، وَلَكِنْ لَوْ فَعَلْتَ كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَانَ خَيْرًا لَكَ، وَأَجْدَرَ أَنْ تَشْفِيَنَّ: تَنْضَحِينَ فِي عَيْنِكَ الْمَاءَ، وَتَقُولِينَ: أَذْهَبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ⁽¹⁾ سَقَمًا.

أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ جَاءَ الْحَدِيثُ بِتَحْرِيمِ الرُّقَى وَالتَّهَامِمِ وَالتَّوَلَةِ، وَهَذَا تَنْبِيهُ مُهِمٌّ: وَهُوَ أَنَّ الرُّقَى لَيْسَتْ مُحَرَّمَةً عَلَى عُمُومِهَا، بَلْ كَمَا قَالَ الْعَلَّامَةُ أَبُو عَثِيمٍ رحمته: «هِيَ عَامٌّ أُرِيدَ بِهِ خَاصٌّ، وَهُوَ الرُّقَى بِغَيْرِ مَا وَرَدَ بِهِ الشَّرْعُ، أَمَا مَا وَرَدَ بِهِ الشَّرْعُ؛ فَلَيْسَتْ مِنَ الشَّرْكِ»⁽²⁾.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رحمته قَالَ: نَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَأَتَتْنَا امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: إِنَّ سَيِّدَ الْحَيِّ سَلِيمًا⁽⁴⁾ لَدِيعٌ، فَهَلْ فِيكُمْ مِنْ رَاقٍ؟

فَقَامَ مَعَهَا رَجُلٌ مِنَّا، مَا كُنَّا نَظُنُّهُ يُحْسِنُ رُقِيَّةً، فَرَقَاهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَبَرَأَ؛ فَأَعْطَوْهُ غَنَمًا، وَسَقَوْنَا لَبَنًا. فَقُلْنَا: أَكُنْتَ مُحْسِنًا رُقِيَّةً؟!.

فَقَالَ: مَا رَقِيْتُهُ إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ. قَالَ: فَقُلْتُ: لَا تُحَرِّكُوهَا حَتَّى نَأْتِيَ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «مَا كَانَ يُدْرِيهِ أَنَّهَا رُقِيَّةٌ؟ ااقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ مَعَكُمْ».

(1) لَا يُغَادِرُ أَيُّ: لَا يَتْرُكُ.

(2) «القول المفيد» (1/180).

(3) رواه البخاري (5007)، ومسلم (2201)، واللفظ له.

(4) سليم أي: لَدِيعٌ، سُمِّيَ بِذَلِكَ تَفَاؤُلًا بِالسَّلَامَةِ، وَقِيلَ: لِأَنَّهُ مُسْتَسَلِمٌ لِمَا بِهِ.

والتَّوَلَّى وما أذراكُم ما التَّوَلَّى؟ هي - كما قال العَلَّامةُ ابنُ عُثَيْمِينَ رحمته: «شيءٌ يُعَلِّقونه على الزَّوْجِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يُحِبُّ الزَّوْجَةَ إلى زَوْجِها، والزَّوْجَ إلى امرَأَتِها، وهذا شِرْكٌ؛ لأنَّهُ ليس بسَبَبٍ شرعيٍّ، ولا قَدَرِيٍّ للمحبَّةِ.

ومثْل ذلك الدَّبْلَةُ، والدَّبْلَةُ: خاتَمٌ يُشْتَرَى عِنْدَ الزَّوْاجِ، يُوضَعُ في يَدِ الزَّوْجِ، وإذا أَلْقَاهُ الزَّوْجُ؛ قالتِ المَرْأَةُ: إِنَّهُ لا يُحِبُّها؛ فَهُم يَعتَقِدون فِيهِ النِّفْعَ وَالضَّرَرَ، وَيَقُولون: إِنَّهُ ما دام في يَدِ الزَّوْجِ؛ فَإِنَّهُ يَعْنِي أَنَّ العِلاقَةَ بَيْنَها ثابتَةٌ، والعَكْسُ بالعَكْسِ، فإذا وُجِدَت هَذِهِ النِّيَّةُ؛ فَإِنَّهُ مِنَ الشِّرْكِ الأَصْغَرِ، وإن لم تُوجَدْ هَذِهِ النِّيَّةُ - وهي بَعِيدَةٌ أَلَّا تَصْحَبَها -؛ ففِيهِ تَشْبَهُ بالنِّصارَى؛ فَإِنَّها ما أُخِذَتْ مِنْهُم.

وإن كانت مِنَ الذَّهَبِ، فَهِيَ بالنِّسْبَةِ لِلرَّجُلِ فِيها محذورٌ ثالثٌ، وَهُوَ لُبْسُ الذَّهَبِ ...

وقولُهُ: «شِرْكٌ»: هل هي شِرْكٌ أَصْغَرٌ أو أَكْبَرٌ؟، نَقُولُ: بِحَسَبِ ما يُريدُ الإنسانُ منها، إن اتَّخَذَها مُعتَقِداً أَنَّ المُسَبَّبَ لِلْمَحَبَّةِ هُوَ اللهُ؛ فَهِيَ شِرْكٌ أَصْغَرٌ، وإن اعتقد أنها تَفْعَلُ بِنَفْسِها؛ فَهِيَ شِرْكٌ أَكْبَرٌ⁽¹⁾.

وَمِنَ الأدلَّةِ الدَّالَّةِ على تَحْرِيمِ التَّهائمِ - أَيُّها النَّاسُ - ما جاء في «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الألبانِيُّ في «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عامِرٍ رحمته قال: إنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ أَقْبَلَ إِلَيْهِ رَهْطٌ، فبايعَ تِسْعَةَ، وَأَمْسَكَ عَنْ واحِدٍ، فقالوا: يا رسولَ اللهِ، بايَعْتَ تِسْعَةَ، وَتَرَكَتَ هذا. وقال: إنَّ عَلَيهِ تَمِيمَةٌ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فَقَطَعَهَا، فبايَعَهُ وقال: «مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً، فَقَدْ أَشْرَكَ».

(1) «القول المفيد» (1/ 181 - 182).

(2) «صحيح»: أخرجه أحمد (4/ 156)، والحاكم (4/ 219)، وصحَّحَهُ الألبانِيُّ في «الصَّحِيحَةِ» (492).

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى تَحْرِيمِ التَّمَامِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبَادِ بْنِ تَمِيمٍ: أَنَّ أَبَا بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيَّ ~~هَلَفَ~~ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ - قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: وَالنَّاسُ فِي مَبِيتِهِمْ - فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَسُولًا: «لَا تَبْقَيْنَ فِي رَقَبَةٍ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ - أَوْ قِلَادَةٌ - إِلَّا قُطِعَتْ».

قال الحافظ ابن حجر ~~هله~~: «قال ابن الجوزي ~~هله~~: «وفي المراد بالأوتار ثلاثة أقوال: أحدها - أنهم كانوا يقلدون الإبل أوتار القسي؛ لئلا تُصيَّبها العين بزعمهم، فأمرُوا بقطعها؛ إعلامًا بأن الأوتار لا تردُّ من أمر الله شيئًا»⁽²⁾.

قُلْتُ: وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ مَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ النَّاسِ فِي زَمَانِنَا مِنْ تَغْلِيْقِ النَّعَالِ - وَنَحْوِهَا - عَلَى الْبَعِيرِ وَالْبَقَرِ؛ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ ذَلِكَ يَدْفَعُ الْعَيْنَ، وَهَذَا اعْتِقَادٌ فَاسِدٌ؛ لِأَنَّ التَّعَلُّقَ بِمَا لَيْسَ بِسَبَبِ شَرْعِيٍّ أَوْ حِسِّيٍّ شَرْكَ.

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى تَحْرِيمِ التَّمَامِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا جَاءَ فِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» وَ«مُسْتَدْرِكِ الْحَاكِمِ»، وَ«سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ حَسَنِ، حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَيْسَى - وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى - قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَكِيمِ أَبِي مَعْبِدِ الْجُهَنِيِّ أَعُوذُهُ، وَبِهِ حُمْرَةٌ، فَقُلْتُ: أَلَا تُعَلِّقُ شَيْئًا؟ قَالَ: الْمَوْتُ أَقْرَبُ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا، وَكَلَّ إِلَيْهِ».

(1) رواه البخاري (3005)، ومسلم (2115).

(2) «الفتح» (99/6).

(3) «حسن»: أخرجه أحمد (210/4)، والحاكم (21/4)، والتِّرْمِذِيُّ (2167)، وحسنه الألباني في «صحيح التِّرْمِذِيِّ» (1691).

أيها الناس، لقد بالغ النبي ﷺ في التحذير من التَّهائمِ ونحوها، حتَّى إِنَّهُ أَوْصَى أَحَدَ صِغَارِ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ يَعْتَقِدُ أَنَّ الْحَيَاةَ سَتَطُولُ بِهِ - أَوْصَاهُ أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ بَعْدَهُ وَيُحَذِّرُهُمْ.

ففي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ»، و«سُنَنِ النَّسَائِيِّ»، وأبي دَاوُدَ» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح أبي داود»⁽¹⁾ عَنْ رُوَيْفِعِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «يَا رُوَيْفِعُ، لَعَلَّ الْحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ بَعْدِي، فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّهُ مَنْ عَقَدَ لِحَيَّتِهِ، أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًّا، أَوْ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ - فَإِنَّ مُحَمَّدًا مِنْهُ بَرِيءٌ».

فَقَوْلُهُ ﷺ: «تَقَلَّدَ وَتَرًّا» «الْوَتْرُ: سِلْكٌ مِنَ الْعَصَبِ، يُؤْخَذُ مِنَ الشَّاةِ، وَتَتَّخَذُ لِلْقَوْسِ وَتَرًّا، وَيَسْتَعْمَلُونَهَا فِي أَعْنَاقِ إِبِلِهِمْ أَوْ خَيْلِهِمْ، أَوْ فِي أَعْنَاقِهِمْ؛ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يَمْنَعُ الْعَيْنَ، وَهَذَا مِنَ الشَّرْكِ»⁽²⁾.

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «صحيح»: أخرجه أحمد (4/108)، والنسائي في «سننه» (8/235)، وأبو داود (36)، وصحَّحه

الألباني في «صحيح أبي داود» (27).

(2) «القول المفيد» (1/183).

الخطبة الثانية - الرقي :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، تقدم الحديث معكم - أيها الناس - عن التائم، والآن حديثي معكم عن «الرقي».

والرقيّة - أيها الناس - : هي رقية الإنسان نفسه أو غيره للتداوي، ولا بأس بها إذا خلت من الشرك.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث جابر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرقي، فجاء آل عمرو بن حزم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا رسول الله - إنه كانت عندنا رقية، نرقي بها من العقر، وإنك نهيت عن الرقي. قال: فعرضوها عليه. فقال: «ما أرى بأساً، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل».

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه قال: كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله، كيف ترى في ذلك؟

فقال: «اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقي ما لم يكن فيه شرك».

وقد تقدم حديث أبي سعيد الخدري «في الصحيحين» في قصة الرجل الذي لدغ، فرآه أحد الصحابة بفاتحة الكتاب، وأقره النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك.

(1) رواه مسلم (2199).

(2) رواه مسلم (2200).

وَقَدْ رَقَى النَّبِيُّ ﷺ نَفْسَهُ، كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَى إِلَى فِرَاشِهِ، نَفَثَ فِي كَفْيِهِ بِـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَبِالْمَعْوَذَتَيْنِ جَمِيعًا، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهَا وَجْهَهُ، وَمَا بَلَغَتْ يَدَاهُ مِنْ جَسَدِهِ».

وَقَدْ أَمَرَ غَيْرُهُ بِالرُّقِيَّةِ، كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى فِي بَيْتِهَا جَارِيَةً، فِي وَجْهَهَا سَفْعَةٌ - أَي: سَوَادٌ فِي الرَّجْوِ -، فَقَالَ: «اسْتَرْقُوا لَهَا؛ فَإِنَّ بِهَا النَّظْرَةَ».

وَفَعَلَهَا **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** بغيره، كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ بَعْضَ أَهْلِهِ، يَمْسَحُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهِبِ الْبَاسَ، وَاشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءَ لَا يُغَادِرُ سَقَمًا».

أَيُّهَا النَّاسُ، إِجْمَاعُ الْعُلَمَاءِ مُنْعَقِدٌ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ الرُّقِيَّةِ، لَكِنَّهَا تَوْقِيفِيَّةٌ، فَتَكُونُ بَكْتَابِ اللَّهِ، وَبِمَا ثَبَتَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ عَلَّمَ أُمَّتَهُ كَثِيرًا مِنَ الرُّقَى النَّافِعَةِ، فَلَا يَجُوزُ الزِّيَادَةُ عَلَيْهِ، أَوْ النِّقْصُ مِنْهُ.

كَمَا لَا يَجُوزُ التَّفَرُّغُ لِأَجْلِ الْقِرَاءَةِ عَلَى النَّاسِ، وَاتِّخَاذُهَا حِرْفَةً؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَفْعَلْهُ الصَّحَابَةُ فَمَنْ بَعْدَهُمْ، فَلَوْ كَانَ الْإِنْقِطَاعُ لِمُعَالَجَةِ الْمَرَضَى بِالرُّقَى وَاتِّخَاذُهَا حِرْفَةً، وَالِاسْتِهَارُ بِهَا بَيْنَ النَّاسِ خَيْرًا - لَسَبِقْنَا إِلَيْهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، التَّفَرُّغُ لِلْعِلَاجِ فِيهِ مَفْسَدَةٌ لِلْجَمِيعِ: مَفْسَدَةٌ لِلْقَارِيِّ فَلَا يُؤْمَنُ أَنْ يُفْتَنَ، وَتُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، وَيَضْحَكُ عَلَيْهِ شَيْطَانُهُ، وَيَدْخُلُهُ الْعُجْبُ وَالْكِبْرُ وَالرِّيَاءُ؛ لِأَنَّ

(1) رواه البخاري (5748).

(2) رواه البخاري (5739)، ومسلم (2197).

(3) رواه البخاري (5743)، ومسلم (2191).

الرُّقِيَّةَ كَالدُّعَاءِ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ لِلنَّاسِ: تَعَالَوْا أَدْعُ اللَّهَ لَكُمْ، وَلَكِنْ إِذَا جَاءَهُ مَرِيضٌ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَرْقِيَهُ فَلَا بَأْسَ، لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ: «مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ» (١).

أَمَّا التَّفَرُّغُ لِلْعِلَاجِ، وَاتِّخَاذُهُ حِرْفَةً فَهَذَا لَا يَجُوزُ الْبَتَّةَ.

وَمِنْ مَفْسَدَةِ التَّفَرُّغِ: أَنَّ عَوَامَّ النَّاسِ يَتَعَلَّقُونَ بِالْقَارِيِّ أَكْثَرَ مِنْ تَعَلُّقِهِمْ بِاللَّهِ وَبِكَلَامِهِ، حَتَّى يَظُنُّونَ ارْتِبَاطَ الشِّفَاءِ بِالشَّخْصِ.

اللَّهُمَّ فَفَقِّهْنَا فِي الدِّينِ، وَارزُقْنَا الْحِكْمَةَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَدَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا، ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة: 201).



(1) تقدّم تخريجُهُ.

ضعف الإيمان

3

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١١٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَنَاحٍ وَإِنَّا زَوْجَاهَا وَبَيْنَ يَدَيْهَا كَعِينٌ وَإِنَّا لَنَاقَةٌ ﴿١٠١﴾﴾ (النساء: 1).

الله الَّذِي فَتَنَهُ لَوْ نَبَى وَالْأَرْحَامُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَبِّبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ عَنْ ضَعْفِ الْإِيمَانِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، ضَعْفُ الْإِيمَانِ مِمَّا عَمَّ وَانْتَشَرَ فِي الْمُسْلِمِينَ، وَأَثَارُ الْمَرَضِ عَلَيْهِمْ بَادِيَةٌ، وَهُوَ أَسَاسُ كُلِّ مُصِيبَةٍ، وَسَبَبُ كُلِّ نَقْصٍ وَبَلِيَّةٍ⁽¹⁾.

فَمِنْ أَثَارِ ضَعْفِ الْإِيمَانِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْوُقُوعُ فِي الْمَعَاصِي، وَارْتِكَابِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَقَدْ يَتَكَرَّرُ ذَلِكَ مِنَ الْإِنْسَانِ حَتَّى يُصْبِحَ عَادَةً مَأْلُوفَةً، ثُمَّ يَزُولُ قُبْحُهَا مِنَ الْقَلْبِ،

(1) انظر «ظاهرة ضعف الإيمان» (ص 5-6) بتصرف.

حَتَّى يَقَعَ الْعَاصِي فِي الْمَجَاهِرَةِ بِهَا، وَيَدْخُلَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمَجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمَجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ، فَيَقُولُ: يَا فَلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ».

وَمِنْ آثَارِ ضَعْفِ الْإِيمَانِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الشُّعُورُ بِقَسْوَةِ الْقَلْبِ، قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ (البقرة: 74).

وَصَاحِبُ الْقَلْبِ الْقَاسِي - أَيُّهَا النَّاسُ - لَا تَنْفَعُ فِيهِ مَوْعِظَةٌ، قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ (ق: 37).

وَمِنْ آثَارِ ضَعْفِ الْإِيمَانِ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَدَمُ إِتْقَانِ الْعِبَادَاتِ، كَحَالِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ الْيَوْمَ مَعَ الصَّلَاةِ، فَبَعْضُهُمْ يَنْقُرُهَا نَقْرَ الْغُرَابِ، وَبَعْضُهُمْ يُصَلِّهَا وَهُوَ يَجُولُ بِقَلْبِهِ فِي أَوْدِيَةِ الدُّنْيَا وَشَعْبِهَا، وَالرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ كَمَا عِنْدَ «التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ».

وَمِنْ آثَارِ ضَعْفِ الْإِيمَانِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّكَاسُلُ عَنِ الطَّاعَاتِ، قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالًا﴾ (النساء: 142).

وَمِنَ التَّكَاسُلِ عَنِ الطَّاعَاتِ التَّأَخُّرُ عَنِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ وَهَكَذَا، حَتَّى إِذَا فَاتَتْ عَلَيْهِ سُنَّةٌ رَاتِبَةٌ، فَإِنَّهُ لَا يَرِغُبُ فِي قَضَائِهَا، وَلَا يَزَالُ بِهِ الْحَالُ حَتَّى يَنْطَبِقَ عَلَيْهِ قَوْلُ

(1) رواه البخاري (6069)، ومسلم (2990).

(2) «حسن»: أخرجه الترمذي (3479)، وحسنه الألباني في «الصحيح» (594).

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كما في «سُنَن أَبِي دَاوُدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ عَنِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ، حَتَّى يُؤَخَّرَهُمُ اللَّهُ فِي النَّارِ».

وَمِنْ آثَارِ ضَعْفِ الْإِيمَانِ عَدَمُ التَّأثيرِ بِآيَاتِ الْقُرْآنِ، فَضَعِيفُ الْإِيمَانِ يَعْمَلُ مِنْ سَمَاعِ الْقُرْآنِ، وَلَا تُطِيقُ نَفْسُهُ مُوَاصَلَةَ قِرَاءَتِهِ، فَكُلَّمَا فَتَحَ الْمُصْحَفَ كَادَ أَنْ يُغْلِقَهُ.

تلك - أيها الناس - بعض آثارِ ضَعْفِ الْإِيمَانِ، وَلَهَا أَسْبَابُهَا، فَمِنْ أَسْبَابِهَا:

الابتعادُ عَنِ الاستقامةِ وَالصَّالِحِ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ، قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -:

﴿الَّذِينَ يَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْكُمْ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَشْرِبُوا مِنْهُمَا كَمَا فِي الْبُيُوتِ الَّتِي بُنِيَتْ لِقَوْمٍ ذَكَرْنَا عَنْكَ مُنْذُ بَنِي إِدْرِيسَ وَمَا نَزَّلْنَا مِنْ سَمَوَاتِنَا مِنْ مَنَافِعٍ إِلَّا لِقَوْمٍ أَعْرَضُوا عَنْهَا لِيُذَكَّرُوا فِيهَا كَمَا ذُكِّرْتُمْ وَلَئِنْ يَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْكُمْ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَشْرِبُوا مِنْهُمَا كَمَا فِي الْبُيُوتِ الَّتِي بُنِيَتْ لِقَوْمٍ ذَكَرْنَا عَنْكَ مُنْذُ بَنِي إِدْرِيسَ وَمَا نَزَّلْنَا مِنْ سَمَوَاتِنَا مِنْ مَنَافِعٍ إِلَّا لِقَوْمٍ أَعْرَضُوا عَنْهَا لِيُذَكَّرُوا فِيهَا كَمَا ذُكِّرْتُمْ وَلَئِنْ يَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْكُمْ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَشْرِبُوا مِنْهُمَا كَمَا فِي الْبُيُوتِ الَّتِي بُنِيَتْ لِقَوْمٍ ذَكَرْنَا عَنْكَ مُنْذُ بَنِي إِدْرِيسَ وَمَا نَزَّلْنَا مِنْ سَمَوَاتِنَا مِنْ مَنَافِعٍ إِلَّا لِقَوْمٍ أَعْرَضُوا عَنْهَا لِيُذَكَّرُوا فِيهَا كَمَا ذُكِّرْتُمْ﴾ (الحديد: 16).

وَمِنْ أَسْبَابِ ضَعْفِ الْإِيمَانِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : الْابتعادُ عَنِ الْقُدْوَةِ الصَّالِحَةِ؛

فَالجَلِيسُ الصَّالِحُ لَهُ تَأثيرٌ عَلَى جَلِيسِهِ.

فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ

قَالَ: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَمَثَلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ»⁽³⁾، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِذَا أَنِ يُجَذِّبُكَ⁽⁴⁾، وَإِنَّمَا أَنِ تَبْتاعُ⁽⁵⁾ مِنْهُ، وَإِنَّمَا أَنِ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكَبِيرِ إِذَا أَنِ يُحْرِقُ ثِيَابَكَ، وَإِنَّمَا أَنِ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً.

(1) «صحيح»: أخرجه أبو داود (679)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (630).

(2) رواه البخاري (2101)، ومسلم (2628).

(3) الكبير - بالكسر - : منفعُ الحداد الذي ينفعُ به النَّارَ.

(4) يُجَذِّبُكَ: يُغَطِّبُكَ.

(5) تبتاع: تشتري.

فَالْجَلِيسُ الصَّالِحُ غَنِيمَةٌ وَخَيْرٌ؛ فَإِنَّهُ إِذَا مَا يُعَلِّمُنَا مَا يَنْفَعُنَا فِي دِينِنَا وَدُنْيَانَا، أَوْ يُهْدِي لَنَا نَصِيحَةً، أَوْ يُحَذِّرُنَا مِنَ الْإِقَامَةِ عَلَى مَا يَضُرُّنَا، فَيُحِثُّنَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَيُبَصِّرُنَا بِعُيُوبِ أَنْفُسِنَا، وَيَدْعُونَا إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ بِقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ وَحَالِهِ.

وَمِنْ أَسْبَابِ ضَعْفِ الْإِيمَانِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : الْإِبْتِعَادُ عَنِ طَلَبِ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ، وَالْإِتِّصَالِ بِكُتُبِ السَّلَفِ، وَخَاصَّةً كُتُبَ الْحَدِيثِ، وَالرَّقَائِقِ، وَالسِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَسِيَرَةِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ سَادَةِ الْعُلَمَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ: كَالْأَثَمَةِ الْأَزْبَعَةِ، وَأَصْحَابِ السُّنَنِ.

وَمِنْ أَسْبَابِ ضَعْفِ الْإِيمَانِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : الْإِغْرَاقُ فِي الْإِنْشِغَالِ بِالدُّنْيَا، وَعَدَمُ أَخْذِ الْبَلَاغِ مِنْهَا، وَالْاِكْتِفَاءُ بِهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿الْمَهْمُ التَّكَاتُرُ ①﴾ (التكاثر: 1).

أَيُّ: شَغَلَكُمُ التَّكَاتُرُ فِي الْأَمْوَالِ، وَالْأَوْلَادِ، وَالْأَنْصَارِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا قَدْ يُفْتَنُ بِهِ الْمُسْلِمُ، فَيَنْشَغَلُ بِهِ عَنِ طَاعَةِ رَبِّهِ، وَالِاسْتِعْدَادِ لِلْيَوْمِ الَّذِي يَنْتَظِرُهُ، وَقَدْ يَضْعُفُ إِيْمَانُهُ، وَيَقْسُو قَلْبُهُ بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَهَذَا وَاقِعٌ، مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ.

وَمِنْ أَسْبَابِ ضَعْفِ الْإِيمَانِ - أَيُّهَا النَّاسُ - طُولُ الْأَمَلِ، وَطُولُ الْأَمَلِ يَقْصُرُ بِصَاحِبِهِ عَنِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَيُسَوِّفُهُ وَيُلْهِمُهُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ

يَعْلَمُونَ ②﴾ (الحجر: 3).

أَيُّهَا النَّاسُ، تِلْكَ بَعْضُ آثَارِ ضَعْفِ الْإِيمَانِ، وَتِلْكَ بَعْضُ أَسْبَابِ ضَعْفِهِ، وَقَدْ دَلَّ الدَّلِيلُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، يَزِيدُ

بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَمِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنَقْصِهِ: أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى - قَسَمَ الْمُؤْمِنِينَ ثَلَاثَ طَبَقَاتٍ، فَقَالَ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا
مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُؤْتِنُ اللَّهُ ﴾ (فاطر: 32).

فَالسَّابِقُونَ بِالْخَيْرَاتِ: هُمُ الَّذِينَ أَدَّوْا الْوَاجِبَاتِ وَالْمُسْتَحَبَّاتِ، وَتَرَكَوا الْمَحْرَمَاتِ
وَالْمَكْرُوهَاتِ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمُقْرَبُونَ.

وَالْمُقْتَصِدُونَ: هُمُ الَّذِينَ اقْتَصَرُوا عَلَى أَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ، وَتَرَكَوا الْمَحْرَمَاتِ.
وَالظَّالِمُونَ لَأَنْفُسِهِمْ: هُمُ الَّذِينَ اجْتَرَأُوا عَلَى بَعْضِ الْمَحْرَمَاتِ، وَقَصَرُوا بِبَعْضِ
الْوَاجِبَاتِ، مَعَ بَقَاءِ أَصْلِ الْإِيمَانِ مَعَهُمْ.

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنَقْصِهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قَاتُوا الَّذِينَ
آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبِشِرُونَ ﴾ (التوبة: 124).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَزَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ (المدثر: 31).

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا
تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ (الأنفال: 2).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿ لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ (الفتح: 4).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ
وَعَظَّ النِّسَاءَ، وَقَالَ هُنَّ: «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبُّ الرَّجُلِ
الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ».

(1) رواه البخاري (304)، ومسلم (80).

فالحديثُ دَلٌّ على ثُبُوتِ النَّقْصِ، والآياتُ دَلَّتْ على إثباتِ الزِّيَادَةِ، والزِّيَادَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - مُسْتَلْزِمَةٌ لِلنَّقْصِ، وَكُلُّ نَصٍّ فِي كِتَابِ اللَّهِ يَدُلُّ عَلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ فَإِنَّهُ مُتَضَمِّنٌ لِلدَّلَالَةِ عَلَى نَقْصِهِ، كَمَا قَالَ ذَلِكَ الْعَلَمَاءُ ابْنُ عُثَيْمِينَ رحمته، وَيُعْجِبُنِي هُنَا قَوْلُ الْإِمَامِ خَيْثَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ رحمته: «الْإِيمَانُ يَسْمَنُ فِي الْخِصْبِ، وَيَهْزُلُ فِي الْجَدْبِ، فَخِصْبُهُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَجَدْبُهُ الذُّنُوبُ وَالْمَعَاصِي». وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ - عِلَاجُ ضَعْفِ الْإِيمَانِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ عَنْ ضَعْفِ الْإِيمَانِ، وَالآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ عِلَاجِ ذَلِكَ الضَّعْفِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ قَالَ أَحَدُ السَّلَفِ: «مَنْ فِيقَهُ الْعَبْدُ أَنْ يَتَعَاهَدَ إِيْمَانَهُ، وَمَا يَنْقُصُ مِنْهُ، وَمِنْ فِيقَهُ الْعَبْدُ أَنْ يَعْلَمَ أَيْزَادَادُ إِيْمَانَهُ أَوْ يَنْقُصُ؟، وَإِنْ مِنْ فِيقَهُ أَنْ يَعْلَمَ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ أَنِّي تَأْتِيهِ»⁽¹⁾.

فَمِنْ عِلَاجِ ضَعْفِ الْإِيمَانِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : مَعْرِفَةُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ؛ فَإِنَّهُ كَلَّمَا أَزْدَادَ الْإِنْسَانَ مَعْرِفَةَ بِاللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، أَزْدَادَ إِيْمَانَهُ.

(1) «شرح نُونِيَّةِ ابْنِ الْقَيْمِ» لابن عيسى (2/ 140).

وَمِنْ عِلَاجِ ضَعْفِ الْإِيمَانِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : النَّظَرُ فِي آيَاتِ اللَّهِ الْكُونِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَوَاتِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ (الغاشية: 17 - 20).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرَ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ (يونس: 101).

أَيُّهَا النَّاسُ، كُلَّمَا ازداد الإنسان عِلْمًا بما أودع الله - تعالى - في الكونِ مِنْ عَجَائِبِ المخلوقاتِ، وَمِنْ الحِكمِ البَالِغَاتِ، ازداد إيمانًا بالله - عزَّ وجلَّ -، وكذلك النَّظَرُ فِي آيَاتِ اللَّهِ الشَّرْعِيَّةِ، يَزِيدُ الإنسانَ إيمانًا بالله - عزَّ وجلَّ -؛ لأنَّنا إذا نظرنا إلى الآياتِ الشَّرْعِيَّةِ - وهي الأحكامُ التي جاءت بها الرُّسُلُ - وَجَدْنَا فيها ما يَبْهَرُ العُقُولَ مِنَ الحِكمِ البالِغَةِ، والأسرارِ العَظِيمَةِ، التي نَعْرِفُ بها أَنَّ هَذِهِ الشَّرِيعَةَ نَزَلَتْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَأَنَّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى القَوْلِ والرَّحْمَةِ، فنزدادُ بذلكَ إيمانًا⁽¹⁾.

وَمِنْ عِلَاجِ ضَعْفِ الْإِيمَانِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : تَدَبُّرُ القُرْآنِ العَظِيمِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هُدًى

إِيمَانًا فَآمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ (التوبة: 124).

وَمِنْ عِلَاجِ ضَعْفِ الْإِيمَانِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : طَلَبُ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ، وَالعِلْمِ

الشَّرْعِيِّ الَّذِي يَزِدُّ بِهِ المُؤْمِنَ إيمانًا: هُوَ العِلْمُ باللهِ وبالْيَوْمِ الآخِرِ، وَأَوَّلُهُ العِلْمُ

المُقْتَضِي للاستِغْفارِ، كما قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ قَاتِلُوا اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

وَأَسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ ﴾ (محمد: 19).

(1) «شرح العقيدة الواسطية» لابن عثيمين (2/ 233 - 235) بتصرف يسير.

وَمِنْ عِلَاجِ ضَعْفِ الْإِيمَانِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : الْإِسْتِكثَارُ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَإِنَّ
لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ أَثْرًا عَظِيمًا فِي إِزْدِيَادِ الْإِيمَانِ.

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِتًا؟». قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ تَبَعَ الْيَوْمَ مِنْكُمْ جَنَازَةً؟». قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ الْيَوْمَ مِنْكُمْ مِسْكِينًا؟». قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ عَادَ الْيَوْمَ مِنْكُمْ مَرِيضًا؟». قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَا اجْتَمَعْنَ فِي أَمْرٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

وهذا - أَيُّهَا النَّاسُ - يَدُلُّ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ الْكِرَامُ مِنَ الْمُسَارَعَةِ فِي الْخَيْرَاتِ، فَغَدَا إِيْمَانُهُمْ كَالْجِبَالِ الرَّوَاسِي، أَقَامُوا الدُّنْيَا وَأَقْعَدُوهَا، وَلَمْ تَهْتَزَّ لَهُمْ شَعْرَةٌ، وَلَمْ تَلِنْ لَهُمْ قَنَاةٌ⁽²⁾؛ لِأَنَّهُمْ اسْتَجَابُوا لِأَمْرِ اللَّهِ الْقَائِلِ: ﴿وَسَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ (آل عمران: 133).

وَالْقَائِلِ: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الحديد: 21).
فتركوا الدُّنْيَا وَرَاءَهُمْ ظَهْرِيًّا تَلْبِيَةً لِنَدَاءِ الْحَقِّ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - فِي «صحيح مسلم»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رضي الله عنه فِي قِصَّةِ غَزْوَةِ بَدْرٍ: لَمَّا دَنَا الْمُشْرِكُونَ...، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «قُومُوا إِلَى جَنَّةِ عَرْضِهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ». قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحَتَّامِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: بَخِ بَخِ⁽⁴⁾.

(1) رواه مسلم (1028).

(2) القَنَاة - بالفتح - : القامة.

(3) رواه مسلم (1901).

(4) بَخِ بَخِ - بتنوين الكسْرِ وَيَجُوزُ الْإِسْكَانُ - : كلمة تُطْلَقُ لِتَعْظِيمِ الْأَمْرِ وَتَفْخِيهِ فِي الْخَيْرِ.

فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قولك بئح بئح؟» قال: لا، والله - يا رسول الله - إلا رجاءة أن أكون من أهلها. قال: «فإنك من أهلها». فأخرج تمرات من قرنيه⁽¹⁾، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، إني لأحياة طويلة، قال: فرمى بها كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل.

ومن علاج ضعف الإيمان - أيها الناس - : المداومة على العمل الصالح، قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ تَاهُونَ ﴾ (المعارج: 23)، أي: مداومون عليها، وليسوا كمن يفعلها في وقت دون وقت.

وفي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث عائشة رضي الله عنها: قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن أحب الأعمال إلى الله ما دووم عليه، وإن قل».

وكان آل محمد رضي الله عنهم إذا عملوا عملاً أثبتوه. قال النووي رحمته الله: «أي: لأزموه وداوموا عليه»⁽³⁾.

ومن علاج ضعف الإيمان - أيها الناس - : الدعاء.

ففي «مستدرک الحاكم» بسند حسن، حسنه الألباني في «الصحيحه»⁽⁴⁾ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الإيمان ليخلق⁽⁵⁾ في جوف أحدكم كما يخلق الثوب؛ فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم».

(1) القرن - بفتحين - : جعبة السهام.

(2) رواه البخاري (5861)، ومسلم (782).

(3) «شرح النووي على صحيح مسلم» (3/319).

(4) «حسن»: رواه الحاكم في «المستدرک» (4/1)، وحسنه الألباني في «الصحيحه» (1585).

(5) ليخلق: ليبتل.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ ذَكَرْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ - أَنْ تُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِنَا، وَتُجَبِّبَ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ، وَتُرْزِقَهُ فِي قُلُوبِنَا، وَتَجْعَلَنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ، غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ، إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.



ذِكْرُ شَيْءٍ مِنَ الْكَبَائِرِ

4

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَوَجَدَكُمْ مِنْهَا رُجُومًا وَيَسِّرَ لَكُمْ أَسَانِيًا وَأَتَقَرَّا

اللَّهُ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ بَعْضِ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ تَذْكَيرًا وَتَنْبِيهًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ؛ يَتَّقِي غَضَبَ اللَّهِ، وَأَلِيمَ عِقَابِهِ، فَإِنَّ اجْتِنَابَ الْمُسْلِمِ الْكَبَائِرِ مِنَ الذُّنُوبِ أَفْضَلُ مِنَ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ بِنَوَافِلِ الْعِبَادَةِ، بَلْ إِنَّ اجْتِنَابَ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ سَبَبٌ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ تُكَفِّرْ عَنْكُمْ

مَسِيئَاتِكُمْ وَتُدْخِلَنَّكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ (النساء: 31).

أَمَا كَيْفَ تَعْرِفُ الْكَبِيرَةَ مِنَ الذُّنُوبِ، فَنَحْنُ نَدْعُ الْجَوَابَ لَتَرْجُمَانِ الْقُرْآنِ، وَجِبْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: «الْكَبَائِرُ: كُلُّ ذَنْبٍ خَتَمَهُ اللَّهُ بِنَارٍ، أَوْ لَعْنَةٍ، أَوْ غَضَبٍ، أَوْ عَذَابٍ». رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ فِي «تَفْسِيرِهِ»⁽¹⁾.

وَأَمَّا عَنِّ عَدَدِهَا فَيَقُولُ: «هِيَ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ أَقْرَبُ مِنْهَا إِلَى السَّبْعِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا كَبِيرَةَ مَعَ الْإِسْتِغْفَارِ، وَلَا صَغِيرَةَ مَعَ الْإِصْرَارِ». (رواه ابن جرير)⁽²⁾.

وَأَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْهُ قَوْلَهُ: «هِيَ إِلَى سَبْعِينَ أَقْرَبُ مِنْهَا إِلَى السَّبْعِ».

وَسَوْفَ أَذْكَرُ بَعْضَ الْكَبَائِرِ عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ لَا الْحَضْرِ، فَمِنَ الْكَبَائِرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : الشُّرْكُ بِاللَّهِ، بَلْ هُوَ أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ، وَأَعْظَمُ الذُّنُوبِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَهُوَ الذَّنْبُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - إِلَّا بِالتَّوْبَةِ وَالرُّجُوعِ عَنْهُ، قَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (النساء: 48).

وَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَلَا أُبَيِّنُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ».

قُلْنَا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ.

قَالَ: «الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ - وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَكِنًا فَقَالَ: - أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ».

قَالَ: فَمَا زَالَ يُكْرِّرُهَا، حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ.

(1) «تفسير ابن جرير» (41/4).

(2) المرجع السابق (41/4).

(3) رواه البخاري (2654)، ومسلم (87).

وَمِنَ الْكِبَائِرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : الْمُوبِقَاتُ ⁽¹⁾ السَّبْعُ، وَهُنَّ: الشَّرْكَ بِاللَّهِ، وَالسَّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرَّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ ⁽²⁾ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ.

ففي «الصَّحِيحِينَ» ⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ».

قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟

قَالَ: «الشَّرْكَ بِاللَّهِ، وَالسَّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَأَكْلُ الرَّبَا، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ».

وَمِنَ الْكِبَائِرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : تَرَكَ الصَّلَاةَ كَسَلًا وَتَهَاوَنًا، أَمَا تَارَكَهَا جَاهِدًا لَوْجُوبِهَا، أَوْ مُسْتَهْزِئًا بِهَا - فَهُوَ كَافِرٌ خَارِجٌ مِنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ بِاتِّفَاقِ الْأُمَّةِ، أَمَا تَارَكَ الصَّلَاةَ تَهَاوَنًا وَكَسَلًا فَهُوَ مُرْتَكِبٌ لِكَبِيرَةٍ عَظْمَى.

ففي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» ⁽⁴⁾ مِنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشَّرْكِ وَالْكَفْرِ تَرَكَ الصَّلَاةَ».

وَمِنَ الْكِبَائِرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : مَنَعَ الزَّكَاةَ، قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَتَّخِلُونَ بِحَمَىٰ آتِنَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لِّمَنْ بَلَّ هُوَ مَرَّةً لَّمَّا سَبَطُوتُوهُنَّ مَا يَجْلُؤُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران: 180).

(1) الْمُوبِقَاتُ أَي: الْمُهْلِكَاتُ.

(2) الْمُحْصَنَاتُ: الْحَرَائِرُ الْعَفِيفَاتُ.

(3) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (2766)، وَمُسْلِمٌ (89).

(4) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (82).

وفي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالا، فلم يؤد زكاته، مثل له شجاعا أقرع⁽²⁾، له زبيبتان⁽³⁾، يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه - يعني: شدقيه - ، يقول: أنا مالك، أنا كنزك». ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَتَّخِلُونَ بِمَاءِ أَنفُسِهِمْ آلَاءَ اللَّهِ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (آل عمران: 180).

وَمِنَ الْكِبَائِرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : إِفْطَارُ يَوْمٍ فِي رَمَضَانَ بِلَا عُدْرٍ .

فقد أخرج النسائي في «الكبرى»⁽⁴⁾ بسند صحيح من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينما أنا نائم أتاني رجلان، فأخذوا بضبعي - أي: بعضدي - ، فأتيا بي جبلا وعِرا، فقالا: اضعد، فقلت: إني لا أطيعه. فقالا: سنسهله لك، فصعدت، حتى إذا كنت في سوادِ الجبل، إذا بأصواتٍ شديدة، قلت: ما هذه الأصوات؟! قالوا: هذا عواءُ أهلِ النارِ، ثم انطلقا بي، فإذا أنا بقومٍ مُعلّقين بعراقيبهم⁽⁵⁾، مُشَقّقة أشداقهم⁽⁶⁾، تسيّل أشداقهم دما، قلت: من هؤلاء؟ قال: الذين يُفطرون قبل تحلّة صومهم - أي: قبل وقت الإفطار -».

وَمِنَ الْكِبَائِرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : تَرْكُ الْحَجِّ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ .

(1) رواه البخاري (4565).

(2) الشجاع: الحية، والأقرع: الذي تَمَرَطَ شعرُ رأسه؛ لجمعه الشم فيه.

(3) الزبيبتان: النقطتان السوداوان فوق عيني الحية، وهو أوحش ما يكون من الحيات وأخبثه، وقيل: هما زبيبتان في شدقيها.

(4) «صحيح»: أخرجه النسائي في «الكبرى» (3286).

(5) العراقيب: جمع عُرقوب - بزينة عُصفور - ، وهو عصبٌ غليظٌ فوق عقيب الإنسان.

(6) الأشداق: جمع شدق - بالكسر - ، وهو جانبُ الفم.

ما أعظمه من ذنب ترك العمل بأحد أركان الإسلام مع القدرة عليه!، والله
- سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى - يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ
فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي وَعَنْ عَالَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ (آل عمران: 97).

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»^(١) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «بُنِيَ
الإسلام على خمسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ،
وَإِتْيَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ».
وَمِنَ الْكَبَائِرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : الزُّنَا.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾

(الإسراء: 32).

وفي «سنن أبي داود» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصَّحِيحَةَ»^(٢) مِنْ
حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا زَنَى الرَّجُلُ، خَرَجَ مِنْهُ
الإيمانُ، كَانَ عَلَيْهِ كَالظَّلَّةِ، فَإِذَا انْقَلَعَ رَجَعَ إِلَيْهِ الإِيمَانُ».
وَمِنَ الْكَبَائِرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : السَّرِقَةُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا
تَكْلًا مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ (المائدة: 38).

وَمِنَ الْكَبَائِرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : شُرْبُ الخَمْرِ، قَالَ اللَّهُ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا لِحَمَرٍ وَالْبَيْبَرِ وَالْأَنْصَابِ وَالْأَزْلَمِ وَجَسَمٍ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ (المائدة: 90).

(1) رواه البخاري (8)، ومسلم (16).

(2) «صحيح»: أخرجه أبو داود (4690)، وصححه الألباني في «الصَّحِيحَةَ» (509).

وفي «سنن أبي داود» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ، وَشَارِبَهَا، وَسَاقِيَهَا، وَبَائِعَهَا، وَمُبْتَاعَهَا، وَعَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ».

وبالإضافة إلى عقوبة اللعن - أيها الناس - فقد توعد الله شارب الخمر بعقوبات شديدة في الآخرة، ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ عَلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ، عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ: أَنْ يُسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْحَبَالِ». قالوا: يا رسول الله، وما طينة الحبال؟ قال: «عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ، أَوْ عَصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ».

وَيَدْخُلُ فِي الْخَمْرِ كُلُّ مَا خَمَرَ الْعَقْلَ، فَالْقَاعِدَةُ الْعَامَّةُ: أَنْ كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ.

ففي «صحيح مسلم»⁽³⁾ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ».

مُسْكِرَاتٌ - أيها الناس - خمرٌ، وإن سَمَّوْهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا، ففي «سنن أبي داود» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصَّحِيحَةُ»⁽⁴⁾ من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَيْشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا».

أيها الناس، إنَّ في الجنة أنهارًا من خمرٍ، كما قال تعالى ﴿ وَأَنْهَرٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةً لِلشَّارِبِينَ ﴾

(محمد: 15).

(1) «صحيح»: أخرجه أبو داود (3674)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (5091).

(2) رواه مسلم (2002).

(3) رواه مسلم (2003).

(4) «صحيح»: أخرجه أبو داود (3688)، وصححه الألباني في «الصَّحِيحَةُ» (90، 91).

وَمَعْنَى ﴿لَذَوِّ الشَّرِيرِينَ﴾ أَي: قَدْ نُفِيتْ عَنْهَا الْآفَاتُ الَّتِي تَمْتَنِعُ كَمَا لَ الذَّلَّةُ.

قَالَ تَعَالَى ﴿وَكُلِّمْنَا مِنْ مَعِينِ﴾ ﴿٥٨﴾ لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يُرْفُونَ ﴿٥٩﴾ (الواقعة: 18، 19).

أَي: لَيْسَ فِيهَا صُدَاعٌ، وَلَا تَذْهَبُ عُقُوبُهُمْ كَخَمْرِ الدُّنْيَا.

أَيُّهَا النَّاسُ، ذَلِكَ وَصْفُ خَمْرِ الْآخِرَةِ، لَكِنَّهُ حَرَامٌ عَلَى مَنْ شَرِبَ خَمْرَ الدُّنْيَا، إِنْ مَاتَ وَهُوَ يَشْرَبُهَا يُدْمِنُهَا، إِلَّا أَنْ يَتُوبَ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا، فَمَاتَ وَهُوَ يُدْمِنُهَا لَمْ يَتُبْ - لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الْآخِرَةِ». وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ..

الخطبة الثانية - ذِكْرُ شَيْءٍ مِنَ الْكَبَائِرِ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَمْ نَنْتَه مِنْ ذِكْرِ الْكَبَائِرِ، فَلَا يَزَالُ الشَّرِيطُ طَوِيلًا، فَمِنَ الْكَبَائِرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْكَذِبُ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«.... وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا».

(1) رواه البخاري (5575)، ومسلم (2003)، واللفظ له.

(2) رواه البخاري (6094)، ومسلم (2067).

وَمِنَ الْكِبَائِرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : الظُّلْمُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَسِعَتْ أَلْبَابُ الظُّلْمِ أَيُّ مُنْقَلَبٍ بِنَفْسٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (الشعراء: 227).

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَمِنَ الْكِبَائِرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - هَجْرُ الْأَقَارِبِ، وَتَقْطِيعُ الْأَرْحَامِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ قَهْلَ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّهُمْ أَصْنَمَهُمْ ﴿٣٣﴾) (عمد: 22، 23).

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ».

وَمِنَ الْكِبَائِرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : أَخْذُ الرِّشْوَةِ عَلَى الْحُكْمِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْخِلُوا بِهَا إِلَى الْمَسَكِينِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: 188).

وفي «مسند أحمد» بسند صحيح، صحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الرَّاشِيِ وَالْمُرْتَشِيِ»⁽³⁾.

وَالرَّاشِي - أَيُّهَا النَّاسُ - : هُوَ الَّذِي يَدْفَعُ الرِّشْوَةَ، وَالْمُرْتَشِي: الَّذِي يَأْخُذُهَا، وَالرِّشْوَةُ: مَا يُعْطَى لِإِبْطَالِ حَقٍّ، أَوْ لِإِحْقَاقِ بَاطِلٍ، أَمَّا إِذَا أُعْطِيَ لِيَتَوَصَّلَ بِهَا إِلَى

(1) رواه البخاري (2447)، ومسلم (2579).

(2) رواه البخاري (5984)، ومسلم (2556)، واللفظ لهُ.

(3) «صحيح»: أخرجه أحمد (2/164)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (5101).

حَقًّا، أو ليدفع بها عن نفسه ظلماً، ولم يكن هناك سبيل لحصول الحق، ودفع الظلم إلا بالرشوة، وليس هناك من ينصفه - فإنه - والحالة هذه - لا يدخل في اللعن.
وَمِنَ الْكِبَائِرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - اللَّعْنُ.

ففي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سبَّابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ».

وَمِنَ الْكِبَائِرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْغَدْرُ وَعَدَمُ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ، كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنْهُنَّ، كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا أُوْتِمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ».

وَمِنَ الْكِبَائِرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَذِيَّةُ الْجَارِ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بَوَائِقِهِ»⁽⁴⁾.

وَمِنَ الْكِبَائِرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَذَى الْمُسْلِمِينَ وَشَتْمُهُمْ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا

أَكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِفْمًا مُبِينًا ﴿٥٨﴾ (الأحزاب: 58).

(1) رواه البخاري (48).

(2) رواه البخاري (34)، ومسلم (58).

(3) رواه البخاري (6016)، ومسلم (46)، واللفظ له.

(4) البوائق: جمع بائقة، وهي الغائلة والداهية والفتك.

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةٌ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَ النَّاسَ اتِّقَاءَ شَرِّهِ». وَمِنَ الْكِبَائِرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - النَّمِيمَةُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ هَذَا مَثَلٌ بَشِيرٌ ۝ ﴾ (القلم: 11).

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ تَمَامٌ».

وَمِنَ الْكِبَائِرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْغِيْبَةُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَلَا يَغْتَبَ بَعْدَ بَعْضًا ﴾ (الحجرات: 12).

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي خُطْبَةٍ يَوْمَ النَّخْرِ «أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟». فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ ذَا الْحَجَّةِ؟». قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: «فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟». فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ بَلَدُ اللَّهِ الْحَرَامَ؟». قُلْنَا: بَلَى.

قَالَ: «فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟». فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّخْرِ؟». قُلْنَا: بَلَى.

قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا».

(1) رواه البخاري (6032)، ومسلم (2591).

(2) رواه البخاري (6056)، ومسلم (105)، واللفظ له.

(3) رواه البخاري (1741)، ومسلم (1679).

أَيُّهَا النَّاسُ، تِلْكَ بَعْضُ الْكِبَائِرِ، وَإِلَّا فَالْكِبَائِرُ كَثِيرَةٌ، يَجِبُ الْعِلْمُ بِهَا، وَهِيَ
 مُدَوَّنَةٌ فِي كِتَابِ «الزَّوْاجِرِ» لِلْهَيْثَمِيِّ، وَ«الْكِبَائِرِ» لِلذَّهَبِيِّ، وَ«تَنْبِيهِ الْغَافِلِينَ»
 لِلدَّمَشْقِيِّ، وَغَيْرَهَا مِنْ كُتُبِ أَهْلِ الْعِلْمِ.
 اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِلْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَجَنَّبْنَا الْكِبَائِرَ وَالْمُحَرَّمَاتِ،
 وَاحْفَظْنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ، إِنَّكَ أَنْتَ خَيْرُ حَافِظٍ، وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

من أحكام اليمين

5

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَعَلَ لَكُمُ الزَّوْجَاتِ مِنْهَا لِيُزَكِّيَنَّ مِنْكُمْ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، حديثي معكم اليوم - أيها الناس - عن أحكام اليمين.

واليمين - أيها الناس - مشروعة بالكتاب، والسنة، والإجماع.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ (المائدة: 89).

وقال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ (النحل: 91).

وفي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول

الله ﷺ: «إني والله - إن شاء الله - لا أخلف على يمين، فأرى غيرها خيرا منها، إلا أتيت الذي هو خير، وتحملتُها».

(1) رواه البخاري (6623)، ومسلم (1649).

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ لِلْيَمِينِ أَحْكَامًا لَا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَمُرَّ عَلَيْهَا مُرُورًا عَابِرًا، فَلَا بَدَّ أَنْ يَلُمَّ بِهَا، وَسَوْفَ أَذْكَرُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَمِنْ تِلْكَ الْأَحْكَامِ: أَنَّهُ يَحْرُمُ الْحَلْفُ بِغَيْرِ اللَّهِ: كَالْحَلْفِ بِالْأَمَانَةِ، وَالشَّرَفِ الْعَسْكَرِيِّ، وَالنَّبِيِّ، وَالكَعْبَةِ، وَوَلَدِي، وَحَيَاتِي، أَوْ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ لِأَدَلَّةٍ كَثِيرَةٍ، فَمِنْهَا:

مَا جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ كَاذِبًا - فَهُوَ كَمَا قَالَ».

وَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ، فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ».

وَهُنَا فَائِدَةٌ مُهِمَّةٌ مِنْ إِفَادَةِ اللَّجْنَةِ الدَّائِمَةِ لِلْإِفْتَاءِ بِالسُّعُودِيَّةِ: «الْحَلْفُ بِغَيْرِ اللَّهِ يُعْتَبَرُ شِرْكًَا أَصْغَرَ، فَإِنْ قَامَ بِقَلْبِهِ تَعْظِيمٌ لِمَنْ حَلَفَ بِهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ مِثْلَ تَعْظِيمِ اللَّهِ - فَهُوَ شِرْكٌ أَكْبَرٌ»⁽⁴⁾.

وَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽⁵⁾ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ، فَلَيْسَ مِنَّا».

(1) رواه البخاري (6647)، ومسلم (1646).

(2) رواه البخاري (1363)، ومسلم (110).

(3) «صحيح»: أخرجه أبو داود (3251)، وصحَّحه الألباني في «الإرواء» (2561).

(4) «فتاوى اللجنة الدائمة» (1/224).

(5) «صحيح»: أخرجه أبو داود (3253)، وصحَّحه الألباني في «الصَّحِيحَةِ» (94).

وَمِنْ أَحْكَامِ الْيَمِينِ: الْعِلْمُ أَنَّ الْحَلْفَ بغيرِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ كَفَّارَةٌ يَمِينٍ، كَمَا لَا يَنْعَقِدُ بِهِ الْيَمِينُ، وَلَكِنْ لَهُ كَفَّارَةٌ خَاصَّةٌ، هِيَ التَّوْبَةُ وَالْأَسْتِغْفَارُ، وَأَنْ يَأْتِيَ الْحَالِفُ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ؛ لِأَنَّهُ أَتَى شِرْكًَا، وَفَعَلَ مُحَرَّمًا، دَلِيلُنَا مَا جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ حَلَفَ مِنْكُمْ، فَقَالَ فِي حَلْفِهِ: بِاللَّاتِ، فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أَقَامِرَكَ فَلْيَصَدِّقْ بِشَيْءٍ».

وَالْأَصْلُ فِي هَذَا - أَيُّهَا النَّاسُ - قَوْلُ رَبِّنَا - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿إِنَّ الْمَسْتَنَدَ يُذْهِبُ التَّوْحِيدَ﴾ (مورد: 114).

وَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» وَ«سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «وَأَتْبَعَ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقِي حَسَنٍ».

وَمِنْ أَحْكَامِ الْيَمِينِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : الْعِلْمُ بِأَقْسَامِهَا، وَأَنَّهَا تَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: الْقِسْمُ الْأَوَّلُ - الْيَمِينُ اللَّفْوُ.

وَهِيَ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا جَمَعْتَ أَمْرَيْنِ:

الْأَوَّلُ - مَا يَجْرِي عَلَى لِسَانِ الْمُتَكَلِّمِ بِلا قَصْدٍ.

الثَّانِي - الْيَمِينُ الَّتِي يَخْلِفُهَا يَظُنُّ صِدْقَ نَفْسِهِ.

وَصُورَتُهَا: كَأَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ - مَثَلًا - : وَاللَّهِ، لَتَفَعَلَنَّ كَذَا، وَلَا وَاللَّهِ، وَبَلَى وَاللَّهِ.

(1) رواه البخاري (4860)، ومسلم (1647).

(2) «حسن»: أخرجه أحمد (153/5)، والتِّرْمِذِيُّ (1987)، وحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (1/97).

وقد جاء هذا في «صحيح البخاري»⁽¹⁾ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أنزلت هذه الآية: ﴿لَا يُكْفِرُنَّ لِحَدِيثِ اللَّهِ إِذْ يُذَكَّرُونَ بِاللَّغْوِ﴾ في قول الرجل: لا والله، وبلى والله».

وحكم اليمين اللغو: لا كفارة فيها ولا شيء؛ لعدم انعقاد القلب عليها، دليلنا قول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿لَا يُؤْخَذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ إِذْ تُبَيِّنُونَ﴾ (المائدة: 89).

فإنه - سبحانه وتعالى - : نفى المؤاخذة عليها، وهذا يقتضي رفع حكمها، وعدم لزوم الكفارة فيها.

والقسم الثاني من أقسام اليمين - اليمين الغموس:

وهي من كبائر الذنوب، وسميت بذلك؛ لأنها تغمس صاحبها في الإثم، ثم في النار. والمراد باليمين الغموس: التي يخلفها على أمر ماضٍ كاذباً علماً، واليمين التي يخلفها كاذباً؛ ليقطع بها مال امرئ مسلم.

ففي «صحيح البخاري»⁽²⁾ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، ما الكبائر؟ قال: «الإشراك بالله». قال: ثم ماذا؟ قال: «ثم عقوق الوالدين». قال: ثم ماذا؟ قال: «اليمين الغموس». قلت: وما اليمين الغموس؟ قال: «الذي يقطع مال امرئ مسلم، هو فيها كاذب».

فالحديث - أيها الناس - صريح في تفسير اليمين الغموس.

واليمين الغموس - أيها الناس - لا كفارة فيها على الصحيح، وهو قول جمهور العلماء.

(1) رواه البخاري (4613).

(2) رواه البخاري (6920).

ففي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بسندٍ حسنٍ، حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَمْسٌ لَيْسَ لهنَّ كَفَّارَةٌ». وَذَكَرَ مِنْهُنَّ: «الْحَلْفُ عَلَى يَمِينٍ فَاجِرَةٌ؛ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ». وَالْقِسْمُ الثَّلَاثُ مِنْ أَقْسَامِ الْيَمِينِ - الْيَمِينِ الْمَكْفَرَةُ:

أَيُّ: الْمُتَعَقِدَةُ عَلَى أَمْرٍ مُسْتَقْبَلٍ هِيَ الَّتِي تَجِبُ فِيهَا الْكَفَّارَةُ، وَلَا تَجِبُ الْكَفَّارَةُ إِلَّا بِشُرُوطٍ، مِنْهَا:

الشَّرْطُ الْأَوَّلُ - الْعَقْلُ: فَإِنْ كَانَ مَجْنُونًا، لَمْ تَنْعَقِدْ يَمِينُهُ.

الشَّرْطُ الثَّانِي - الْبُلُوغُ: فَإِنْ كَانَ غَيْرَ مُمَيِّزٍ، فَيَمِينُهُ غَيْرُ مُعْتَمَدَةٍ.

الشَّرْطُ الثَّلَاثُ - الْاِخْتِيَارُ: فَإِنْ كَانَ مُكْرَهًا، أَوْ مُخْطَأً نَاسِيًا - لَمْ تَنْعَقِدْ يَمِينُهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ مَتَى اسْتَشْنَى الْحَالِفُ، فَقَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَعَ يَمِينِهِ، لَمْ يَخْنَثْ فِيهَا، وَلَمْ تَلْزَمَهُ الْكَفَّارَةُ، دَلِيلُنَا قَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ (الكهف: 69).

وَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» وَ«سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ، فَقَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ - فَقَدْ اسْتَشْنَى». وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «حَسَنٌ»: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (2/361)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (8/193).

(2) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (2/6)، وَأَبُو دَاوُدَ (3261)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» (2794).

الخطبة الثانية - كفارة اليمين :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد - أيها الناس - تقدم الحديث معكم عن بعض أحكام اليمين، والآن حديثي معكم عن مَرَبِطِ الفرس، وبيت القصيد، ألا وهو كفارة اليمين.

أيها الناس، شرع الله - سبحانه وتعالى - الكفارات سِتْرًا للذنوب، وتمحيصًا لها، وتهذيبًا للنفوس، ومن تلك الكفارات كفارة اليمين، وهي واجبة بالكتاب، والسنة، والإجماع.

أما الكتاب فقوله - تعالى - : ﴿ وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ (المائدة: 89).

ومن حفظ اليمين - أيها الناس - : التَّكْفِيرُ بَعْدَ الْحِنْثِ⁽¹⁾.

وقال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ﴾ (التحریم: 2).

والتَّحِلَّةُ - أيها الناس - : هي الكفارة؛ لأنها تحل اليمين، وقد فرضها الله

- سبحانه وتعالى - .

وأما السنة ففي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث عبد الرحمن بن سمره رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا - فَأَتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَكَفِّرْ عَن يَمِينِكَ».

(1) الحنث - بالكسر - : الحلف في اليمين.

(2) رواه البخاري (6722)، ومسلم (1652).

وَأَمَّا الإِجْمَاعُ فَقَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ رحمته: «وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنْ مَنْ حَلَفَ بِاسْمِ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ، ثُمَّ حَنَثَ - أَنْ عَلَيْهِ الْكُفَّارَةُ»⁽¹⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ، كَفَّارَةُ الْيَمِينِ الْمُنْعَقِدَةِ - إِذَا حَنَثَ مِنْهَا الْحَالِفُ - هِيَ: إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ، أَوْ كَسْوَتُهُمْ، أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُسْلِمَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ، فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَةٍ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرْتُهُمْ بِإِطْعَامِ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرَ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ (المائدة: 89).

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ بَيَّنَّتِ الْآيَةُ كَفَّارَةَ الْيَمِينِ أَتَمَّ بَيَانٍ، فَقَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿فَكَفَّرْتُهُمْ﴾ أَيُّ: كَفَّارَةُ الْيَمِينِ الَّتِي عَقَدْتُمُوهَا بِقَصْدِكُمْ، وَقَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ﴾.

وَذَلِكَ الْإِطْعَامُ - أَيُّهَا النَّاسُ - كَمَا بَيَّنَّهُ رَبُّنَا - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - بِقَوْلِهِ: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾.

وَلَهُ صِفَتَانِ:

الصِّفَةُ الْأُولَى - إِذَا أَنْ يَضَعُ طَعَامًا، أَوْ يَشْتَرِيَهُ لَهُمْ، فَيُطْعِمُهُمْ جَمِيعًا، وَهَذَا جَائِزٌ. الصِّفَةُ الثَّانِيَةُ - وَيُرَادُ بِهَا التَّقْدِيرُ، وَهِيَ: أَنْ يُعْطِيَ كُلَّ مَسْكِينٍ كِيلُو مِنَ الْأَرْزِ، أَوْ الْقَمْحِ، أَوْ مَا يَقُومُ مَقَامَهُمَا مِنَ الطَّعَامِ، فَيَكُونُ الْجَمِيعُ عَشْرَةَ كِيلُو جَرَامًا، وَهَذَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْعَلَامَةُ النُّجُمِيُّ رحمته فِي بَحْثِ قِيَمٍ، حَيْثُ نَصَرَ الْقَوْلَ بِأَنَّ التَّقْدِيرَ عَشْرَةُ كِيلُو جَرَامًا - وَأَبْطَلَ جَمِيعَ التَّقْدِيرَاتِ بِأَدَلَّةٍ كَالشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ رحمته، وَغَفَرَ لَهُ.

(1) «الإجماع» (ص 137).

ثانياً - الكِسْوَةُ:

بَيْنَ اللَّهِ - سبحانه وتعالى - أَنَّهَا نَوْعٌ مِنَ الْأَنْوَاعِ الَّتِي تَتِمُّ بِهَا الْكَفَّارَةُ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ دَلِيلٌ شَرْعِيٌّ يُبَيِّنُ الْقَدْرَ الْوَاجِبَ مِنَ الْكِسْوَةِ، وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ الْمَرْجِعَ إِلَى عُرْفِ كُلِّ بَلَدٍ، وَالْكَسْوَةُ: هِيَ الَّتِي تُجْزَى فِي الصَّلَاةِ.

ثالثاً - تَحْرِيرُ الرَّقَبَةِ:

وَهَذَا هُوَ النَّوْعُ الثَّلَاثُ مِنْ أَنْوَاعِ كَفَّارَةِ الْيَمِينِ، وَدَلِيلُهُ قَوْلُهُ - تَعَالَى - ﴿ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبٍ ﴾ أَي: عِتْقُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ، كَمَا قَيَّدَتْ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ، فَمَتَى فَعَلَ وَاحِدًا مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ، فَقَدْ انْحَلَّتْ يَمِينُهُ.

رابعاً - الصَّيَامُ: وَالصَّيَامُ - أَيُّهَا النَّاسُ - : هُوَ صِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتتَابِعَةٍ، لَا انْقِطَاعَ بَيْنَهَا.

وَتَأَمَّلُوا مَعِيَ قَوْلَهُ - تَعَالَى - ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ ﴾ أَي: وَاحِدَةً مِنَ الثَّلَاثِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَهِيَ: الْإِطْعَامُ، وَالْكَسْوَةُ، وَتَحْرِيرُ الرَّقَبَةِ - فَعَلِيهِ بِمَا يَأْتِي، وَهُوَ قَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ﴾.

فَكَفَّارَةُ الْيَمِينِ - أَيُّهَا النَّاسُ - جَمَعَتْ بَيْنَ التَّرْتِيبِ وَالتَّخْيِيرِ، فَالتَّخْيِيرُ فِيهَا سَبَقَ (أَي: هُوَ مُخَيَّرٌ بَيْنَ الْإِطْعَامِ وَالْكَسْوَةِ وَتَحْرِيرِ رَقَبَةٍ) فَإِنْ تَعَدَّرَ ذَلِكَ، رَجَعَ إِلَى الصَّوْمِ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْعِلْمَ، وَارْزُقْنَا مِنْهُ، وَكْرَهُ إِلَيْنَا الْجَهْلَ، وَاصْرِفْنَا عَنْهُ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ.

الاستخارة (*)

6

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَنَاحٍ وَإِنَّا زَوْجَاهُمْ وَأَنْتُمْ فَسَلَةٌ وَأَنْتُمْ﴾

اللَّهُ الَّذِي تَسَلُّونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ الْإِسْتِخَارَةِ.

وَالْإِسْتِخَارَةُ لُغَةً: هِيَ طَلَبُ الْخَيْرِ مِنَ اللَّهِ فِي أَمْرٍ يَقْدُمُ الْإِنْسَانُ عَلَى فِعْلِهِ.

وَشَرْعًا: دُعَاءٌ مَخْصُوصٌ يَدْعُو بِهِ الْمُسْلِمُ عَقِبَ صَلَاةِ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، يَسْأَلُ فِيهِ رَبَّهُ أَنْ يَخْتَارَ لَهُ الْخَيْرَ فِي فِعْلٍ شَيْءٍ مَشْرُوعٍ أَوْ تَرْكِه.

سَنَّهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْمُسْلِمِينَ، بَلْ إِنَّهُ ﷺ كَانَ يُعَلِّمُ صَحَابَتَهُ دُعَاءَ الْإِسْتِخَارَةِ، كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ.

(*) انظر «البشارة في أحكام الاستخارة» لأحمد حمدان، فقد استفدت منه في إعداد هذه الخطبة، جزاه الله خيراً.

ففي «صحيح البخاري»^(١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يُعَلِّمُنَا الاستخارةَ في الأمورِ كُلِّهَا، كما يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: «إِذَا هُمْ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ، فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ - وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ - خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي، وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِي، وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي، وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْني عَنْهُ، وَاقْدِرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي بِهِ»

أَيُّهَا النَّاسُ، الاستخارةُ مِنَ الدَّلَائِلِ الظَّاهِرَةِ عَلَى صِدْقِ إِيْمَانِ الْعَبْدِ بَرَبِّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ، والاعترافُ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، والألوهِيَّةِ، والأسماءِ والصِّفَاتِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ لَا يَفْزَعُ إِلَى استخارةِ رَبِّهِ فِيهَا يَعْرِضُ لَهُ مِنَ الْأُمُورِ - إِلَّا وَهُوَ يُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَلِكُ الْحَقُّ، الْمُتَصَرِّفُ فِي الْكَوْنِ، الْمُتَّصِفُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ كُلِّهَا، الْمُتَزَّهِ عَنْ صِفَاتِ النَّقْصِ كُلِّهَا، دِقَّهَا وَجِلَّهَا.

فَهُوَ الْعَلِيمُ: الَّذِي يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ، لَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا سَيَكُونُ بِعِلْمِهِ الْوَاسِعِ الْمُحِيطِ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَيَعْلَمُ مَا يَنْفَعُ الْعَبْدَ، وَمَا يَضُرُّهُ، وَمَا يُصْلِحُهُ، وَمَا يُفْسِدُهُ.

وَهُوَ الْقَدِيرُ: الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، إِذَا أَرَادَ شَيْئًا كَانَ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُيسِّرَ أَمْرًا، لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ تَعْسِيرَهُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

(١) رواه البخاري (1162).

وَهُوَ الْمَلِكُ: الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَلَا يَتَحَرَّكُ فِي الْكَوْنِ مُتَحَرِّكًا، وَلَا يَسْكُنُ فِي الْكَوْنِ سَاكِنًا إِلَّا بِإِذْنِهِ، قَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّمَا تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ وَإِذَا أُرِدْتُمْ أَنْ تَهْتَكُوا مَسْجِدَنَا بِمَا نَكُفِّرُ بَعْدَ إِذْ عَلَّمْنَا بِهِ لَا تَتَحَرَّكُوا فِي الْكَوْنِ مُتَحَرِّكِينَ وَلَا يَسْكُنُوا فِي الْكَوْنِ سَاكِنِينَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَلِيمِ﴾ (النحل: 40).

وَهُوَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ: الَّذِي يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَيُعْطِي مَنْ يَشَاءُ، وَيَتَفَضَّلُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَيَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

فَدُعَاءُ الْاسْتِخَارَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَضَمَّنَ: الْإِقْرَارَ بِوُجُودِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - ، بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَتَقْوِيضَ الْأَمْرِ إِلَيْهِ، وَالِاسْتِعَانَةَ بِهِ، وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ، وَالخُرُوجَ مِنْ عَهْدَةِ نَفْسِهِ، وَالتَّبَرِّيَ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ إِلَّا بِهِ، وَاعْتِرَافَ الْعَبْدِ بِعَجْزِهِ عَنْ عِلْمِهِ بِمَصْلَحَةِ نَفْسِهِ، وَقُدْرَتِهِ عَلَيْهَا، وَإِرَادَتِهِ لَهَا، وَأَنَّ ذَلِكَ كُلُّهُ بِيَدِ وَلِيِّهِ وَفَاطِرِهِ وَإِلَهِهِ الْحَقِّ، كَمَا قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رحمته (1).

أَيُّهَا النَّاسُ، الْاسْتِخَارَةُ إِنَّمَا تَكُونُ فِي الْأُمُورِ الْمُبَاحَاتِ، وَلَا تَكُونُ فِي الْمُسْتَحَبَّاتِ، وَلَا الْوَاجِبَاتِ، وَكَذَلِكَ لَا تَكُونُ فِي الْمَكْرُوهَاتِ، وَلَا الْمَحْرَمَاتِ. فَلَا يَسْتَخِيرُ رَجُلٌ - مَثَلًا - كِي يُصَلِّيَ نَافِلَةً الظُّهْرِ، وَلَا يَسْتَخِيرُ لَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَلَا لَصَوْمِ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ لَا يَسْتَخِيرُ لِلشُّرْبِ قَائِمًا، وَلَا يَسْتَخِيرُ كِي يَسْرِقَ، وَلَا يَسْتَخِيرُ فِي أَصْلِ الزَّوْاجِ، وَلَكِنْ إِنْ اسْتَخَارَ فِي أَمْرِ الزَّوْاجِ يَسْتَخِيرُ فِي الَّتِي يَتَزَوَّجُهَا، وَيَسْتَخِيرُ فِي وَقْتِ الزَّوْاجِ، وَأَهْلِ الْعَرُوسِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَكَذَلِكَ يُسْتَخَارُ فِي الْوَاجِبَاتِ الَّتِي وَقْتُهَا مُوسَّعٌ: كَالْحَجِّ - عِنْدَ مَنْ يَرَى أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى التَّرَاحِي، وَهَذَا عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ - بِمَعْنَى: أَنَّهُ يَسْتَخِيرُ هَلْ يَحُجُّ هَذَا الْعَامَ، أَوِ الَّذِي يَلِيهِ؟.

(1) «زاد المعاد» (2/444).

وكذلك يجوز أن يستخار في المستحبات عند تواردها، وتعارضها، فمثلاً: أراد رجل أن يتطوع بعمره، وبدأ له أن يذهب لمكان آخر لتعلم العلم الشرعي لخدمة دينه، وأهل بلده، فيجوز له حينئذ أن يستخار⁽¹⁾.

أيها الناس، سمعتم أنه لا تجوز الاستخارة في أصل الزواج - أي: هل يتزوج المرء أم يترك الزواج - نعم، لا تجوز الاستخارة هكذا؛ لأن الله - سبحانه وتعالى - أمر بالزواج، فقال: ﴿وَالنِّكَاحُ الْأَيْمَنُ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ (النور: 32).

وفي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة (أي: القدرة على الزواج) فليتزوج». فليتزوج».

ولكن إذا استخار في أمر الزواج، يستخير في التي يتزوجها، ويستخير في وقت الزواج، وأهل العروس، ونحو ذلك⁽³⁾.

فهذا الذي يجب أن يستخير حوله، وقد تقدم أن الواجبات، والمستحبات، والمكروهات، والمحرمات - لا استخارة فيها، وإنما الاستخارة في الأمور المباحات، فمتى أقدم رجل على خطبة امرأة، وقويت نيته، ورأى في مخطوبته الصفات الحسنة - ومنها الدين - استخار ربه، وكذلك المرأة؛ لما في «صحيح مسلم»⁽⁴⁾ من حديث أنس رضي الله عنه: أن أم المؤمنين زينب رضي الله عنها استخارت ربها حين أرسل النبي صلى الله عليه وسلم لخطبتها،

(1) «جامع أحكام النساء» للعدوي (218 / 3).

(2) رواه البخاري (1905)، ومسلم (1400).

(3) «جامع أحكام النساء» (218 / 3).

(4) رواه مسلم (1428).

فَقَالَتْ: «مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئًا، حَتَّى أُوَامِرَ رَبِّي». فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا (أَي: مَوْضِعِ صَلَاتِهَا مِنْ بَيْتِهَا)، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ، وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ.

أَيُّهَا النَّاسُ، هُنَاكَ أُمُورٌ فِي الزَّوْجِ لَا تَحْتَاجُ إِلَى اسْتِخَارَةٍ، فَإِذَا تَقَدَّمَ لِمَرْأَةٍ رَجُلٌ خَارٌّ أَوْ فَاسِقٌ مِنَ الْفُسَّاقِ، أَوْ مُفَرِّطٌ فِي دِينٍ - فَعَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تَرْفُضَ مَنْ هَذَا حَالُهُ، وَكَذَلِكَ الرَّجُلُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، الْبَعْضُ يَنْتَظِرُ بَعْدَ الْاسْتِخَارَةِ انْشِرَاحَ صَدْرِهِ، أَوْ رُؤْيَا مَنَامِيَّةٍ، وَهَذَا لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ.

قَالَ ابْنُ الزُّمَلِكَانِيِّ رحمته: «إِذَا صَلَّى الْإِنْسَانُ رُكْعَتِي الْاسْتِخَارَةِ لِأَمْرٍ، فَلْيَفْعَلْ بَعْدَهَا مَا بَدَأَ لَهُ، سِوَاءِ انْشَرَحَتْ نَفْسُهُ أَمْ لَا؛ فَإِنَّ فِيهِ الْخَيْرَ، وَإِنْ لَمْ تَنْشِرْخْ لَهُ نَفْسُهُ». قَالَ: «وَلَيْسَ فِي الْحَدِيثِ اشْتِرَاطُ انْشِرَاحِ النَّفْسِ»⁽¹⁾.

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «طَبَقَاتُ الشَّافِعِيِّ» (9/206).

الخطبة الثانية - من فوائد الاستخارة :

الحمدُ لله ربَّ العالمين، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على أشرفِ المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعدُ - أيها النَّاسُ - تقدّم الحديثُ معَكُمْ عن الاستخارة، والآن حديثي معَكُمْ عن ذكرِ شيءٍ من فوائدها.

فمن فوائد الاستخارة:

الاستجابةُ لأمرِ رسولِ الله ﷺ، حيثُ قال: «إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ، فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ.....»⁽¹⁾.

ومن فوائد الاستخارة - أيها النَّاسُ - : تحقيقُ العبوديّة، وذلك بالتوجّه إلى الله بالصَّلَاةِ والدَّعَاءِ، وهما من أجلِّ العبادَةِ.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديثِ ربيعةَ بنِ مالكِ الأَسلميِّ رضي الله عنه قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «سَلْ». فقلتُ: أسألكَ مُرافقتَكَ في الجنّة. فقال: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ». قلتُ: هوَ ذاك. قال: «فَاعِنِي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ». والمقصودُ بـ«بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»: الصَّلَاةُ.

وفي «سنن أبي داود» بسندٍ صحيح، صحّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»⁽³⁾ من حديثِ النُّعمانِ بنِ بشيرٍ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «الدَّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ».

(1) تقدّم تخریجه.

(2) رواه مسلم (489).

(3) «صحيح»: أخرجه أبو داود (1479)، وصحّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (3407).

وَمِنْ فَوَائِدِ الاسْتِخَارَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : إِيْمَانُ الْعَبْدِ بِأَنَّهُ لَا يَقَعُ فِي الْكَوْنِ إِلَّا مَا أَرَادَهُ اللَّهُ وَاخْتَارَهُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَرَدُّكَ بِخَلْقِ مَا يَشَاءُ وَبِخِتَارِ مَا كَانَ لَهُمُ الْغِيورَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٦٨) (القصص: 68).

قال ابن كثير رحمته : «يخبر - تعالى - : أَنَّهُ الْمُنْفَرِدُ بِالْخَلْقِ وَالِاخْتِيَارِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ فِي ذَلِكَ مُنَازَعٌ، وَلَا مُعَقَّبٌ ... فَمَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، فَالْأُمُورُ كُلُّهَا خَيْرُهَا وَشَرُّهَا بِيَدِهِ، وَمَرْجِعُهَا إِلَيْهِ»⁽¹⁾.

وَمِنْ فَوَائِدِ الاسْتِخَارَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : أَنَّهُا مِنْ أَسْبَابِ سَعَادَةِ الْعَبْدِ لِتَوَكُّلِهِ عَلَى رَبِّهِ، وَرِضَاهُ بِمَا يَقْضِيهِ لَهُ.

قال ابن القيم رحمته : «فَتَأَمَّلْ كَيْفَ وَقَعَ الْمَقْدُورُ مُكْتَنَفًا بِأَمْرَيْنِ :

التَّوَكُّلِ الَّذِي هُوَ مَضْمُونُ الاسْتِخَارَةِ قَبْلَهُ، وَالرِّضَى بِمَا يَقْضِي اللَّهُ لَهُ بَعْدَهُ، وَهُمَا عِنْوَانُ السَّعَادَةِ. وَعِنْوَانُ الشَّقَاءِ: أَنْ يَكْتَنِفَهُ تَرْكُ التَّوَكُّلِ وَالِاسْتِخَارَةِ قَبْلَهُ، وَالسَّخَطُ بَعْدَهُ»⁽²⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ، تِلْكَ الْإِسْتِخَارَةُ، وَتِلْكَ بَعْضُ فَوَائِدِهَا، فَالزُّمُوهَا؛ فَإِنَّهَا تَكَادُ أَنْ تَكُونَ سُنَّةً مَنْسِيَةً عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ.

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ، وَالْعَمَلِ بِهَا، اللَّهُمَّ فَفَقِّهْنَا فِي الدِّينِ، وَارْزُقْنَا الْحِكْمَةَ، وَعَلِّمْنَا التَّأْوِيلَ، وَوَفِّقْنَا إِلَى مَا فِيهِ رِضَاكَ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

(1) تفسير ابن كثير (6/98).

(2) «زاد المعاد» (2/444).

أُسُسُ اخْتِيَارِ الزَّوْجَةِ

(7)

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِلْدٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ عَنْ أُسُسِ اخْتِيَارِ الزَّوْجَةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، الزَّوْجَةُ سَكَنٌ لَزَوْجِهَا، وَحَرْثٌ لَهُ، وَهِيَ فَهْوَى فُؤَادِهِ، وَرَبَّةٌ بَيْتِهِ، وَأُمُّ أَوْلَادِهِ، عَنْهَا يَأْخُذُونَ صِفَاتِهِمْ وَطِبَاعَهُمْ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ عَلَى قَدْرِ عَظِيمٍ مِنَ الدِّينِ وَالْخُلُقِ، فَيَسِلَ الزَّوْجُ فِي تَكْوِينِ أُسْرَةٍ صَالِحَةٍ؛ لِهَذَا كَانَ أُسُسَ اخْتِيَارِ الزَّوْجَةِ: أَنْ تَكُونَ ذَاتَ دِينٍ وَخُلُقٍ لِأَدَلَّةٍ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا:

قَوْلُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: 13).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَالْكُفْرَ الْأَيْمَنَ بِكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ مُبَاوِكُمْ وَلِمَا هُمْكُمْ ﴾

(النور: 32).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ فَالصَّالِحِينَ قَنْتَنَتْ حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ

أَقَّة ﴾ (النساء: 34).

وَمَا جَاءَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: مَا أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ⁽¹⁾ عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ رحمته فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿ قَنْتَنَتْ ﴾ : «يَعْنِي: مُطِيعَاتِ اللَّهِ وَلِأَزْوَاجِهِنَّ».

وَقَالَ فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿ حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ : «حَافِظَاتُ لِأَزْوَاجِهِنَّ لِمَا غَابَ مِنْ شَأْنِهِنَّ».

وَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «تُنَكِّحُ الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاطْفَرُ بَدَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ».

فَقَوْلُهُ: «تَرَبَّتْ يَدَاكَ». أَيُّ: التَّصَقَّتَا بِالتُّرَابِ، فَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ الدُّعَاءُ عَلَى الْمَرْءِ، بَلِ الْمُبَالِغَةُ فِي التَّخْرِيطِ عَلَى الشَّيْءِ، وَالْحَثُّ عَلَى الْأَخْذِ بِهِ⁽³⁾.

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِهَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ».

(1) «صحيح»: أخرجه ابنُ جريرٍ في «تفسيره» (39 / 5).

(2) رواه البخاريُّ (5090)، ومسلم (1466).

(3) انظر «جامع الأصول» (430 / 11)، و«عَوْنُ الْمَعْبُودِ» (40 / 6).

(4) رواه مسلم (1467).

وفي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيح»⁽¹⁾ من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء. وأربع من الشقاء: الجار السوء، والمرأة السوء، والمركب السوء، والمسكن الضيق».

وفي «مسند أحمد» و«سنن ابن ماجه والترمذي» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽²⁾ من حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليتخذ أحدكم قلبًا شاكراً، ولسانًا ذاكراً، وزوجةً مؤمنةً، تُعينه على أمر الآخرة». أيها الناس، إن الإسلام ليُفضل ذات الدين على غيرها، ولو كانت أمة.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَأَمَّا الْمُؤْمِنَةُ فَخَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَكَوْا عَجَبًا لَكُمْ﴾

(البقرة: 221).

أيها الناس، ليختر العاقل لنفسه - أو لولده - من اللاتي ذكهن الله في كتابه، فقال: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَنِينَاتٌ حَافِظَاتٌ لَلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ (النساء: 34).

وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن خير النساء، فقال: (كما في «مسند أحمد» بسند حسن، حسنه الألباني في «الصحيح»⁽³⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه) «التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا ماله بما يكره».

(1) «صحيح»؛ أخرجه أحمد (1/ 118)، وابن جبان في «صحيحه» (1232)، وصححه الألباني في «الصحيح» (282).

(2) «صحيح»؛ أخرجه أحمد (5/ 278)، وابن ماجه (1856)، والترمذي (3093)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (5355).

(3) «حسن»؛ أخرجه أحمد (4/ 341)، وحسنه الألباني في «الصحيح» (1838).

وَمِنْ أَسُسِ اخْتِيَارِ الزَّوْجَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : أَنْ تَكُونَ وَلُودًا؛ لِأَنَّ طَلَبَ الذَّرِّيَّاتِ الصَّالِحَةِ مِنْ أُمْنِيَّاتِ الْمُؤْمِنِينَ، بَلْ هُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِمْ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۗ ﴾ (الفرقان: 74).

وفي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «الإرواء»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ؛ فَإِنَّ مَكَايِرَ بَكُمْ الْأُمَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

فَالْحَدِيثُ - أَيُّهَا النَّاسُ - قَدْ حَثَّ عَلَى الْوَلُودِ مِنَ النِّسَاءِ، وَتُعْرَفُ الْوَلُودُ - أَيُّهَا النَّاسُ - بِالنَّظَرِ إِلَى حَالِهَا مِنْ كَمَالِ جِسْمِهَا، وَسَلَامَةِ صِحَّتِهَا مِنَ الْأَمْرَاضِ الَّتِي تَمْنَعُ الْحَمْلَ أَوْ الْوِلَادَةَ، وَبِالنَّظَرِ إِلَى حَالِ أُمَّهَا، وَقِيَاسِهَا عَلَى مَثِيلَاتِهَا: مِنْ أَخَوَاتِهَا، وَعَمَّاتِهَا، وَخَالَاتِهَا الْمُتَزَوِّجَاتِ، فَإِنْ كُنَّ مَمَّنْ عَادَتِهِنَّ الْحَمْلُ وَالْوِلَادَةُ، كَانَتْ - فِي غَالِبِ أَمْرِهَا - مِثْلَهُنَّ⁽²⁾.

كَمَا حَثَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الزَّوْاجِ بِالْوَدُودِ - وَهِيَ: الَّتِي تُقْبَلُ عَلَى زَوْجِهَا، فَتُحِيطُهُ بِالْمَوَدَّةِ وَالْحُبِّ وَالرَّعَايَةِ، وَتَحْرِصُ عَلَى طَاعَتِهِ وَمَرْضَاتِهِ؛ يَتَحَقَّقُ بِهَا الْهَدَفُ الْأَسَاسِيُّ مِنَ الزَّوْاجِ، وَهُوَ السَّكَنُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - فِي وَصْفِ الْخُورِ الْعَيْنِ:

﴿ جَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ۖ عُرًّا أَزْوَاجًا ۗ ﴾ (الواقعة: 36، 37).

(1) «صحيح»: أخرجه أحمد (3/158)، وصححه الألباني في «الإرواء» (1784).

(2) انظر «أسس اختيار الزوجة»، بحث أعدّه مصطفى الصياحنة في «مجلة البحوث» العدد 24 (ص 250). وقد استفدت منه في إعداد هذه الخطبة، جزاه الله خيراً.

والعَرُوبُ: هي المرأة المتحبة إلى زوجها الودودة.

وقد قال رسول الله ﷺ كما في الحديث السابق: «تزوجوا الودود الودود».

وأثنى رسول الله على نساء قريش بقوله (كما في «الصحيحين»⁽¹⁾) من حديث أبي هريرة رضي عنه: «نساء قريش خير نساء ركين الإبل؛ أحناء على طفل في صغره، وأزعاة على زوج في ذات يده». وفي رواية لهما: «خير نساء ركين الإبل صالح نساء قريش».

فقد وصفهن ﷺ بالشفقة على أطفالهن، والرأفة بهن، والعطف عليهن، وبأنهن يرعين حال أزواجهن، ويرفقن بهن، ويخففن الكلف عنهن، فواحدتهن تحفظ مال زوجها، وتصونه بالأمانة والبعد عن التبذير، وإذا افتقر كانت عوناً له وسنداً، لا عدواً وخصماً.

وأخرج البيهقي في «سننه»⁽²⁾ بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيحة»⁽³⁾ من حديث أبي أذينة الصديقي رضي عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «خير نساءكم الودود، الودود، المواتية، المواسية، إذا اتقين الله».

ويحسن أن تكون المرأة ذات حسب وجمال؛ لأن من اتصفت بالحسب تكون في الغالب حريصة على صلاح الأسرة، وصيان شرف البيت، وقد قال رسول الله ﷺ: «تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها....»⁽⁴⁾.

(1) رواه البخاري (5365)، ومسلم (2527).

(2) انظر «مجلة البحوث» العدد 24 (ص 250).

(3) «صحيح»: أخرجه البيهقي في «سننه» (82/7)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (1849).

(4) تقدم تخریجُهُ.

وَالْحَسَبُ: هُوَ الشَّرْفُ بِالْآبَاءِ وَالْأَقَارِبِ، مَا أُخُوذُ مِنَ الْحِسَابِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَفَاخَرُوا عَدَدُوا مَنَاقِبَهُمْ، وَمَا تَرَّ آبَائِهِمْ وَقَوْمِهِمْ وَحَسَبُوهَا.

وَيُؤْخَذُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمَذْكُورَةِ أَنَّ الشَّرِيفَ النَّسِيبَ يُسْتَحَبُّ لَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِذَاتِ حَسَبٍ وَنَسَبٍ مِثْلِهِ، إِلَّا إِنْ تَعَارَضَ نَسِيبُهُ غَيْرُ دِينِيَّةٍ وَغَيْرُ نَسِيبِيَّةٍ دِينِيَّةٍ - فَتَقَدَّمَ ذَاتُ الدِّينِ، وَهَكَذَا فِي كُلِّ الصِّفَاتِ⁽¹⁾.

وَبَدِيهِي أَنْ الرَّجُلَ إِذَا تَزَوَّجَ الْمَرْأَةَ الْحَسِيبَةَ الْمُنْحَدِرَةَ مِنْ أَصْلٍ كَرِيمٍ - أَنْجَبَتْ لَهُ أَوْلَادًا مَفْطُورِينَ عَلَى مَعَالِي الْأُمُورِ، مُتَطَبِّعِينَ بِعَادَاتِ أَصِيلَةٍ، وَأَخْلَاقِ قَوْمِيَّةٍ؛ لِأَنَّهُمْ سِيرَضَعُونَ مِنْهَا لَبَانَ الْمَكَارِمِ، وَيَكْتَسِبُونَ خِصَالَ الْحَيْرِ⁽²⁾.

وَأَمَّا الْجَمَالُ فَهُوَ مَطْلُوبٌ مَرْغُوبٌ؛ لِيَحْصَلَ بِهِ لِلزَّوْجِ تَمَامُ الْعِفَّةِ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ النِّسَاءِ الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ»⁽³⁾.

وَقَالَ: «تُنَكِّحُ الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا»⁽⁴⁾.

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽⁵⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَأَخْبَرَهُ: أَنَّهُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْظَرْتَ إِلَيْهَا؟». قَالَ: لَا.

قَالَ: «فَاذْهَبْ فَاَنْظُرْ إِلَيْهَا؛ فَإِنَّ فِي أَعْيُنِ الْأَنْصَارِ شَيْئًا».

(1) انظر «الفتح» (135/9)، و«عَوْنُ الْمَعْبُودِ» (42/6).

(2) انظر «مجلة البحوث» العدد 24 (ص 257).

(3) تقدّم تخريجُهُ.

(4) تقدّم تخريجُهُ.

(5) رواه مسلم (1424).

قال صاحب «عَوْنِ الْمَعْبُودِ» رحمته: «يُؤْخَذُ مِنَ الْأَحَادِيثِ اسْتِحْبَابُ تَزْوِجِ الْجَمِيلَةِ، إِلَّا إِذَا كَانَتْ الْجَمِيلَةُ غَيْرَ دِينِيَّةٍ، وَالَّتِي أَدْنَى مِنْهَا جَمَالًا مُتَدَيِّنَةً - فَتُقَدَّمُ ذَاتُ الدِّينِ، أَمَا إِذَا تَسَاوَتَا فِي الدِّينِ فَالْجَمِيلَةُ أَوْلَى»⁽¹⁾.
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية - أسس اختيار الزوج :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ عَنْ أُسُسِ اخْتِيَارِ الزَّوْجَةِ، وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ أُسُسِ اخْتِيَارِ الزَّوْجِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ يَجِبُ عَلَى وِئِي الْمَرْأَةِ أَنْ يَتَخَيَّرَ لَهَا الرَّجُلَ الصَّالِحَ صَاحِبَ الدِّينِ، وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا.

فَقَدْ قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿لَنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور: 32).

وَفِي «سِنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ حَسَنِ، حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ حَقُّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمْ: الْمَجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْمُكَاتِبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ، وَالنَّائِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَقَافَ».

(1) «عَوْنِ الْمَعْبُودِ» (42/6)، وَاَنْظُرِ «الْفَتْحُ» (9/135).

(2) «حَسَنٌ»: أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (1655)، وَالنَّسَائِيُّ (6/16)، وَابْنُ مَاجَةَ (2518)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ» (1352).

وَقَدْ قَدَّمَ النَّبِيُّ ﷺ الْفَقِيرَ صَاحِبَ الدِّينِ عَلَى غَيْرِهِ.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ: أَنَّهَا جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَذَكَرَتْ لَهُ أَنَّهُ خَطَبَهَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَأَبُو جَهْمٍ، وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَرَجُلٌ تَرِبٌ⁽²⁾ لَا مَالَ لَهُ، وَأَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَرَجُلٌ صَرَّابٌ لِلنِّسَاءِ، وَلَكِنْ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ». فَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا: أُسَامَةُ أُسَامَةُ!.

فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «طَاعَةُ اللَّهِ وَطَاعَةُ رَسُولِهِ خَيْرٌ لَكَ». قَالَتْ: فَتَرَوُجْتُهُ فَاغْتَبَطْتُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلُّهُمْ عُدُوكُمْ، أَصْحَابُ دِينٍ وَفَضْلٍ، وَإِنَّمَا تَخَيَّرَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ أَفْضَلَ الثَّلَاثَةِ.

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رحمه الله: «أَمَّا إِشَارَتُهُ بِنِكَاحِ أُسَامَةَ؛ فَلَمَّا عَلِمَهُ مِنْ دِينِهِ، وَفَضْلِهِ، وَحُسْنِ طَرَائِقِهِ⁽³⁾، وَكَرَمِ شَمَائِلِهِ؛ فَانْصَحَهَا بِذَلِكَ، فَكَرِهَتْهُ؛ لَكُونِهِ مَوْلَى⁽⁴⁾، وَلَكُونِهِ كَانَ أَسْوَدَ جَدًّا، فَكَرَّرَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ الْحَثَّ عَلَى زَوَاجِهِ؛ لِمَا عَلِمَ مِنْ مَضْلَحَتِهَا فِي ذَلِكَ، فَكَانَ كَذَلِكَ»⁽⁵⁾.

فَالْكَفَاءَةُ فِي الْإِسْلَامِ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَلَى أَسَاسِ الدِّيَانَةِ، لَا عَلَى أَسَاسِ الْمَالِ أَوْ الْجَاهِ.

(1) رواه مسلم (1480).

(2) تَرِبٌ - بَزْنَةٌ كَثِيفٌ - : فَقِيرٌ.

(3) طَرَائِقٌ: جَمْعُ طَرِيقَةٍ، وَهِيَ السَّيْرَةُ وَالْحَالُ.

(4) الْمَوْلَى: الْعَبْدُ، وَالْجَمْعُ الْمَوَالِي.

(5) «شرح النووي على صحيح مسلم» (3/694).

ففي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث عائشة رضي الله عنها: «أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس (وكان ممن شهد بدرًا مع النبي ﷺ) بنى سلمًا، وأنكح بنت أخيه هند بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة، وهو مولى لامرأة من الأنصار».

وقد بوب الإمام البخاري رحمته لهذا الحديث بقوله: «باب الأكفاء في الدين». أيها الناس، ها هم العلماء يحذرون ولي المرأة من تزويج المرأة من رجل ضعيف الدين.

قال رجل للحسن رحمته: «إن لي بنتًا، وإنها تُحطَّبُ، ممن أزوجهَا؟».

فقال: «زوجهَا ممن يتقي الله؛ فإن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها»⁽²⁾.

وسئل الإمام أحمد رحمته: «رجل ورع فقير يُحطَّبُ إلى رجل ابنته، ورجل ذو مال ليس بورع، أيما أحب إليك أن يزوجه؟». قال: يزوجه الفقير الورع خير لها، وأحب إلي؛ لا يُعدَّلُ بالصَّلاحِ شيءٌ»⁽³⁾.

أيها الناس، الزواج كالرق؛ فليُنظر ولي المرأة أين يضعها، فإن وضعها عند تارك الصلاة، أو فاسق - فقد خان الأمانة، وعقَّ رحمة.

فأما تارك الصلاة فليكنفه أن العلماء اختلفوا في تكفيره، ومن اختلف العلماء في تكفيره لا يزوجه بمسلمة صالحة فيضرها، ولا ضعيفة الدين فيضيعها. وأما الفاسق فقد باحث أصوات العلماء في التحذير منه؛ فلا يكون كفاء للعفيفة.

(1) رواه البخاري (5088).

(2) «عيون الأخبار» (4/17).

(3) «مسائل أحمد» برواية إسحاق بن إبراهيم بن هانيء (980).

قال الإمام الشُّبْكِيُّ رحمته: «الْفَاسِقُ لَا يُؤْمَنُ أَنْ يَحْمِلَهُ فِسْقُهُ عَلَى أَنْ يَجْنِيَ عَلَى الْمَرْأَةِ»⁽¹⁾.

وقال الشُّبَّانِيُّ رحمته: «الْفَاسِقُ مَرْدُودُ الشَّهَادَةِ وَالرَّوَايَةِ، وَذَلِكَ نَقْصٌ فِي إِنْسَانِيَّتِهِ، فَلَا يَكُونُ كُفَّاءً لِلْعَدْلِ»⁽²⁾.

وقال ابنُ قُدَّامَةَ رحمته: «الْفَاسِقُ مَرْدُودٌ مَرْدُودُ الشَّهَادَةِ وَالرَّوَايَةِ، غَيْرُ مَأْمُونٍ عَلَى النَّفْسِ وَالْمَالِ، مَسْلُوبُ الْوَلَايَاتِ، نَاقِصٌ عِنْدَ اللَّهِ - تَعَالَى - وَعِنْدَ خَلْقِهِ، قَلِيلٌ الْحِظُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كُفَّاءً لِلْعَفِيفَةِ، وَلَا مُسَاوِيًا لَهَا، لَكِنْ يَكُونُ كُفَّاءً لِمِثْلِهِ»⁽³⁾.

وقال الشُّوْكَانِيُّ رحمته: «مَا لَا يُرْضَى دِينُهُ لَا يُزَوَّجُ، فَذَلِكَ هُوَ مَعْنَى الْكِفَاءَةِ فِي الدِّينِ، وَالْمُجَاهِرُ بِالْفِسْقِ لَيْسَ بِمَرْضِيٍّ الدِّينِ»⁽⁴⁾.

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قِسْرَةً أَحْسَنَ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: 74).

(1) تكملة «المجموع» (188 / 16).

(2) «حاشية الصَّاوِي على الشَّرْح الصَّغِير» (401 / 2).

(3) «المُغْنِي» (391 / 9).

(4) «السَّيْل الجَرَّار» (291 - 292).

صَلَاحُ الْأَوْلَادِ

8

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَوَجَدَكُمْ مِنْهَا زَوْجَهَا وَكَانَ بَيْنَهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَوَسَّاءُ وَأَتَقُوا

اللَّهِ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٣٠﴾ يُصِخِرْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٣١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، حَدِيثِي مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ صَلَاحِ الْأَوْلَادِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمَّا كَانَ الْوَلَدُ الصَّالِحُ قُرَّةَ عَيْنٍ لِلْوَالِدَيْنِ، وَمَنَافِعُهُ كَثِيرَةٌ فِي الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةِ - كَانَ الْأَنْبِيَاءُ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ - يَسْأَلُونَ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - أَنْ يَرْزُقَهُمْ ذُرِّيَّةً صَالِحَةً.

أَخْبَرَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَنْ إِبْرَاهِيمَ: أَنَّهُ قَالَ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾

(الصافات: 100).

وقال: ﴿رَبَّنَا وَأَجْمَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن دُرَيْتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً﴾ (البقرة: 128).

وأخبر الله - سبحانه وتعالى - عن زكريا عليه السلام: أنه قال: ﴿وإني خفتُ الموتى من ورثتي وكانت أمراي عاقرا فهب لي من لدنك وإيتني ⑤ برزقي وبرث من مال يعقوب وأجعلهُ رَبِّ رَضِيًّا ⑥﴾ (مريم: 5، 6).

أيها الناس، قد دلت النصوص من كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ - الصحيحة - على أن صلاح الأولاد ينفع الوالدين بعد موتها.

كما دلت النصوص على أن للوالدين مثل أجر ما يفعلهُ الولد من الأعمال الصالحة؛ لأن الولد من سعيها وكسبها.

والله - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ⑦﴾ (النجم: 39).

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة عليه السلام: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان، انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

وفي «سنن أبي داود» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح أبي داود»⁽²⁾ من حديث عمّة عمارة بن عمير: أنها سألت عائشة عليها السلام: «في حجري يتيم، أفاكل من ماله؟».

ف قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن من أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وولده من كسبه».

(1) رواه مسلم (1632).

(2) «صحيح»: أخرجه أبو داود (3528)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (3013).

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿مُنَالِكٌ دَمَا زَكْرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً مَبْتَغِيَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾﴾ (آل عمران: 38).

وقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ (الفرقان: 74).

قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: «أما إنه لم يكن قرّة أعين أن يرونه صحيحاً جميلاً، ولكن أن يرونه مطيعاً لله - عز وجل -»⁽¹⁾.

وَمِنْ أَسْبَابِ صَلَاحِ الذُّرِّيَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : دُعَاءُ اللَّهِ لَهُمْ بِالْهُدَايَةِ وَالصَّلَاحِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِضْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبِّتُّ إِلَيْكَ وَلِيًّا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ (الأحقاف: 15).

فالشاهد - أيها الناس - في قوله - تعالى - : ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ فإنه لما دعا لنفسه بالصلاح، دعا لذريته أن يصلح الله أحوالهم، وذكر أن صلاحهم يعود نفعه على والديهم لقوله: ﴿وَأَصْلِحْ لِي﴾⁽²⁾.

فإذا أعياكم - أيها الناس - عضيان أولادكم، فاستعينوا عليهم بهذه الآية، فقد أخرج ابن أبي حاتم - كما في «الدر المنثور» - عن مالك بن مغول رضي الله عنه قال: «شكا أبو معشر ابنه إلى طلحة بن مصرف رضي الله عنه، فقال طلحة: استعن عليه بهذه الآية: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾»⁽³⁾.

(1) رواه ابن أبي الدنيا في «العيال» (4027).

(2) انظر «تفسير السعدي» (ص 781).

(3) «الدر المنثور» (7/443)، و«الحلية» (5/19).

وَمِنْ أَسْبَابِ صَلَاحِ الذُّرِّيَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : صَلَاحُ الْأَبَوَيْنِ .

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - فِي قِصَّةِ مُوسَى مَعَ الْحَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَأَمَّا الْإِنَّمَارُ فَكَانَ لِعُلَمَائِنِ يَتِيمِينَ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رِعْمَةً مِّنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (الكهف: 82).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: « ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ حِفْظًا بِصَلَاحِ أَبِيهِمَا»⁽¹⁾.

وقال سعيد بن جبيرة رضي الله عنه: «إِنِّي لِأَزِيدُ فِي صَلَاتِي مِنْ أَجْلِ ابْنِي هَذَا»⁽²⁾.

وَمِنْ أَسْبَابِ صَلَاحِ الذُّرِّيَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : بِرُّ الْأَبَاءِ آبَاءَهُمْ؛ فَإِنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، وَقَدْ قَالَ رَبُّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ (١٦) (الرحمن: 60).

وَمِنْ أَسْبَابِ صَلَاحِ الذُّرِّيَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : اخْتِيَارُ الزَّوْجَةِ الصَّالِحَةِ، كَمَا أَوْصَى بِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ .

ففي «الصَّحِيحِينَ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تُنَكِّحُ الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسْبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاطْفَرُ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ بِذَلِكَ».

وَمِنْ أَسْبَابِ صَلَاحِ الذُّرِّيَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : التَّسْمِيَةُ عِنْدَ الْجَمَاعِ .

ففي «الصَّحِيحِينَ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا - فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرُ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا».

(1) رواه ابن أبي الدنيا في «العيال» (360).

(2) «الحلية» (4/279).

(3) رواه البخاري (5090)، ومسلم (1466).

(4) رواه البخاري (6388)، ومسلم (1434).

وَمِنْ أَسْبَابِ صَلَاحِ الذُّرِّيَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : التَّرْبِيَةُ الصَّالِحَةُ، وَالتَّادِيبُ الْحَسَنُ.
فَقَدْ أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾
مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَّقُوا السُّوْطَ حَيْثُ يَرَاهُ
أَهْلُ الْبَيْتِ؛ فَإِنَّهُ لَهُمْ أَدَبٌ».

فَالْوَالِدُ مَأْمُورٌ بِأَنْ يَقِيَ أَوْلَادَهُ النَّارَ، وَذَلِكَ بِأَمْرِهِمْ وَتَرْبِيَتِهِمْ عَلَى آدَاءِ مَا أَمَرَهُمُ
اللَّهُ بِهِ، وَاجْتِنَابِ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ، وَإِنَّ هَذَا حَقٌّ مِنْ حُقُوقِهِمْ، سَيُسْأَلُ عَنْهُ بَيْنَ يَدَيِ
اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - ، كَمَا قَالَ رَبُّنَا - جَلَّ فِي عُلَاهُ - : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْمًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ
نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦١﴾
(التحرير: 6).

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية - النّهي عن الدّعاء على الأولاد :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ عَنْ صَلَاحِ الْأَوْلَادِ، وَالْآنَ حَدِيثِي
مَعَكُمْ حَوْلَ النَّهْيِ عَنِ الدُّعَاءِ عَلَى الْأَوْلَادِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، الدُّعَاءُ عَلَى الْأَوْلَادِ أَمْرٌ خَطِيرٌ، بَلْ هُوَ شَرٌّ مُسْتَطِيرٌ، وَحَتَّى إِذَا كَانَ
الْحَطَأُ حَاصِلًا مِنَ الْأَوْلَادِ، فَالدُّعَاءُ لَهُمْ بِالْهُدَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ، وَسُلُوكِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ
إِنَّمَا هُوَ إِعَانَةٌ لَهُمْ، فَقَدْ يَكُونُ الدُّعَاءُ عَلَيْهِمْ إِعَانَةً لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ.

(1) «حَسَنٌ»: أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (10671)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (1447).

وَالنَّبِيُّ ﷺ نَهَى عَنِ الدُّعَاءِ عَلَيْهِمْ، وَحَثَّ عَلَى الدُّعَاءِ لَهُمْ.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ؛ لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً، يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ».

وفي «مسند أحمد» و«سنن الترمذي» بسند حسن، حسنه الألباني في «الصحيح»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمَسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ».

وأخرج البيهقي في «سننه»، والضياء في «المختارة» بسند حسن، حسنه الألباني في «الصحيح»⁽³⁾ من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ لَا تُرَدُّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الصَّائِمِ، وَدَعْوَةُ الْمَسَافِرِ».

أيها الناس، ها هم العلماء يُحذِّرون من الدُّعَاءِ عَلَى الْأَوْلَادِ.

قال الحسن البصري رضي الله عنه: «دُعَاءُ الْوَالِدِينَ يَسْتَأْصِلُ الْمَالَ وَالْوَلَدِ».

وَقِيلَ لَهُ: مَا دُعَاءُ الْوَالِدِينَ لِلْوَلَدِ؟ قَالَ: «نَجَاةٌ». قِيلَ: فَعَلَيْهِ؟ قَالَ:

«اسْتِئْصَالٌ!»⁽⁴⁾.

(1) رواه مسلم (3009)، وأبو داود (1532).

(2) «حسن»: أخرجه أحمد (528/2)، والترمذي (1905)، وحسنه الألباني في «الصحيح» (596).

(3) «حسن»: أخرجه البيهقي في «سننه» (345/3)، والضياء في «المختارة» (108/1) وحسنه الألباني في «الصحيح» (1797).

(4) رواه ابن الجوزي في «البر والصلة» (161).

وجاء رجل إلى عبد الله بن المبارك رحمته يشكو له عُقُوقَ وَلَدِهِ. فقال: «هل دَعَوْتَ عَلَيْهِ؟». فقال: بلى. فقال عبد الله: «أنت أفسدتها!»⁽¹⁾.

أيها الناس، مِنَ السُّنَّةِ أَنْ يُكثِرَ الْمُسْلِمُ الدُّعَاءَ لِأَوْلَادِهِ بِالصَّلَاحِ وَالْبِرَّةِ وَالْحَيْرِ؛ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَهُ فِيهِمْ، فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صلواته كَثِيرًا مَا يَدْعُو لِلصَّبِيَانِ.

ففي «صحيح البخاري»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي عنها قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلواته يُؤْتِي بِالصَّبِيَانِ، فَيَدْعُو لَهُمْ».

أيها الناس، مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِالْآبَاءِ أَنَّهُ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ أَحَدِهِمْ عَلَى وَلَدِهِ حَالَةَ غَضَبِهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ۝ ﴾

(الإسراء: 11).

وَمَا جَاءَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: مَا أَخْرَجَهُ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ - كَمَا فِي «الدُّرِّ الْمَثُورِ» - عَنِ الْحَسَنِ رحمته فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ﴾ قَالَ: «ذَلِكَ دُعَاءُ الْإِنْسَانِ بِالشَّرِّ عَلَى وَلَدِهِ، وَعَلَى امْرَأَتِهِ، يَغْضَبُ أَحَدَهُمْ، فَيَدْعُو عَلَيْهِ، فَيَسِبُّ نَفْسَهُ، وَيَسِبُّ زَوْجَتَهُ، وَمَالَهُ، وَوَلَدَهُ، فَإِنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ ذَلِكَ، شَقِيَ عَلَيْهِ؛ فَيَمْنَعُهُ ذَلِكَ، ثُمَّ يَدْعُو بِالْحَيْرِ فَيُعْطِيهِ»⁽³⁾.

(1) «الاحتفال بأحكام وآداب الأطفال» للشيخ عادل الغامدي (ص 220). وقد استفدت من كتابه في

إعداد الخطبة الأولى والثانية، جزأه الله خيراً.

(2) رواه البخاري (6355).

(3) «الدُّرُّ الْمَثُورُ» (5/246).

وقال شيخ المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله في «تفسيره»: «يقول - تعالى ذكره -
مذكراً عباده أياديهم عندهم: ويدعو الإنسان على نفسه وولده وماله بالشر، فيقول:
اللهم اهلكه والعنه عند ضجره وغضبه كدعائه بالخير، يقول: كدعائه ربه بأن يهب
له العافية، ويرزقه السلامة في نفسه وماله وولده.

يقول: فلو استجيب له في دعائه على نفسه وماله وولده بالشر - كما يستجاب له
في الخير - هلك، ولكن الله - بفضله - لا يستجيب له في ذلك»⁽¹⁾.

﴿رَمَاهُ لَنَامٍ مِنْ أَوْلِيَانَا وَذَرَيْنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَجَعَلْنَا الْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾

(الفرقان: 74).



(1) «تفسير الطبري» (47/15).

9 تعليم الأطفال التوحيد ثم القرآن

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَسَدٍ مِمَّا رَجَعَتْ إِلَيْهَا كَثِيرًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَلَّوْنَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد - أيها الناس - حديثي معكم اليوم عن تعليم الأطفال التوحيد ثم القرآن.

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد - أيها الناس - حديثي معكم اليوم عن تعليم الأطفال التوحيد ثم القرآن.

أيها الناس، إن توحيد رب العالمين هو الذي يجعل العبد المؤمن يتشرف بالانتساب لهذا الدين.

ومتى علمنا أطفالنا التوحيد الخالص، وشرحنا لهم - على الأقل - كتاباً من كتب التوحيد: كالأصول الثلاثة بأسلوب سهل ميسر، وتعاهدناهم بالتوجيه والإرشاد - فقد صبغناهم بتوحيد الملة، ومن كان كذلك، فقد جعل منه التوحيد رجلاً آخر.

حَلَقَ الْعِلْمَ رَوْضَتَهُ وَجَنَّتَهُ، وَعِنْدَ الْمَرَضِ وَالْجَنَائِزِ رَقَّتُهُ، وَفِي الْمَقَابِرِ تَنَهَّمُ دَمْعَتَهُ،
وَلِتْلَاوَةَ الْقُرْآنِ تَحْضُرُ عَبْرَتَهُ، وَفِي الصَّلَاةِ يُعَايِنُ آخِرَتَهُ، وَبَعْدَ الصَّلَاةِ يُجَدِّدُ تَوْبَتَهُ،
وَمَعَ الْجِيرَانِ تَرَى مَوَدَّتَهُ، وَيُسَاعِدُ إِخْوَانَهُ بِاسْتِطَاعَتِهِ، وَمَعَ النَّاسِ عَامَّةً يُعَامِلُهُمْ
بِسُمُو خُلُقِهِ.

كَمْ اخْتَرَقَ قَلْبُهُ وَذَابَ مِنْ أَجْلِ هَذَا الدِّينِ، كَمْ تَنَفَّسَ الصُّعْدَاءُ⁽¹⁾ مِنْ أَجْلِ
الْمُسْلِمِينَ، كَمْ سَالَ دَمْعُهُ مِنْ أَجْلِ إِخْوَانِهِ الْمُسْرِدِينَ.

فَلِلَّهِ دَرَّةٌ مِنْ طِفْلِ مُسْلِمٍ، قَدْ رَبَّاهُ التَّوْحِيدَ الْخَالِصُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ! اللَّهُ دَرَّةٌ مِنْ
طِفْلِ مُشْرِقٍ، يَمَلَأُ الْقُلُوبَ وَالْأَبْصَارَ!⁽²⁾

أَيُّهَا النَّاسُ، لِنَنْظُرْ قَلِيلًا فِي دِيْوَانِ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلِنَتَأَمَّلْ كَيْفَ كَانَتْ
التَّرْبِيَةُ النَّبَوِيَّةُ لِلْأَطْفَالِ، وَكَيْفَ كَانَ النَّبِيُّ يَنْتَهِزُ الْفُرْصَ فِي عَزْسِ عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ
فِي نَفْسِهِمْ.

فَهَا هُوَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه يَقُولُ - كَمَا فِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ. صَحَّحَهُ
الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمَشْكَاةِ»، وَ«ظِلَالِ الْجَنَّةِ»⁽³⁾ - كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: يَا
غُلَامُ، إِنِّي أَعَلَّمْتُكَ كَلِمَاتٍ: أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ مُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ
فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ
بَشِيءًا، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشِيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ. وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشِيءٍ، لَمْ
يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشِيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَنَّتِ الصُّحُفُ.

(1) الصُّعْدَاءُ - بَرِيَّةُ الْبُرْحَاءِ - تَنْفَسُ ضَوِيرًا.

(2) انظر التوحيد وآثره على العبيد، خميس سعيد (٦٣ - ٦٤).

(3) «صحيح»: أخرجه الترمذي (2516)، وصحَّحه الألباني في «مشكاة» (5302)، و«رياض الجنة» (١٣٦٤).

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ هُوَ أَحْسَنُ الْمُعَلِّمِينَ، وَخَيْرُ الْمُعَلَّمِينَ، كَمَا قَالَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ مُعَاوِيَةُ بْنُ الْحَكَمِ السُّلَمِيُّ رضي الله عنه: «مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ - وَلَا بَعْدَهُ - أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ».

اسْتَعْلَمَ لِتَعْلِيمِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه وَكَانَ صَغِيرًا تِلْكَ الْمَسَائِلَ الْعَظِيمَةَ حَالَةَ إِرْدَافِهِ مَعَهُ عَلَى الدَّابَّةِ، وَهُمَا يَسِيرَانِ فِي الطَّرِيقِ، وَهِيَ حَالَةٌ يَغْلِبُ فِيهَا الشَّرُورُ عَلَى الصَّبِيَانِ، وَانْشَرَّاحُ صُدُورِهِمْ، وَقَبُولُهُمْ لِمَا يُلْقَى إِلَيْهِمْ. أَيُّهَا النَّاسُ، مَا أَجْمَلَ أَنْ نُعَلِّمَ أَوْلَادَنَا تَوْحِيدَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - صِغَارًا، فَيَتَتَعَشُّ ذَلِكَ فِي صُدُورِهِمْ!.

قَدْ أَخْرَجَ ابْنُ الْجَعْدِ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ»⁽¹⁾ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، وَقَتَادَةَ، وَنَافِعٍ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - قَوْلَهُمْ: «الْحِفْظُ فِي الصَّغَرِ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ». أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى اهْتِمَامِ النَّبِيِّ ﷺ بِتَعْلِيمِ الْأَطْفَالِ التَّوْحِيدِ. وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُ الْأَطْفَالَ التَّوْحِيدَ قَبْلَ تَعْلِيمِهِمُ الْقُرْآنَ.

فَفِي «سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانُ حَزْرَاةٍ»⁽³⁾، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيْمَانًا».

(1) «مُسْنَدُ ابْنِ الْجَعْدِ» (1079)، وَ«طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ» (7 / 229).

(2) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ (61)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ ابْنِ مَاجَةَ» (52).

(3) حَزْرَاةٌ: جَمْعُ حَزْوِرٍ - بِتَشْدِيدِ الْوَاوِ -، وَهُوَ الْغُلَامُ الَّذِي قَدْ شَبَّ وَقَوِيَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ سَارَ السَّلْفُ الصَّالِحُ عَلَى هَذَا الْمَنْهَجِ الْقَوِيمِ فِي تَعْلِيمِ أَوْفَادِهِمْ، فَكَانُوا يَبْدَأُونَ بِتَلْقِينِهِمْ وَتَعْلِيمِهِمُ التَّوْحِيدَ وَالْإِيمَانَ وَالسُّنَّةَ مُنْذُ صِبْغِهِمْ؛ حَتَّى يَنْشَأَ الطِّفْلُ مَوْحَّدًا سُنِّيًّا، لَا تَضُرُّهُ الْفِتْنُ وَالْأَهْوَاءُ وَالْبِدْعُ.

فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ»⁽¹⁾ عَنِ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ جَدَّتِهِ أُمِّ سُلَيْمٍ: «أَتَيْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: فَجَاءَ أَبُو أَنَسٍ - وَكَانَ غَائِبًا - فَقَالَ: أَصَبَوْتُ؟. قَالَتْ: مَا صَبَوْتُ، وَلَكِنِّي آمَنْتُ بِهَذَا الرَّجُلِ. قَالَ: فَجَعَلْتَ تُلَقِّنُ أُنْسًا، وَتُشِيرُ إِلَيْهِ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قُلْ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: فَيَقُولُ لَهَا أَبُوهُ: لَا تُفْسِدِي عَلَيَّ ابْنِي. فَتَقُولُ: إِنِّي لَا أَفْسِدُهُ. قَالَ: فَخَرَجَ مَالِكُ أَبُو أَنَسٍ، فَلَقِيَهُ عَدُوٌّ فَقَتَلَهُ، فَلَمَّا بَلَغَهَا قَتْلُهُ، قَالَتْ: لَا جَرَمَ⁽²⁾، لَا أَفْطِمُ أُنْسًا حَتَّى يَدَعَ التَّدْيَ حَيًّا».

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ بِسَنَدِهِ⁽³⁾ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُ وَلَدَهُ، يَقُولُ: قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، وَكَفَرْتُ بِالطَّاغُوتِ⁽⁴⁾».

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ - أَيْضًا - ، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «مُصَنَّفِهِ»⁽⁵⁾ عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّمِيمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانُوا يَسْتَحْبِبُونَ أَوَّلَ مَا يُفْصِحُ - يَعْنِي: الصَّبِيَّ - أَنْ يُعَلِّمُوهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَوَّلَ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ».

أَيُّهَا النَّاسُ، بَعْدَ تَلْقِينِ الْأَطْفَالِ التَّوْحِيدَ وَفَهْمِهِ عَلَيْنَا أَنْ نُعَلِّمَهُمْ كِتَابَ اللَّهِ، حَتَّى يَزْدَادُوا إِيْمَانًا إِلَى إِيْمَانِهِمْ، وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا فِي حَدِيثِ جُنْدُبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا مَعَ

(1) «الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى» (8/425).

(2) لَا جَرَمَ أَيُّ: لَا بُدَّ أَوْ حَقًّا، أَوْ هَذَا أَضْلُهُ، ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى تَحْوَلَ إِلَى مَعْنَى الْقَسَمِ.

(3) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «مُسْنَدِهِ» (1/348).

(4) الطَّاغُوتُ: كُلُّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهُوَ رَاضٍ.

(5) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (1/348)، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «مُصَنَّفِهِ» (7977).

النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانُ حَزْوَارَةَ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيْمَانًا، وَإِنَّكُمْ الْيَوْمَ تُعَلِّمُونَ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ»⁽¹⁾.

وَقَدْ حَثَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى تَعْلِيمِ الْأَطْفَالِ الْقُرْآنَ.

ففي «صحيح البخاري»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ».

أَيُّهَا النَّاسُ، يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كِتَابُ اللَّهِ أَوَّلَ الْعُلُومِ تَحْصِيلًا وَتَعَلُّمًا بَعْدَ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ، فَقَدْ كَانَ السَّلْفُ يَمْنَعُوا أَوْلَادَهُمْ مِنَ الْإِشْتِغَالِ بِغَيْرِ الْقُرْآنِ، حَتَّى يَحْفَظُوهُ وَيُتَقِنُوهُ.

فَقَدْ أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ»⁽³⁾ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ نَافِعٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّهُ أَوْصَى وَلَدَهُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ: يَا بَنِيَّ، إِنِّي أَنَا كُمْ عَنْ ثَلَاثٍ، فَاحْتَفِظُوا بِهَا...» وَذَكَرَ مِنْهَا: «وَلَا تَكْتُبُوا شِعْرًا؛ تَشْغَلُوا بِهِ قُلُوبَكُمْ عَنِ الْقُرْآنِ».

وَأَخْرَجَ الذَّهَبِيُّ فِي «تَذَكِرَةِ الْحُقَاطِ»⁽⁴⁾ عَنِ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «لَمْ يَدْعُنِي أَبِي أَطْلُبُ الْحَدِيثَ، حَتَّى قَرَأْتُ الْقُرْآنَ عَلَى الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ».

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ كَانَ عُلَمَاءُ الْحَدِيثِ مِنَ السَّلْفِ الصَّالِحِ يَمْنَعُونَ الْأَطْفَالَ مِنْ حُضُورِ مَجَالِسِ الْحَدِيثِ قَبْلَ حِفْظِ كِتَابِ اللَّهِ؛ حَتَّى لَا يَنْشَغَلُوا بِالْحَدِيثِ وَكِتَابَتِهِ وَحِفْظِهِ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ.

(1) تقدم تخریجه.

(2) رواه البخاري (5027).

(3) رواه الطبراني في «الكبير» (737)، والخطيب في «الكفاية» (49).

(4) «تذكرة الحفاظ» للذهبي (3/830).

ففي «تهذيب الكمال» و«تاريخ دمشق»⁽¹⁾ عَنْ أَبِي الْعَيْنَاءِ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ أَنَّهُ قَالَ: «أَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ دَاوُدَ الْحَرَبِيِّ، قَالَ: مَا جَاءَ بِكَ؟. قُلْتُ: الْحَدِيثُ. قَالَ: أَذْهَبَ فَتَحْفَظُ الْقُرْآنَ. قَالَ: قُلْتُ: قَدْ حَفِظْتُ. قَالَ: اقْرَأْ ﴿وَأَقْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ نُوحٍ﴾ (يونس: 71). قَالَ: فَقَرَأْتُ الْعُشْرَ حَتَّى أَنْفَذْتُهُ».

وَرَوَى الْحَطِيبُ فِي «جَامِعِهِ»⁽²⁾ عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ مَسْلَمٍ قَالَ: «كُنَّا إِذَا جَالَسْنَا الْأَوْزَاعِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَرَأَى فِينَا حَدِيثًا»⁽³⁾، قَالَ: يَا غُلَامُ، قَرَأْتَ الْقُرْآنَ؟. فَإِنْ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: اقْرَأْ ﴿يَوْمِ يَكْفُرُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ (النساء: 11). وَإِنْ قَالَ: لَا. قَالَ: أَذْهَبَ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُبَ الْعِلْمَ». وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية - أمر الأطفال بالصلاة :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ عَنْ تَعْلِيمِ الْأَطْفَالِ التَّوْحِيدَ ثُمَّ الْقُرْآنَ، وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ أَمْرِهِمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعٍ، وَضَرْبِهِمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ.

(1) «تهذيب الكمال» (466/14)، و«تاريخ دمشق» (29/28).

(2) «الجامع لأخلاق الراوي» (ص 81).

(3) الحدّث - بفتح الحاء - : الشَّابُّ، والجَمْعُ أَخْدَاتٌ.

ففي «مسند أحمد»، و«سنن أبي داود»⁽¹⁾ بسند حسن صحيح، قاله الألباني في «صحيح أبي داود» عن عبد الله بن عمرو رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ، وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ».

أيها الناس، قد دَلَّ الحديثُ على وُجوبِ أمرِ الطِّفْلِ بِالصَّلَاةِ، إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ إِلَى بُلُوغِهِ سِنَّ الْعَاشِرَةِ، ثُمَّ الْأَمْرَ بِضَرْبِهِ عَلَى تَرْكِ الصَّلَاةِ إِلَى سِنِّ الْبُلُوغِ، فَإِنْ ضَيَّعَ الْوَالِي هَذَا الْأَمْرَ، سُئِلَ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ (كما في «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي عنه: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: فَالْإِمَامُ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا».

أيها الناس، أطفالنا أمانة، لهم علينا حق، وحقهم علينا أن نعلمهم الصلاة، ونعودهم عليها، ونتابعهم المتابعة المستمرة، ونسألهم عن الصلاة. فها هو النبي ﷺ يتعاهد الأطفال، ويسأل عن صلاتهم.

ففي «سنن أبي داود» بسند صحيح، صحَّحه الألباني في «صحيح أبي داود»⁽³⁾ من حديث ابن عباس رضي عنه قال: بِيْتُ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ مَا أَمْسَى، فَقَالَ: «أَصَلَّى الْغُلَامُ؟». قالوا: نَعَمْ.

(1) «حسن صحيح»: أخرجه أحمد (2/180)، وأبو داود (495)، وقال الألباني في «صحيح أبي داود» حسن صحيح.

(2) رواه البخاري (893)، ومسلم (1829).

(3) «صحيح»: أخرجه أبو داود (1356)، وصحَّحه الألباني في «صحيح أبي داود» (1208).

أيها الناس، عَوِّدُوا أَوْلَادَكُمْ عَلَى الصَّلَاةِ؛ فَإِنَّ الْحَيْرَةَ عَادَةٌ.

فَقَدْ أَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «مُصَنَّفِهِ»، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ»⁽¹⁾ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: «حَافِظُوا عَلَى أَبْنَائِكُمْ فِي الصَّلَاةِ، وَعَوِّدُوهُمْ الْحَيْرَةَ؛ فَإِنَّ الْحَيْرَةَ عَادَةٌ».

قَالَ الْإِمَامُ الْمَرْوَزِيُّ رحمته مُعَلِّقًا عَلَى هَذَا الْأَثَرِ: «فِي هَذَا دَلَالَةٌ أَنْ يُؤْمَرُوا بِالصَّلَاةِ صِغَارًا؛ لِيَعْتَادُوا فَلَا يُضَيِّعُوهَا كِبَارًا، فَإِنْ اعْتَادُوا قَبْلَ وُجُوبِ الْفَرَضِ عَلَيْهِمْ أُخْرَى أَنْ يَلْزَمُوهَا عِنْدَ وَقْتِ الْفَرَضِ عَلَيْهِمْ»⁽²⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنَّ مَنْ لَمْ يَأْمُرْ أَوْلَادَهُ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعٍ - فَهَوَّ عَاصٍ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَيَسْتَحِقُّ التَّعْزِيرَ.

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رحمته: (وَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُطَاعٍ أَنْ يَأْمُرَ مَنْ يُطِيعُهُ بِالصَّلَاةِ، حَتَّى الصِّغَارَ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا؛ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»)⁽³⁾.

وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ صَغِيرٌ مَمْلُوكٌ، أَوْ يَتِيمٌ، أَوْ وَكَلْدٌ، فَلَمْ يَأْمُرْهُ بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّهُ يُعَاقَبُ الْكَبِيرُ إِذَا لَمْ يَأْمُرِ الصَّغِيرَ، وَيُعْزَرُ الْكَبِيرُ عَلَى ذَلِكَ تَعْزِيرًا بَلِيغًا؛ لِأَنَّهُ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ⁽⁴⁾.

وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رحمته: «عَلَى الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ أَنْ يُؤَدِّبُوا أَوْلَادَهُمْ، وَيُعَلِّمُوهُمْ الطَّهَارَةَ وَالصَّلَاةَ، وَيَضْرِبُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذَا عَقَلُوا، فَمِنْ اِخْتَلَمَ، أَوْ حَاضَ، أَوْ اسْتَكْمَلَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً - لَزِمَهُ الْفَرَضُ».

(1) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «مُصَنَّفِهِ» (4742)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (9155) وَالزِّيَادَةُ الْأَخِيرَةُ لَهُ.

(2) «قِيَامُ اللَّيْلِ» لِلْمَرْوَزِيِّ (ص 243).

(3) «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى» (22/50 - 51).

(4) «شَرْحُ السُّنَّةِ» (2/407).

أَيُّهَا النَّاسُ، حُثُّوا أَوْلَادَكُمْ عَلَى الصَّلَاةِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا فِي الْمَسَاجِدِ، خُذُوهُمْ مَعَكُمْ إِلَى بُيُوتِ اللَّهِ، شَجِّعُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ بِمَا يُجِبُّونَ مِنَ التَّشْجِيعِ، وَلَوْ بِإِعْطَائِهِمْ مَا يُجِبُّونَ مِنَ الْهَدَايَا، الَّتِي تَكُونُ سَبَبًا فِي تَعْوِيدِهِمْ عَلَى الصَّلَاةِ.

فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ الْمُنْذِرِ فِي «الْأَوْسَطِ»⁽¹⁾ بِسَنَدِهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كُنَّا نَأْخُذُ الصَّبِيَّانَ مِنَ الْكُتَّابِ، فَنَقُدُّهُنَّ يُصَلُّونَ لَنَا شَهْرَ رَمَضَانَ، وَنَعْمَلُ لَهُمُ الْقِلْيَةَ وَالْخَشْنَكَانَ». وَالْقِلْيَةُ وَالْخَشْنَكَانُ - أَيُّهَا النَّاسُ - نَوْعٌ مِنَ أَنْوَاعِ الطَّعَامِ وَالْحَلْوَى.

وَأَخْرَجَ أَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ»⁽²⁾ قَالَ: «كَانَ زِيَادُ الْإِيَامِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُؤَدِّنَ مَسْجِدِهِ، فَكَانَ يَقُولُ لِلصَّبِيَّانِ: أَهْبُ لَكُمْ الْجُوزَ، قَالَ: فَكَانُوا يَجِئُونَ وَيُصَلُّونَ، ثُمَّ يَحْوَطُونَ حَوْلَهُ. فَقُلْنَا لَهُ: مَا تَصْنَعُ بِهَذَا؟. قَالَ: وَمَا عَلَيَّ أَشْتَرِي لَهُمْ جُوزًا بِخَمْسَةِ دَرَاهِمٍ، وَيَتَعَوَّدُونَ الصَّلَاةَ».

أَيُّهَا النَّاسُ، قَبْلَ أَنْ أُوَدِّعَ مَقَامِي هَذَا أَقُولُ: الَّذِي هُوَ دُونَ التَّمْيِيزِ مِمَّنْ لَا يَعْقِلُ الصَّلَاةَ وَلَا الطَّهَارَةَ - لَا يُشْرَعُ أَمْرُهُ بِالصَّلَاةِ، وَلَا تَمَكِينُهُ مِنَ الْوُقُوفِ فِي صُفُوفِ الْمُصَلِّينَ وَهُمْ يُصَلُّونَ؛ لِأَنَّهُ يَقْطَعُ صُفُوفَ الْمُصَلِّينَ.

فَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ»، وَ«سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللَّهُ».

(1) رواه ابن المنذر في «الأوسط» (1936).

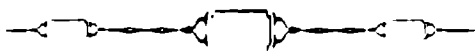
(2) «الحلية» (31/5).

(3) «صحيح»: أخرجه أحمد (97/2 - 98)، وأبو داود (666)، وصحَّحه الألباني في «صحيح أبي داود» (620).

كما أنبه إلى تعليم الأطفال آداب المساجد.

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَنْزَلَيْكَ قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (الفرقان: 74)،
 رَبَّنَا اغْفِرْ لآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، رَبَّنَا وارحهم كما رَبَّوْنَا صَغَارًا، ﴿ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ
 وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (البقرة: 201).

رَبَّنَا اجْعَلْنَا مَقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَاتِنَا، إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.



وَصِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

10

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَكَانَ بَيْنَهُمَا رَحِمًا كَثِيرًا وَسَكَرَ وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ. أَمَّا بَعْدُ، حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. أَتَدْرُونَ - أَيُّهَا النَّاسُ - بِمَاذَا أَوْصَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟، إِنَّهُ أَوْصَى بِكِتَابِ اللَّهِ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ قَالَ: «سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْصَى؟. قَالَ: لَا. فَقُلْتُ: كَيْفَ كُتِبَ عَلَى النَّاسِ الْوَصِيَّةُ - أَوْ أَمُرُوا بِالْوَصِيَّةِ -؟. قَالَ: أَوْصَى بِكِتَابِ اللَّهِ».

(1) رواه البخاري (2740)، ومسلم (1634).

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ أَمَنَّ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَلَى عِبَادِهِ بِإِنزَالِ هَذَا الْكِتَابِ الْعَظِيمِ، قَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ (يونس: 57).

وَقَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ (النحل: 89).

وَقَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿المائدة: 15، 16﴾.

قَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأُنزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿٣١﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَآخِضُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴿النساء: 174، 175﴾.

وَقَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿١﴾﴾ (الإسراء: 9).

وَقَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ (الإسراء: 82).

وَقَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَأْذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴿فصلت: 44﴾.

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَتَشِعُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدًى مِنَ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴿الزمر: 23﴾.

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴾ (المائدة: 48).

وَمَعْنَى ﴿ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴾ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَيُّ شَهِيدًا عَلَى كُلِّ كِتَابٍ قَبْلَهُ، كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (1).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿١١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿١٢﴾ ﴾ (فصلت: 41، 42).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ الرَّكْعَةُ أُنزِلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (هود: 1).

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْبَرَكَاتِ كُلَّ الْبَرَكَاتِ فِي قِرَاءَةِ كِتَابِ اللَّهِ، وَالْعَمَلِ بِهِ، وَالتَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِهِ، وَالتَّحَلِّيِّ بِأَدَابِهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الأنعام: 155).

وَقَالَ - سُبْحَانَهُ - ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِمْ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ (الأنعام: 92).

وَقَالَ - سُبْحَانَهُ - ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (ص: 29).

قال ابن سَعْدِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « ﴿ مُبَارَكٌ ﴾: فِيهِ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ، وَالْعِلْمُ الْغَزِيرُ، وَهُوَ الَّذِي تُسْتَمَدُّ مِنْهُ سَائِرُ الْعُلُومِ، وَتُسْتَخْرَجُ مِنْهُ الْبَرَكَاتُ، فَمَا مِنْ خَيْرٍ إِلَّا وَقَدْ دَعَا إِلَيْهِ،

(1) «الدَّرُّ الْمَشُورُ فِي التَّفْسِيرِ بِالْمَأْتُورِ» (ص: 95).

وَرَغَبَ فِيهِ، وَذَكَرَ الْحِكْمَ وَالْمَصَالِحَ الَّتِي تَحْتُ عَلَيْهِ، وَمَا مِنْ شَرٍّ إِلَّا وَقَدْ نَهَى عَنْهُ، وَحَذَّرَ مِنْهُ، وَذَكَرَ الْأَسْبَابَ الْمُنْفَرَةَ عَنْ فِعْلِهِ، وَعَوَاقِبَهُ الْوَجِيمَةَ⁽¹⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ، السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ حَافِلَةٌ بِذِكْرِ مَا لَحَمَلَهُ الْقُرْآنُ مِنَ الشَّرَفِ الْعَظِيمِ، وَالْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ، وَسُمُوِّ الْمَكَانَةِ وَعُلُوِّ الدَّرَجَةِ.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ».

وفي «صحيح البخاري»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ».

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا حَسَدَ⁽⁵⁾ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ⁽⁶⁾ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ».

وفي «صحيح مسلم»⁽⁷⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ».

(1) «تفسير السَّعْدِيِّ» (ص 234).

(2) رواه مسلم (804).

(3) رواه البخاري (5027).

(4) رواه البخاري (5025)، ومسلم (815).

(5) أطلق الحسد على الغبطة مجازاً، وهي أن يتمنى الإنسان مثل النعمة التي على غيره، دون زوالها عنه.

(6) الآناء: الساعات، وفي واحد أُنْبَعُ لُغَاتٍ: إِنِّي، وَأُنَى - بكَسْرِ الهمزة وفتحها -، وَإِنِّي، وَإِنُو - بالياء والواو والهمزة مكسورة فيهما -، ومثلها الآلاء.

(7) رواه مسلم (817).

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ - لَهُ أَجْرَانِ».

وفي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ حَسَنِ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: ﴿الطَّ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ: أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَا مٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ».

وفي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ حَسَنِ، حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَجِيءُ صَاحِبُ الْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَلَّةٌ»⁽⁴⁾، فَيُلْبَسُ تَاجَ الْكِرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ، فَيُلْبَسُ حُلَّةً⁽⁵⁾ الْكِرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ، فَيَرْضَى عَنْهُ، فَيُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ، وازق⁽⁶⁾، وَيُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةٌ».

وفي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ حَسَنِ صَحِيحٍ، قَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»⁽⁷⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُقَالُ - يَعْنِي: لِمَا يَجِيءُ»

(1) رواه البخاري (4937)، ومسلم (798)، واللفظ له.

(2) «صحيح»: أخرجه الترمذي (2910)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الترمذي» (2327).

(3) «حسن»: أخرجه الترمذي (2915)، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» (2328).

(4) حَلَّةٌ أَي: أَلْبِسُهُ حَلِيًّا، وَالْحَلِيُّ: مَا تُزَيَّنُ بِهِ مِنْ مَصْنُوعِ الْمَعْدِنَاتِ أَوْ الْحِجَارَةِ.

(5) الْحُلَّةُ - بِالضَّمِّ -: الثَّوْبُ الْجَيِّدُ، وَالْجَمْعُ حُلَلٌ وَحَلَالٌ.

(6) ازق: اضعد في درج الجنة بقدر ما حفظته من آي القرآن.

(7) «حسن صحيح»: أخرجه الترمذي (2914)، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» (2329):

حَسَنٌ صَحِيحٌ.

القرآن - : اقرأ، وازق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها.

أيها الناس، هذه وصية رسول الله ﷺ، إنها الوصية بكتاب الله، من تركه وهجره وأعرض عنه خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى - : ﴿ قَالَ آمِطًا مِنْهَا جَمِيعًا بِعَمَلِكُمْ لِيَخْسَ عَذَابٌ فَأَمَّا بَأْسَكُمْ مِثَّى هَذَا فَمَنْ اتَّبَعَ هَذَا فَلَا يُضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيْ أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيْرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذٰلِكَ أَتٰكَ مَا بَيْنَا وَبَيْنَهَا وَكَذٰلِكَ آيٰمُ نُسُخٍ ﴿١٢٦﴾ وَكَذٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمَرْ بِتٰبَتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَلَمَى ﴿١٢٧﴾ (طه: 123 - 127).

أيها الناس، قد سئل أحد المحسوسين على الخير والصلاح: متى تقرأ القرآن؟، فأجاب: في رمضان، وبس القوم الذين لا يعرفون الله إلا في رمضان!، ولا يقرءون كتابه إلا في رمضان!، وقد ذكر بعض أهل العلم: أنه من لم يختم القرآن في مدة أكثرها شهر إلى أربعين يومًا - فإنه يُسمى هاجرًا للقرآن، وهو من أهل هذه الآية: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ (الفرقان: 30).

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية - تعليم الأبناء وصية رسول الله ﷺ :

﴿ لَمَّا نَزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ① قَتَا يَشْتَدِرُ بِأَسَا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ② ﴾ (الكهف: 1، 2).

أما بعد - أيها الناس - تقدم الحديث معكم عن وصية رسول الله ﷺ، وأنه أوصى بكتاب الله، والآن حديثي معكم عن تعليم الأبناء كتاب الله. أيها الناس، إن مما كلفنا الله به حسن رعاية الذرية، والسعي لاستنقاذ النفس مع الأهل والأولاد من النار.

فقال - سبحانه، وتعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ③ ﴾ (التحريم: 6).

وقال - سبحانه، وتعالى - : ﴿ يُؤْمِرُكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾ (النساء: 11).

وفي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: فَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».

وفي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «وَإِنَّ لَوْلَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا».

(1) رواه البخاري (2554)، ومسلم (1829).

(2) رواه مسلم (1129).

أيها الناس، إن من أعظم حقوق أبنائنا علينا تعليمهم كتاب الله، وفيه الأجر العظيم، والفضل الجليل، وقد حث عليه ربنا - سبحانه وتعالى -، ورغب فيه نبينا محمد ﷺ.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تُدْرَسُونَ ﴾ (آل عمران: 79).

وفي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث عثمان رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ ».

وأعظم الناس حقاً علينا هم أبناؤنا؛ فيجب علينا أن نعلمهم قبل غيرهم؛ لأنهم أمانة عندنا؛ لينشئوا على الفطرة.

قال الحافظ السيوطي رحمته: «تعليم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام، فينشئون على الفطرة، ويسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة، قبل تمكن الأهواء منها، وسوادها بأكدار المعصية»⁽²⁾.

أيها الناس، لقد درج أبائنا، وأجدادنا، ومن قبلهم سلفنا الصالح - على تعليم أولادهم كتاب الله من الصغر.

ففي «صحيح البخاري»⁽³⁾ من حديث ابن عباس رضي عنهما قال: «توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين، وقد قرأت المحكم»⁽⁴⁾.

(1) رواه البخاري (5027).

(2) انظر «أطفال المسلمين الذين رباهم النبي الأمين ﷺ» لجمال بن عبد الرحمن (ص 145).

(3) رواه البخاري (5036).

(4) المحكم: المفضل، وهو من «ق» إلى آخر القرآن على الصحيح.

قال الحافظ ابن كثير رحمته بعد أن أوردَ هذا الحديث: «وعلى كل تقدير فيه دلالة على جواز تعليمهم القرآن في الصبا، بل قد يكون مُستحبًا أو واجبًا؛ لأنَّ الصَّبِيَّ إذا تعلَّم القرآن، بَلَغَ وهو يَعْرِفُ ما يُصَلِّي بِهِ، وحفظُهُ في الصَّغَرِ أَوْلَى مِنْ حِفْظِهِ كَبِيرًا، وَأَشَدُّ عُلُوقًا بِخَاطِرِهِ وَأَرْسَخُ وَأَثْبَتُ، كما هو المَعْهُودُ في حالِ النَّاسِ»⁽¹⁾.

وها هو الشافعي يَقُولُ: «حَفِظْتُ الْقُرْآنَ وَأَنَا ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ، وَحَفِظْتُ الْمَوْطَأَ وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ»⁽²⁾.

وحَفِصَةُ بِنْتُ سِيرِينَ حَفِظَتِ الْقُرْآنَ وَهِيَ بِنْتُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً⁽³⁾.

وبالجُمْلَةِ: يَطُولُ بِنَا الْمَقَامُ فِي سَرْدٍ مِثْلِ هَذَا، فَقَدْ أَصْبَحَ حِفْظُ الْقُرْآنِ فِي الصَّغَرِ عِنْدَ سَلَفِنَا الصَّالِحِ شِعَارًا مِنْ شِعَائِرِ الدِّينِ.

قال العلامة ابن خلدون رحمته: «تعليمُ الولدانِ للقرآنِ شِعَارٌ مِنْ شِعَائِرِ الدِّينِ، أَخَذَ بِهِ أَهْلُ الْمِلَّةِ، وَدَرَجُوا عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ أَمْصَارِهِمْ، لِمَا يَسْبِقُ فِيهِ إِلَى الْقُلُوبِ مِنْ رُسُوخِ الْإِيمَانِ وَعَقَائِدِهِ بِسَبَبِ آيَاتِ الْقُرْآنِ، وَمُتُونِ الْأَحَادِيثِ، وَصَارَ الْقُرْآنُ أَضَلَّ التَّعْلِيمِ، الَّذِي يَنْبَنِي عَلَيْهِ مَا يُحْصَلُ بَعْدُ مِنَ الْمَلَكَاتِ؛ وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ تَعْلِيمَ الصَّغَرِ أَشَدُّ رُسُوخًا، وَهُوَ أَضَلُّ لِمَا بَعْدَهُ؛ لِأَنَّ السَّابِقَ الْأَوَّلَ لِلْقُلُوبِ كَالْأَسَاسِ لِلْمَلَكَاتِ، وَعَلَى حَسَبِ الْأَسَاسِ وَأَسَالِيهِ يَكُونُ حَالُ مَا يَنْبَنِي عَلَيْهِ»⁽⁴⁾.

(1) «تفسير ابن كثير» (1/106).

(2) «مناقب الشافعي» لابن الأثير الجزي (ص 80).

(3) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (4/507).

(4) «مقدمة ابن خلدون» (689).

أَيُّهَا النَّاسُ، عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ الْقُرْآنَ صِغَارًا، قَبْلَ أَنْ يَشْبُوا، وَاحذَرُوا التَّسَاهُلَ؛
فَإِنَّ الْوَلَدَ أَمَانَةٌ.

فهذا عِكْرِمَةُ رضي الله عنه يَقُولُ: «كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه يَجْعَلُ الْكَبْلَ (أَي: الْقَيْدَ) فِي
رَجُلِي عَلَى تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ»⁽¹⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ، قَبْلَ أَنْ أُودَّعَ مَقَامِي هَذَا أَذْكُرْكُمْ بِالْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي
«مُسْتَدْرَكِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنِ لغيره، كَمَا قَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ»⁽²⁾
مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، وَتَعَلَّمَ وَعَمِلَ
بِهِ، أُبْسِ وَالدَّاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَاجًا مِنْ نُورٍ، ضَوْؤُهُ مِثْلُ ضَوْءِ الشَّمْسِ، وَيُكْسَى وَالدَّاءُ
حُلَّتَيْنِ لَا يَقُومُ بِهِمَا الدُّنْيَا، فَيَقُولَانِ: بِمِ كُسينَا هَذَا؟، فَيُقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ».

وَأَذْكُرْكُمْ - أَيْضًا - بِمَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ - إِنْ
اِعْتَصَمْتُمْ بِهِ - كِتَابُ اللَّهِ».

اللَّهُمَّ اجْعَلِ الْقُرْآنَ رَيْبَ قُلُوبِنَا، وَنُورَ صُدُورِنَا، وَجِلَاءَ أَحْزَانِنَا، وَذَهَابَ هُمُومِنَا،
اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُكَ وَخَاصَّتُكَ، يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

(1) رواه أبو نعيم في «الحلية» (3/326)، والخطيب في «الفتاوى والمنفعة» (1/47)، وابن عساکر في
«تاريخه» (41/82).

(2) «حسن غيره»: أخرجه الحاكم (1/568)، وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (1433): حسن
لغيره.

(3) رواه مسلم (1218).

النبي ﷺ في بيته

11

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْمَلُوا الصَّالِحَاتِ لعلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١١٠﴾﴾ (البقرة: 110).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْمَلُوا الصَّالِحَاتِ لعلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١١٠﴾﴾ (البقرة: 110).

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد - أيها الناس - حديثي معكم اليوم عن شيء من حياة النبي ﷺ في بيته.

أيها الناس، لقد كان نبينا محمد ﷺ خير الناس لأهله، ولا عجب؛ فقد وصفه

ربه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَمَلَكٌ خُلِقَ عَظِيمٌ﴾ (القلم: 4). فكان - لكمال أخلاقه - يقول - كما في

«سنن الترمذي» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽¹⁾: «خيركم

خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي».

(1) «صحيح»: أخرجه الترمذي (3895)، وابن حبان (1312) عن عائشة رضي الله عنها، وصححه الألباني

في «صحيح الجامع» (3314).

وكان يَقُولُ - كما في «مسند أحمد» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ».

فكيف كان عليه السلام فِي بَيْتِهِ، وَمَعَ أَهْلِهِ؟.

ها هُوَ الْأَسْوَدُ يَسْأَلُ أُمَّنَا عَائِشَةَ رضي الله عنها: مَا كَانَ النَّبِيُّ عليه السلام يَضَعُ قِي بَيْتِهِ؟. قَالَتْ: «كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ - تَعْنِي: خِدْمَةَ أَهْلِهِ - فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ». وَالْحَدِيثُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»⁽²⁾.

وَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽³⁾ عَنْ عُرْوَةَ قَالَتْ: قِيلَ لِعَائِشَةَ رضي الله عنها: مَا كَانَ يَعْمَلُ رَسُولُ اللَّهِ فِي بَيْتِهِ؟. قَالَتْ: «كَانَ يَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيُخَصِّفُ⁽⁴⁾ نَعْلَهُ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرَّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ».

وَفِي «مُسْنَدِ أَبِي يَعْلَى» وَ«شَمَائِلِ التِّرْمِذِيِّ» وَ«صَحِيحِ ابْنِ حَبَّانَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽⁵⁾ عَنْ عَمْرَةَ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّهَا سُئِلَتْ: مَا كَانَ عَمَلُ رَسُولِ اللَّهِ فِي بَيْتِهِ؟. قَالَتْ: «مَا كَانَ إِلَّا بَشْرًا مِنَ الْبَشَرِ، كَانَ يَغْلِي ثَوْبَهُ، وَيَخْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ عليه السلام».

(1) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (2/250)، وَالتِّرْمِذِيُّ (1162) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (284).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (676).

(3) «صَحِيحٌ»: رَوَاهُ أَحْمَدُ (6/121)، وَابْنُ حَبَّانَ (5677)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (4937).

(4) الْخَصْفُ: خِيَاظَةُ الْجِلْدِ، وَبَابُهُ ضَرَبَ.

(5) «صَحِيحٌ»: رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى فِي «مُسْنَدِهِ» (4873)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «الشَّمَائِلِ» (293)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (4996).

أَيُّهَا النَّاسُ، دُونَكُمْ قُطُوفًا مِنْ حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ أَهْلِهِ:

أَيُّهَا النَّاسُ، أَوَّلُ زَهْرَةٍ أَقْطِفُهَا لَكُمْ هِيَ حِلْمُهُ وَصَبْرُهُ مَعَ أَزْوَاجِهِ ﷺ.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّ نِسَاءَ النَّبِيِّ ﷺ كُنَّ يَجْتَمِعْنَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي بَيْتِ صَاحِبِ التَّوْبَةِ مِنْهُنَّ، فَدَخَلْتُ بَيْتَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَمَدَّ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّهَا زَيْنُبُ. فَكَفَّ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ، فَتَقَاوَلَتَا حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَضْوَاتُهُمَا، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ فَسَمِعَهُمَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اخْتُ فِي أَفْوَاهِهِنَّ التُّرَابَ، وَجَاءَتِ الصَّلَاةُ، فَخَرَجَ وَلَمْ يُكَلِّمَهَا، وَلَكِنَّ أَبَا بَكْرٍ عَادَ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَعَنَّفَ عَائِشَةَ».

فانظروا - أَيُّهَا النَّاسُ - إِلَى صَبْرِهِ ﷺ وَحِلْمِهِ عَلَى مَا بَدَرَ مِنْ أَزْوَاجِهِ وَتَخَاصُمِهِنَّ أَمَامَهُ، دُونَ أَنْ يُعَنَّفَ إِحْدَاهُنَّ.

يقول الإمام النووي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَمَّا قَوْلُهُ: «اخْتُ فِي أَفْوَاهِهِنَّ التُّرَابَ» فمبالغة في زَجْرِهِنَّ، وَقَطْعِ خِصَامِهِنَّ، وَفِيهِ فَضِيلَةٌ لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَشَفَقَتُهُ - وَنَظَرُهُ فِي الْمَصَالِحِ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ الْمَفْضُولِ عَلَى صَاحِبِهِ الْفَاضِلِ بِمَصْلَحَتِهِ)⁽²⁾.

وفي «صحيح البخاري»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ نِسَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُنَّ حِزْبَيْنِ: فَحِزْبٌ فِيهِ عَائِشَةُ، وَحَفْصَةُ، وَصَفِيَّةُ، وَسُودَةُ، وَالْحِزْبُ الْآخَرُ أُمُّ سَلَمَةَ، وَسَائِرُ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ عَلِمُوا حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا كَانَتْ عِنْدَ أَحَدِهِمْ هَدِيَّةٌ، يُرِيدُ أَنْ يُهْدِيَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخْرَهَا،

(1) رواه مسلم (1462).

(2) «شرح النووي على مسلم» (39/10).

(3) رواه البخاري (2581).

حَتَّى إِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ، بَعَثَ صَاحِبَ الْهَدْيَةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ، فَكَلَّمَ حِزْبُ أُمِّ سَلَمَةَ، فَقُلْنَ لَهَا: كَلِّمِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُكَلِّمُ النَّاسَ، فَيَقُولُ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يُهْدِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَدِيَّةً، فَلْيُهْدِهَا حَيْثُ كَانَ مِنْ بِيوتِ نِسَائِهِ، فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ بِمَا قُلْنَ، فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا، فَسَأَلَتْهَا، فَقَالَتْ: مَا قَالَ لِي شَيْئًا، فَقُلْنَ لَهَا: فَكَلِّمِيهِ، قَالَتْ: فَكَلَّمْتُهُ حِينَ دَارَ إِلَيْهَا - أَيْضًا - ، فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا، فَسَأَلْنَاهَا، فَقَالَتْ: مَا قَالَ لِي شَيْئًا، فَقُلْنَ لَهَا: كَلِّمِيهِ حَتَّى يُكَلِّمَكَ، فَدَارَ إِلَيْهَا، فَكَلَّمَتْهُ، فَقَالَ لَهَا: «لَا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ؛ فَإِنَّ الْوَحْيَ لَمْ يَأْتِنِي وَأَنَا فِي ثَوْبِ امْرَأَةٍ إِلَّا عَائِشَةَ». قَالَتْ: فَقَالَتْ: أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. ثُمَّ إِتَمَّنَّ دَعُونَ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَقُولُ: إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدْنَكَ الْعَدْلَ⁽¹⁾ فِي بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، فَكَلَّمَتْهُ فَقَالَ: «يَا بِنْتِي، أَلَا تُحِبِّينَ مَا أَحَبُّ؟». قَالَتْ: بَلَى. فَرَجَعَتْ إِلَيْهِنَّ فَأَخْبَرْتَهُنَّ، فَقُلْنَ: ارْجِعِي إِلَيْهِ، فَأَبَتْ أَنْ تَرْجِعَ، فَأَرْسَلْنَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، فَأَتَتْهُ فَأَعْلَظَتْ، وَقَالَتْ: إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدْنَكَ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ، فَرَفَعَتْ صَوْتَهَا، حَتَّى تَنَاوَلَتْ عَائِشَةَ وَهِيَ قَاعِدَةٌ فَسَبَّتْهَا، حَتَّى إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيَنْظُرُ إِلَى عَائِشَةَ هَلْ تَكَلَّمُ، قَالَ: فَتَكَلَّمْتُ عَائِشَةَ تَرُدُّ عَلَى زَيْنَبَ، حَتَّى أَسْكَنْتَهَا، قَالَتْ: فَانظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى عَائِشَةَ، وَقَالَ: «إِنَّهَا بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ!».

فَانظُرُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - فَالنَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَظْلِمِ نِسَاءَهُ عَلَى حِسَابِ عَائِشَةَ، بَلْ إِنَّ مَا فَعَلَهُ أَصْحَابُهُ مِنْ تَكْرِيمِ عَائِشَةَ لِمَحَبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ خَارِجٌ عَنْ أَمْرِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ عَالَجَ النَّبِيُّ ﷺ هَذِهِ الرَّغْبَةَ مِنْ أَزْوَاجِهِ بِحِلْمٍ وَرِفْقٍ، دُونَ أَنْ يَقْسُوَ عَلَى زَوْجَاتِهِ، وَيُعَفِّهَنَّ لِتَجَرُّثُهُنَّ عَلَيْهِ.

(1) يَنْشُدْنَكَ الْعَدْلَ أَيُّ: يَسْأَلْنَ مِنْكَ الْعَدْلَ، وَالْمُرَادُ بِهِ: التَّسْوِيَةَ بَيْنَهُنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

بَلْ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنَّ يُرَاجِعُنَّهُ وَيُجَادِلُنَّهُ وَيُنَاقِشُنَّهُ، وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْمَعُ هُنَّ، وَلَا يُنْكِرُ ذَلِكَ مِنْهُنَّ تَوَاضَعًا مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَأْفَةً مِنْهُ وَرَحْمَةً. بَلْ حَتَّى إِنْ إِحْدَاهُنَّ كَانَتْ تُرَاجِعُهُ وَتَهْجُرُهُ إِلَى اللَّيْلِ، وَهُوَ صَابِرٌ حَلِيمٌ عَلَيْهِنَّ.

وَانظُرُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - إِلَى مَا جَاءَ فِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَنَهُ الْأَرْنَاؤُوطَ فِي تَحْقِيقِهِ عَلَى الْمُسْنَدِ⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَسْتَأْذِنُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَمِعَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَهِيَ رَافِعَةٌ صَوْتَهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ فَقَالَ: يَا ابْنَةَ أُمِّ رُومَانَ - وَتَنَاوَلَهَا -، أَتُرْفَعِينَ صَوْتَكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! قَالَ: فَحَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا، قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ جَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَهَا - يَسْتَرْضِيهَا - : «أَلَا تَرِينَ أَنِّي قَدْ حُلْتُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنِكَ؟!». ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ مُسْتَأْذِنٌ عَلَيْهِ، فَوَجَدَهُ يُضَاحِكُهَا. قَالَ: فَأَذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَشْرِكَانِي فِي سِلْمِكُمَا كَمَا أَشْرَكْتُمَانِي فِي حَرْبِكُمَا.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَا يَظُنُّ أَحَدُنَا أَنَّ الْحَيَاةَ قَدْ حَلَّتْ مِنَ الْمُنْغَصَّاتِ وَالْمَشَاكِلِ؛ فَهَذَا أَمْرٌ يَتَنَاقَى وَسُنَّةَ الْإِبْتِلَاءِ الرَّبَّانِيِّ الثَّابِتَةَ لِبَنِي الْإِنْسَانِ، أَلَمْ يَقُلْ رَبُّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - : ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝﴾ (الملك: 2)؟!.

إِنَّ الْمَشَاكِلَ حَاصِلَةٌ، لَكِنْ تَحْتَاجُ إِلَى حِلْمٍ وَصَبْرٍ وَحِكْمَةٍ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ حَرِيصٌ عَلَى الْفِتْنَةِ، حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يُخْرِجَ وَهُوَ الرَّابِعُ وَنَحْنُ الْخَاسِرُونَ.

(1) انظر الحديث بطوله في «صحيح البخاري» (5843)، و«صحيح مسلم» (1479).

(2) «صحيح»: أخرجه أحمد في «مسنده» (1797).

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث جابر رضي الله عنه: «إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئا، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيذنيه منه، ويقول: نعم أنت!». قال الأعمش: أراه قال: «فيلترمه».

وانظروا - أيها الناس - إلى حكمة النبي صلى الله عليه وسلم في القضاء على المشاكل في مهدها، وتفويت الفرصة على الشيطان الرجيم.

ففي «صحيح البخاري»⁽²⁾ من حديث أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم عند بعض نساياه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فصربت التي النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها يد الخادم، فسقطت الصحفة، فانفلقت، فجمع النبي صلى الله عليه وسلم فلحق الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: «غارت أمكم». ثم حبس الخادم، حتى أتى بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت. وأستغفر الله.

(1) رواه مسلم (2813).

(2) رواه البخاري (5225).

الخطبة الثانية - النبي ﷺ في بيته :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد - أيها الناس - تقدم الحديث معكم عن شيء من حياة النبي ﷺ في بيته، واقتطف لكم زهرتين، هما: الصبر، والحلم، والآن اقتطف لكم زهرة من مشاعره ﷺ مع أهله.

أيها الناس، لقد كان - نبينا محمد ﷺ مثالا للطف والأنس ودفء المشاعر مع أهله خاصة، ومع الناس كافة.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث عائشة رضي عنها قالت: «كنت أشرب وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ، فيضع فاه على موضع في، فيشرب، وتعرق العرق - وهو العظم الذي عليه بقية من لحم - وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ، فيضع فاه على موضع في».

وكان من جميل مشاعره: أنه رفع الكلفة إلى حد أن يستبق هو وامرأته.

ففي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «آداب الزفاف»⁽²⁾ من حديث عائشة رضي عنها أنها قالت: خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية مة أحمل اللحم، ولم أبدن، فقال للناس: «تقدموا». فتقدموا، ثم قال:

(1) رواه مسلم (300).

(2) «صحيح»: أخرجه أحمد في «مسنده» (6: 264)، و«يو داود» (2579)، و«ابن ماجه» (2010)، و«صححه الألباني في «الإرواء» (1502)، و«آداب الزفاف» (ص 276).

«تَعَالَى حَتَّى أَسَابِقَكَ». فَسَابَقْتُهُ فَسَبِقْتُهُ، فَسَكَتَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ وَبَدَنْتُ وَنَسِيتُ، خَرَجْتُ مَعَهُ فِي بَغْضِ أَسْفَارِهِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: «تَقَدَّمُوا». فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَى أَسَابِقَكَ». فَسَابَقْتُهُ فَسَبِقَنِي، فَجَعَلَ يَضْحَكُ وَهُوَ يَقُولُ: «هَذِهِ بَيْتُكَ».

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رضي الله عنه فِي حَدِيثِهِ عَنْ صَفِيَّةَ رضي الله عنها: «فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله يُجَوِّي لَهَا⁽²⁾ وَرَاءَهُ بَعَاءَةً، ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ، فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ وَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ حَتَّى تَرَكِبَ».

وَأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ فِي «عَشْرَةِ النِّسَاءِ» بِإِسْنَادٍ حَسَنِ⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: زَارَتْنَا سَوْدَةُ يَوْمًا، فَجَلَسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا، وَإِخْدَى رِجْلَيْهِ فِي حِجْرِي، وَالْأُخْرَى فِي حِجْرِهَا، فَعَمِلْتُ الْحَزِيرَةَ، فَقُلْتُ: كُلِّي، فَأَبَتْ، فَقُلْتُ: لَتَأْكُلِينَ أَوْ لَأَلْطَخَنَّ وَجْهَكَ، فَأَبَتْ، وَأَخَذْتُ مِنَ الْقَضْعَةِ شَيْئًا، فَلَطَخْتُ بِهِ وَجْهَهَا، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله رِجْلَيْهِ مِنْ حِجْرِهَا؛ لَتَسْتَقِيدَ مِنِّي، وَقَالَ لَهَا: «لَطَخِي وَجْهَهَا». فَأَخَذْتُ مِنَ الصَّخْفَةِ شَيْئًا، فَلَطَخْتُ بِهِ وَجْهِي، وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَضْحَكُ.

وَالْحَزِيرَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - لَحْمٌ يُقَطَّعُ صِغَارًا وَيُصَبُّ عَلَيْهِ مَاءٌ كَثِيرٌ، فَإِذَا نَضِجَ ذُرٌّ عَلَيْهِ الدَّقِيقُ.

(1) رواه البخاري (4211).

(2) يُجَوِّي لَهَا - بتشديد الواو - أي: يجعل لها حويّة، وهي كساءٌ تحشوُ يَدَارُ حَوْلَ سَنَامِ الْبَعِيرِ، نَهْيًا لِلْمَرْأَةِ لِتُرَكِبَهُ، وَاجْتِمَاعُ الْحَوَايَا.

(3) أخرجه النسائي في «عشرة النساء» (8917)، وأبو يعلى في «مسنده» (4476).

وفي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً على باب حجري، والحبشة يلعبون في المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينسئني بردائه، أنظر إلى لعبيهم».

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «وفي الحديث جواز النظر إلى اللهو المباح، وفيه حسن خلقه صلى الله عليه وسلم مع أهله، وكرم معاشرته»⁽²⁾.

أيها الناس، تلك قطوف من أخلاقه صلى الله عليه وسلم، وحسن عشرته مع أهله، والله - سبحانه وتعالى - قد أمرنا بالتأسي به، فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَكَرَّهَ اللَّهُ كِبَرًا﴾ (٥) (الأحزاب: 21).

أيها الناس، لا ينبغي لمؤمن أن يفرك مؤمنة؛ فإنه إن كره منها خلقاً، رضي منها آخر، وربنا يقول: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسُوهُنَّ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ لِيَوْمِئَذٍ لَّهُنَّ ۞﴾ (النساء: 19).

وفي «صحيح مسلم»⁽³⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يفرك مؤمن مؤمنة؛ إن كره منها خلقاً، رضي منها آخر - أو قال: هبزة -». وقوله: «لا يفرك». أي: لا يبغيض.

أيها الناس، قد دلّ الدليل من كتاب الله، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنه لا يبغيض ولا يجمل بالمؤمن أن يبغيض زوجته متى وجد منها خلقاً لا يعجبه؛ لأنه ربها هناك أخلاق مرضية، لكنه يسعى ما استطاع لإصلاحها.

(1) رواه البخاري (544) - واللفظ له -، ومسلم (892).

(2) «فتح الباري» (1/549).

(3) رواه مسلم (1469).

أَيُّهَا النَّاسُ، النِّسَاءُ أَشْبَهُ بِالْقَوَارِيرِ، دَلَّ عَلَى ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ فِي الثَّقَلِ، وَأَنْجَشَتْ غُلَامُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسُوقُ بِهِنَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَنْجَشُ، رُوَيْدَكَ سَوَقَكَ بِالْقَوَارِيرِ».

فَهَذَا شَبَّهَ النَّبِيُّ النِّسَاءَ بِالْقَوَارِيرِ إِشَارَةً إِلَى مَا فِيهِنَّ مِنَ الصَّفَاءِ وَالنَّعْمَةِ وَالرَّقَّةِ، وَإِلَى ضَعْفِهِنَّ وَقَلَّةِ تَحْمُلِهِنَّ، وَالْمَقْصُودُ - أَيُّهَا النَّاسُ - : أَتَّهِنُ بِحَاجَةِ إِلَى الرَّفْقِ فِي تَوْجِيهِنَّ وَتَعْلِيمِهِنَّ وَالْحَيَاةِ مَعَهُنَّ.

أَيُّهَا النَّاسُ، قَبْلَ أَنْ أُوَدِّعَ مَقَامِي هَذَا أَذَكَّرُكُمْ بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا؛ فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَغْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تَقِيمُهُ كَسَرَتْهُ، وَإِنْ تَرَكَتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا».

أَيُّهَا النَّاسُ، سَلُوا اللَّهَ الَّذِي جَمَعَكُمْ فِي الدُّنْيَا فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ عَلَى طَاعَتِهِ، وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً - أَنْ يَجْمَعَكُمْ فِي الْفِرْدَوْسِ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ.

اللَّهُمَّ ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَنْزَلَيْكَ فِتْرَةً أَعْرَبْ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (٧٤)
(الفرقان: 74)، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي أَهْلِنَا وَأَوْلَادِنَا، اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَاجْعَلِ الْآخِرَةَ أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَمَبْلَغَ عِلْمِنَا، اللَّهُمَّ لَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَابَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمْ كَمَا رَبَّوْنَا صِغَارًا.

(1) رواه البخاري (6202).

(2) رواه البخاري (3331)، ومسلم (1468).

وفاء الرسول ﷺ

12

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا

اللَّهِ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أما بعد، فإنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد، حديثي معكم - أيها الناس - عن وفاة الرسول ﷺ.

- أيها الناس، إنَّ مُصِيبَةَ مَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ أَعْظَمُ الْمُصَائِبِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

ففي «سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَيُّمَا أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ - أَوْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ - أَصِيبَ بِمُصِيبَةٍ، فَلْيَتَعَزَّزْ بِمُصِيبَتِهِ بِعَنِ الْمُصِيبَةِ الَّتِي

(1) «صحيح»: أخرجه ابنُ ماجَةَ (1599)، وصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ».

نُصِيْبُهُ بَغَيْرِي؛ فَإِنَّ أَحَدًا مِنْ أُمَّتِي لَنْ يُصَابَ بِمُصِيبَةٍ بَعْدِي أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ مُصِيبَتِي»⁽¹⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ أَعْلَمَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ بِأَجَلِهِ.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَكْثُرُ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ: «سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ».

قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أُرَاكَ أَخَذْتَهَا تَقُولُهَا؟. قَالَ: «جُعِلَتْ لِي عَلَامَةٌ فِي أُمَّتِي، إِذَا رَأَيْتَهَا قُلْتُهَا ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾».

وَقَدْ سَأَلَ عُمَرُ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾، فَقَالَ: «أَجَلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَعْلَمُهُ إِيَّاهُ». قَالَ: «مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ».

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كُنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ، لَمْ يُغَادِرْ مِنْهُنَّ وَاحِدَةً، فَأَقْبَلْتُ فَاطِمَةَ تَمْشِي، مَا تُحْطِيءُ مِشْيَتَهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْئًا، فَلَمَّا رَأَاهَا رَحَّبَ بِهَا، فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي». ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ - أَوْ عَنْ شِمَالِهِ - ، ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكَتُ بُكَاءً شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَى جَزَعَهَا، سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: خَصَّكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ بِالسَّرَارِ، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ؟!، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، سَأَلْتُهَا: مَا قَالَ لِكَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟.

قَالَتْ: مَا كُنْتُ أَفْشِي عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ سِرَّهُ. قَالَتْ: فَلَمَّا تُوِّفِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قُلْتُ: عَزَمْتُ عَلَيْكَ بِمَا لِي عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ لَمَا حَدَّثْتَنِي مَا قَالَ لِكَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

(1) رواه مسلم (484).

(2) رواه البخاري (3627).

(3) رواه البخاري (4433)، ومسلم (2450)، واللفظ له.

فَقَالَتْ: «أَمَّا الْآنَ فَنَعَمْ، أَمَّا حِينَ سَارَّيَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى، فَأَخْبَرَنِي أَنَّ جَبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ⁽¹⁾ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارِضُهُ الْآنَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنِّي لَا أَرَى الْأَجَلَ إِلَّا قَدْ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِيَ اللَّهَ وَاصْبِرِي، فَإِنَّهُ نِعَمَ السَّلَفُ أَنَا لَكَ».

قَالَتْ: فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَّيَ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ، أَمَا تَرْضِي أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ - أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ - ؟».

قَالَتْ: فَضَحِكْتُ ضَحِكِي الَّذِي رَأَيْتِ.

وَفِي رِوَايَةٍ «لِمُسْلِمٍ»: فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ مَنْ يَتَّبَعُهُ مِنْ أَهْلِهِ؛ فَضَحِكْتُ.

ذَلِكَ - أَيُّهَا النَّاسُ - بَعْضُ الْمَقْدَمَاتِ لِمَوْتِهِ ﷺ.

وَكَانَ ﷺ قَدْ وَدَّعَ النَّاسَ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ وَأَوْصَاهُمْ.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَرْمِي عَلَى رَاِحِلَتِهِ يَوْمَ النَّخْرِ، وَيَقُولُ: «لِتَأْخُذُوا عَنِّي مَنَاسِكُكُمْ؛ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ».

وَتَتَجَلَّى وَصِيَّتُهُ ﷺ وَوَدَاعُهُ لِأُمَّتِهِ فِي عَرَافَاتِ.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ أَمَرَ بِالْقَضْوَاءِ⁽⁴⁾، فَرَجَلَتْ⁽⁵⁾ لَهُ، فَأَتَى بَطْنَ الْوَادِي، فَخَطَبَ النَّاسَ، وَقَالَ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ

(1) الْمُعَارِضَةُ: الْمُقَابَلَةُ، وَهِيَ مُفَاعَلَةٌ مِنَ الْجَانِبَيْنِ، جَبْرِيلُ رضي الله عنه يَقْرَأُ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَسْتَمِعُ، ثُمَّ يَقْرَأُ النَّبِيُّ ﷺ وَجَبْرِيلُ رضي الله عنه يَسْتَمِعُ.

(2) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1279).

(3) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (1218).

(4) الْقَضْوَاءُ - بِالْفَتْحِ وَالْمَدِّ -: اسْمُ نَاقَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

(5) فَرَجَلَتْ أَيُّ: جُعِلَ عَلَيْهَا الرَّخْلُ، وَهُوَ الْمَرْكَبُ.

عليكم كحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ
الْجَاهِلِيَّةِ نَحْتَمَتْ قَدَمِي مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضْعُ مِنْ دِمَائِنَا
دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ ابْنِ الْحَارِثِ، كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدِ، فَقَتَلْتَهُ هُذَيْلٌ، وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةِ
مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رَبَا أَضْعُ رَبَانَا رَبَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، فَاتَّقُوا
اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَكُمْ
عَلَيْهِنَّ أَلَّا يُوطِئَنَّ فُرُوشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلَنَّ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ
مُبْرَحٍ⁽¹⁾، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا
بَعْدَهُ - إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ - كِتَابَ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟».

قالوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ.

فقال بإضبعه السبابة - يرفعها إلى السماء، وينكثها إلى الناس: «اللهم اشهد، اللهم اشهد» ثلاث مرات.

وفي رواية «للبخاري»⁽²⁾ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «وودَّع الناس، فقالوا: هذه حجة الوداع».

أيها الناس، لقد حضر هذا الموقف الجُم الغفير من الناس، فقليل - كما في «فتح الملك المعبود» -: «مائة وثلاثون ألفاً»⁽³⁾.

وفي هذا اليوم العظيم - أيها الناس - أنزل على النبي صلوات الله عليه يوم عرفة في يوم الجمعة: ﴿أَيُّومَ أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: 3).

(1) ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرَحٍ - بِكَسْرِ الْبَاءِ مُشَدَّدَةً - أَي: غَيْرَ شَاقٍ.

(2) رواه البخاري (1742).

(3) انظر «فتح الملك المعبود» (2/105).

وَبَعْدَ أَنْ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ، شَرَعَ فِي تَوْدِيْعِ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ.

فَقِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمَ... فَصَلَّى عَلَى قَتْلِ أَحَدٍ صَلَاةَ الْمَيِّتِ بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ كَالْمُودِعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، ثُمَّ صَنَعَ الْمِنْبَرَ. فَقَالَ: «إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ قَرَطٌ لَكُمْ»⁽²⁾، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ أَحْوَضٌ. وَإِنِّي - وَاللَّهِ - لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ مِنْ مَقَامِي هَذَا، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَقَاتِبَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ، وَإِنِّي - وَاللَّهِ - مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَتَنَافَسُوا فِيهَا (وَتَقْتُلُوا، فَتَهْلِكُوا كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ).

فَرَضَ عُقْبَةُ: «فَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (عَلَى الْمِنْبَرِ)».

فَرَضَ الْخَافِظُ ابْنُ حَجْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَا مَعْنَاهُ: فَتَوْدِيْعُهُ لِلْأَحْيَاءِ ظَاهِرٌ؛ لِأَنَّ سِيَاقَ الْحَدِيثِ يُشْعِرُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ آخِرَ حَيَاتِهِ ﷺ، وَأَمَّا تَوْدِيْعُهُ لِلْأَمْوَاتِ فَبِاسْتِغْفَارِهِ لِأَهْلِ الْبَيْتِ، وَدُعَائِهِ لِأَهْلِ أُحُدٍ، وَانْقِطَاعِهِ بِجَسَدِهِ عَنْ زِيَارَتِهِمْ⁽³⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ، بَعْدَ أَنْ وَدَّعَ النَّبِيُّ ﷺ الْأَحْيَاءَ، وَصَلَّى عَلَى شُهَدَاءِ أُحُدٍ، وَدَعَا لَهُمْ. وَذَهَبَ إِلَى أَهْلِ الْبَيْتِ، وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَدَعَا لَهُمْ مُودِّعًا لَهُمْ - رَجَعَ مَرَّةً مِنْ بَيْتِ بَيْعِ. فَوَجَدَ عَائِشَةَ وَهِيَ تَشْتَكِي مِنْ صُدَاعٍ بِرَأْسِهَا، وَهِيَ تَقُولُ: وَارَأْسَاهُ!. فَقَالَ - كَمَا فِي الْمُسْنَدِ أَحْمَدَ: بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «أَحْكَامِ الْجَنَائِزِ»⁽⁴⁾ -: «بَلَّ أَنَا - وَاللَّهِ - بِأَعْيُنِي وَارَأْسَاهُ!».

(1) رَوَاهُ سَخَرِيُّ (٣٤٤)، (٣٥٥)، (٤٠٢)، (٤٠٨٥)، (٦٥٩٠)، وَمُسْلِمٌ (٢٢٩٦)، وَمَا يَبَيِّنُ

تَعْدُوكَ مِنْ صَحِيحِ مُسْنَدِهِ.

(2) قَرَطٌ لَكُمْ - فَتَحْتُونَ - أَيُّ مُتَقَدِّمِكُمْ.

(3) الْفَتْحُ (٦/٣٤٥).

(4) صَحِيحٌ: خَرَجَهُ أَحْمَدُ (٥/١٤٤)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «أَحْكَامِ الْجَنَائِزِ» (ص ٥٠).

قالت عائشة رضي عنها ثم قال: «وما ضرك لو مت قبلي، فممت عليك، وكففتك، وصليتُ عليك، ودفتك؟».

قالت: قلتُ: والله لكأني بك لو قد فعلت ذلك، لقد رجعت إلى بيتي، فأعرست ببعض نساءك⁽¹⁾.

قالت: فتبسم رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه.

وأول ما اشتدَّ برسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وجعه في بيتِ ميمونة، فاستأذن نساءه أن يمرَّض في بيتِ عائشة رضي عنها، كما جاء ذلك في «صحيح مسلم»⁽²⁾.

وفي بيتِ - عائشة - أيها الناس - كان موته صلَّى اللهُ عليه، كما في «الصَّحِيحِينَ»⁽³⁾ مِنْ حديثِ عائشة رضي عنها قالت: كُنْتُ أَسْمَعُ: أَنَّهُ يَمُوتُ نَبِيٍّ حَتَّى يُجَيَّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَسَمِعْتُ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليه فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ - وَأَخَذَتْهُ بَحَّةٌ يَقُولُ: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: 69). قالت: فظننتُ خَيْرَ حَبِيبَةٍ.

وقالت عائشة رضي عنها كما في «الصَّحِيحِينَ»⁽⁴⁾: «فكأنتِ آخرَ كَلِمَةٍ تَكَلِّمُ بِهَا: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى». وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) يُقَالُ: أَعْرَسَ بِأَهْلِهِ: إِذَا بَنَى بِهَا، وَكَذَلِكَ إِذَا غَشِيَهَا.

(2) «رواه مسلم» (418).

(3) رواه البخاريُّ (4435)، ومسلم (2444).

(4) رواه البخاريُّ (4436)، ومسلم (2444).

الخطبة الثانية - وصية النبي ﷺ عند موته :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد - أيها الناس - تقدم الحديث معكم عن وفاة النبي ﷺ، والآن حديثي معكم عن وصية النبي ﷺ عند موته.

أيها الناس، وصايا النبي ﷺ كثيرة، ومن ضمن ما أوصى به ﷺ أمته الصلاة.

ففي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «إرواء الغليل»⁽¹⁾ من حديث أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: «كان آخر وصية رسول الله ﷺ: «الصلاة الصلاة، وما ملكت أيمانكم» حتى جعل نبي الله ﷺ يجلسها في صدره، وما يفيض به لسانه».

أيها الناس، انظروا إلى قول أم سلمة رضي الله عنها: «حتى جعل نبي الله ﷺ يجلسها في صدره، وما يفيض به لسانه»؛ وما ذاك - أيها الناس - إلا لأهمية الصلاة، فهي ثاني أركان الإسلام بعد الشهادتين، وعمود الدين، والفارقة بين المسلمين والكافرين، وشعار النبيين، وعلامة المتقين، والصلة بين العبد ورب العالمين، فهي محل عناية الأنبياء والمرسلين.

قال الله - سبحانه وتعالى - حاكياً عن عبده وخليته إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْني مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ (إبراهيم: 40).

وقال - سبحانه - : ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُيُوتًا مِثْلَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ (إبراهيم: 37).

(1) «صحيح»: أخرجه أحمد (6/ 290)، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (7/ 238).

وقال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿ وأذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ﴿٥٤﴾ وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا ﴿٥٥﴾ ﴾ (مريم: 54، 55).

وقال الله - سبحانه، وتعالى - حاكيا عن زكريا - عليه الصلاة والسلام - : ﴿ فتأتته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ﴾ (آل عمران: 39).

وقال الله - سبحانه، - حاكيا عن عيسى - عليه الصلاة والسلام - : ﴿ قال إني عبد الله أتيتني الكتاب نبيا ﴿٣٠﴾ وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ﴾ (مريم: 30، 31).

وقال الله - سبحانه، وتعالى - لعبيده ورسوله - محمد - ﷺ : ﴿ أقم الصلاة لذالك الشمس إن غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا ﴿٧٨﴾ ومن الليل فتعجذ به، نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴿٧٩﴾ ﴾ (الإسراء: 78، 79).

وقال له : ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ (طه: 132).
أيها الناس، الصلاة طريق إلى الجنة، والنجاة من النار.

قال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿ والذين هم على صلاتهم يحافظون ﴿٣٤﴾ أولئك في جنتهم مكرمون ﴾ (المعارج: 34، 35).

وقال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿ والذين هم على صلواتهم يحافظون ﴿٩﴾ أولئك هم الوريثون ﴿١٠﴾ الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴿١١﴾ ﴾ (المؤمنون: 9 - 11).

أيها الناس، تلك وصية النبي ﷺ وهو يودع الدنيا، فعلينا أن نحافظ عليها في أوقاتها، وحيث ينادى بها.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم ﴿ أينما في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾ ﴿٢١﴾ (البقرة: 201).

التَّقْوَى

13

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي فَتَنَ لُقْمَانَ وَهُوَ الْإِلَهَ الْأَعَزُّ الْأَكْبَرُ ﴿١٠١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد - أيها الناس - حديثي معكم اليوم عن التقوى.

والتقوى - أيها الناس - الحديث عنها ذو شجون⁽¹⁾، وتعرف التقوى بأنها: وقاية

العبد نفسه من عذاب الله بامثال أو أمره، واجتناب نواهي.

وقد ذكر الله - سبحانه وتعالى - التقوى في كتابه الكريم في نيف⁽²⁾ وخمسين ومائة

آية، وبشر المتقين ببشارات عديدة، منها:

(1) الحديث ذو شجون أي: يدخل بفضه في بغض.

(2) النيف - بالفتح والمثقلة أفصح من المخففة - : العدد الذي بين عقدتين.

العون، والنصرة، والعلم والحكمة، وتكفير الذنوب وتَعْظِيمُ الأجر، والمغفرة
واليسر والسهولة، والخروج من الغم والمحنة، والرِّزْقُ الواسع في الدنيا، والنَّجاةُ من
العُقوبة في الآخرة، والتَّوفيقُ والعِصمةُ والفوزُ بالمراد، وشهادةُ الله لهم بالصدق،
ومحبةُ الله وإكرامه، ونَيْلُ الوصالِ وقُبُولُ الصَّدَقَةِ، والصِّفَاءُ وكَمالِ العِبُودِيَّةِ، والمَقامُ
الأمين، والجناتُ والعيون، والأمنُ مِنَ البَلِيَّةِ، وعِزُّ الفَوْقِيَّةِ، وزوالُ الحُزْنِ والخوفِ
مِنَ العُقوبةِ، والزَّوجاتُ الحِسانُ الكَواعِبُ⁽¹⁾ الأترابُ⁽²⁾ في الجنَّةِ، وأعظمُ من هذا
كُلُّهُ القُرْبُ مِنَ الحَضرةِ الإلهيةِ عِنْدَ الفَوْزِ بِمَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ⁽³⁾.

أيها النَّاسُ، لَقَدْ جَاءَ لَفْظُ التَّقْوَى فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ عَلَى خَمْسَةِ أَوْجُهٍ:

الأوَّلُ - الخوفُ والحَشْيَةُ، كما في قوله - تعالى - ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ

زَلْزَلَةَ النَّكَاةِ شَعْنٌ عَظِيمٌ ۝ (الحج: 1) .

أي: خافوا ربكم، واخشوه حَقَّ خَشْيَتِهِ.

الثَّانِي - العِبَادَةُ، كما في قوله - تعالى - ﴿ يُنَزِّلُ المَلَكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ

عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ۝ (النحل: 2) .

أي: فاعبدون.

الثَّالِثُ - تَرْكُ المَعْصِيَةِ، كما في قوله - تعالى - ﴿ وَأَتُوا البُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَّقُوا

اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ (البقرة: 189) .

أي: لا تَعْصُوهُ.

(1) الكواعب: جمع كاعب، وهي الجارية التي تكعب ثديها وبدًا للنهود.

(2) الأتراب: الأمثال في السنن، الواحدة تراب - بالكسر.

(3) انظر الآيات الدالة على هذه البشارات في «بصائر ذوي التمييز» (5/ 300 - 303).

الرابع - التَّوْحِيدُ، كما في قوله - تعالى - : ﴿لَوْلَيْكَ الْوَيْلُ لَوْلَمْ يَكُنْ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ تَعَالَى﴾

(الحجرات: 3).

أي: للتَّوْحِيدِ.

الخامس - الإخلاص، كما في قوله - تعالى - : ﴿فَكَرِهَ وَمَنْ يَكْفُرْ أَفْوَجُ مِنْهَا بَعْدَ الْإِخْلَاصِ﴾

تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٣﴾ (الحج: 32).

أي: مِنْ إِخْلَاصِهَا.

ذلك ما جاء به القرآن الكريم مِنْ لَفْظِ التَّقْوَى، وَأَمَّا شَرَفُهَا فَذَلِكَ بَحْرٌ لَا سَاحِلَ لَهُ، فَشَرَفُهَا شَرَفُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَسَوْفَ نَذْكُرُ طَرَفًا مِنْ ذَلِكَ:

1- التَّقْوَى وَصِيَّةُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لِلأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ:

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ

تَتَّقُوا اللَّهَ﴾ (النساء: 131).

2- التَّقْوَى هِيَ وَصِيَّةُ جَمِيعِ الرُّسُلِ الْكِرَامِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - :

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ نُوحٌ نُوْحُ أَلَا

تَتَّقُونَ﴾ (الشعراء: 105، 106).

وَقَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٧﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾

(الشعراء: 123، 124).

وَقَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا

تَتَّقُونَ﴾ (الشعراء: 141، 142).

وَقَالَ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿ كَذَبَتْ قَوْمٌ لَوْظًا الْمُرْسِلِينَ ﴿١٦٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ لَوْظًا أَلَّا تَتَّقُونَ ﴾

(الشعراء: 160، 161).

وَقَالَ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠١﴾ قَوْمٌ فَرِحْتُمْ أَلَّا

يَتَّقُونَ ﴾ (الشعراء: 10، 11).

3- التَّقْوَى وَصِيَّةُ النَّبِيِّ ﷺ لِأُمَّتِهِ:

ففي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «الإرواء»⁽¹⁾ من حديث العريضي ابن سارية رضي الله عنه قال: صَلَّى بنا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصُّبْحَ، فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً بليغةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، فَقَالَ قائلٌ: يا رسولَ الله، كأنَّها مَوْعِظَةٌ مُودِعٌ؛ فَأَوْصِنَا. فقال: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، والسَّمْعِ والطَّاعَةِ، وإنَّ كانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعْشُرْ مِنْكُمْ، فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُوا عَلَيْهَا بالنَّواجِذِ⁽²⁾، وَإِيَّاكُمْ ومُحَدِّثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

قال ابنُ رَجَبٍ رحمته: (قَوْلُهُ: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، والسَّمْعِ والطَّاعَةِ» هاتانِ الكلمتانِ تَجْمَعانِ سعادةَ الدُّنيا والآخِرَةِ، أمَّا التَّقْوَى فهي كافِلَةٌ سعادةِ الدُّنيا والآخِرَةِ لِنِ تَمَسَّكُ بِها، وهي وصِيَّةُ اللَّهِ للأوَّلِينَ والآخِرِينَ، وأمَّا السَّمْعُ والطَّاعَةُ لَوْلَاةِ أُمُورِ المُسلمينَ فيها سعادةُ الدُّنيا، وبها تُنظَّمُ مصالحُ العِبَادِ في مَعاشِهِمْ، وبها يستعينون على إظهارِ دينِهِمْ، وطاعةِ رَبِّهِمْ⁽³⁾).

(1) رواه أحمدُ (4/126، 127)، وأبو داوُدَ (4607)، والتِّرْمِذِيُّ (2676)، وابنُ ماجَةَ (34)،

وصحَّحه الألبانيُّ في «الإرواء» (2455)، و«صحيح الجامع» (2549).

(2) النَّواجِذُ: جَمْعُ نَاجِذٍ، وهو أَقصى الأضراسِ، والمعنى: تَمَسَّكُوا بِها كما يَتَمَسَّكُ العائِضُ بِجميعِ أَضراسِهِ.

(3) «جامع العلوم والحكم» (ص 247) باختصارٍ.

4- التَّقْوَى أَجْمَلُ لِبَاسٍ يَتَزَيَّنُ بِهِ الْعَبْدُ:

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿يَبْقَى مَادَمَ قَدِ ارْتَكَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُؤْرِي سَوَاءَكُمْ وَرِدْثًا وَلِبَاسَ
التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ (الأعراف: 26).

قال القرطبي رحمه في قوله - تعالى - ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾: «بَيْنَ أَنْ التَّقْوَى
خَيْرٌ لِبَاسٍ، كَمَا قِيلَ:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَلْبَسْ ثِيَابًا مِنَ التَّقَى ... تَقَلَّبَ عُرْيَانًا، وَإِنْ كَانَ كَاسِيَا
وَخَيْرُ لِبَاسٍ الْمَرْءِ طَاعَةُ رَبِّهِ ... وَلَا خَيْرَ فَمَنْ كَانَ لِلَّهِ عَاصِيَا»⁽¹⁾.

5- التَّقْوَى هِيَ أَفْضَلُ زَادٍ يَتَرَوَّدُ بِهِ الْعَبْدُ:

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿وَتَكَزَّوْذُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي
الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: 197).

قال ابن كثير رحمه: (وقوله: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾: كَمَا أَمَرَهُمْ بِالزَّادِ
لِلسَّفَرِ فِي الدُّنْيَا، أَرْشَدَهُمْ إِلَى زَادِ الْآخِرَةِ، وَهُوَ اسْتِصْحَابُ التَّقْوَى إِلَيْهَا)⁽²⁾.

6- أَهْلُ التَّقْوَى هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ:

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿الْآيَاتِ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
﴿١٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (يونس: 62، 63).

وقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الجاثية: 19).

(1) «تفسير القرطبي» (7/ 184).

(2) «تفسير ابن كثير» (1/ 239).

وقال - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿إِنْ أَرَادْنَا أَنْ نَبْنِيَنَّ لَكَ أَسْفَلَ لِمَا تَعَالَى اللَّهُ بِالْأَشْيَاءِ وَالنَّاسِ وَالْحَيَاةِ كُلِّ شَيْءٍ بَعْدَ أَجَلٍ يَدْعُونَ﴾ (الأنفال: 34).

7- التَّقْوَى هِيَ الْمِيزَانُ الْحَقُّ الَّذِي يُوزَنُ بِهِ النَّاسُ:

قال الله - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿إِنْ أَكْرَمَكَ عِنْدَ آهْوَانِكُمْ﴾ (الحجرات: 13).

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله: «مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟». قال: «أَتْقَاهُمْ اللهُ».

8- أَمْرُ اللَّهِ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - الْمُسْلِمِينَ بِالتَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى:

قال الله - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّمَدُّونَ﴾ (المائدة: 2).

قال القرطبي رحمته: «قال الماوردي: نَدَبَ اللهُ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - إِلَى التَّعَاوُنِ بِالْبِرِّ، وَقَرَنَهُ بِالتَّقْوَى؛ لِأَنَّ فِي التَّقْوَى رِضَاَ اللهِ - تَعَالَى -، وَفِي الْبِرِّ رِضَاَ النَّاسِ، وَمَنْ جَمَعَ بَيْنَ رِضَاِ اللهِ - تَعَالَى - وَبَيْنَ رِضَاِ النَّاسِ، فَقَدْ تَمَّتْ سَعَادَتُهُ، وَعَمَّتْ نِعْمَتُهُ»⁽²⁾.

وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ.

(1) رواه البخاري (3352)، ومسلم (2378).

(2) «تفسير القرطبي» (47/6).

الخطبة الثانية - صفة المتقين :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد - أيها الناس - تقدم الحديث معكم عن التقوى، وفيما يأتي الحديث عن بعض صفات المتقين:

1- فَمِنْ صِفَاتِ الْمُتَّقِينَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ إِيْمَانًا جَازِمًا:

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْوَجْهُ الْعَظِيمُ﴾ (البقرة: 177)

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة: 2)

(البقرة: 1-4).

2- وَمِنْ صِفَاتِهِمْ أَنَّهُمْ يَغْفِرُونَ وَيَصْفَحُونَ:

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى﴾ (البقرة: 237).

قال ابن سَعْدِي رحمته: «رَغَبَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - فِي الْعَفْوِ، وَأَنَّ مَنْ عَفَا كَانَ أَقْرَبَ لِتَقْوَاهُ؛ لِكَوْنِهِ إِحْسَانًا مُوجِبًا لِشَرْحِ الصَّدْرِ»⁽¹⁾.

وقال رحمته: «وَأَمَّا الْعَفْوُ عَنْ جِنَايَاتِ الْمُسِيئِينَ بِأَقْوَاهِمَ وَأَفْعَالِهِمْ فَلَا يُتَوَهَّمُ مِنْهُ الذُّلُّ، بَلْ هُوَ عَيْنُ الْعِزِّ؛ فَإِنَّ الْعِزَّ هُوَ الرَّفْعَةُ عِنْدَ اللَّهِ، وَعِنْدَ خَلْقِهِ، مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى قَهْرِ الْخُصُومِ وَالْأَعْدَاءِ»⁽²⁾.

(1) «تفسير ابن سَعْدِي» (ص 105).

(2) «بَهْجَةُ قُلُوبِ الْأَبْرَارِ» (ص 89).

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ».

3- وَمِنْ صِفَاتِهِمْ أَنَّهُمْ يَتَحَرَّوْنَ الصَّدَقَ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ:

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (الزمر: 33).

فأخبر الله - سُبْحَانَهُ - : أَنَّ الْمُتَّقِينَ إِذَا بَلَغَهُمُ الْحَقُّ وَالصَّدَقُ عَنِ اللَّهِ وَعَنْ رَسُولِهِ صَدَّقُوا بِهِ، وَسَارَعُوا إِلَى الْعَمَلِ بِهِ قَوْلًا وَعَمَلًا وَاعْتِقَادًا، فَهُمْ الْمُتَّقُونَ حَقًّا.

4- وَمِنْ صِفَاتِهِمْ أَنَّهُمْ يُعَظِّمُونَ شَعَائِرَ اللَّهِ:

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (الحج: 32).

وَالشَّعَائِرُ - أَيُّهَا النَّاسُ - : هِيَ كُلُّ شَيْءٍ لِلَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فِيهِ أَمْرٌ أَسْعَرَ بِهِ وَأَعْلَمَ، وَقِيلَ: شَعَائِرُ الْإِسْلَامِ: أَعْلَامُ دِينِهِ.

5- وَمِنْ صِفَاتِهِمْ أَنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ سَبِيلَ الصَّادِقِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ:

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (التوبة: 119).

أَيُّهَا النَّاسُ، فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِشَارَةٌ لَطِيفَةٌ إِلَى اخْتِيَارِ الصَّاحِبِ الصَّالِحِ، الَّذِي أَقْوَالُهُ وَأَفْعَالُهُ وَأَحْوَالُهُ لَا تَكُونُ إِلَّا صِدْقًا، فَمَا أَجْمَلَ أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ مَنْ صَدِيقٌ صَالِحٌ، يُذَكِّرُنَا بِاللَّهِ، وَبِسَبِيلِ الصَّادِقِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ!

(1) رواه مسلم (2588).

كما عَلَيْنَا أَنْ نَفِرَّ مِنْ صَدِيقِ السَّوءِ فِرَارَنَا مِنَ الْأَسَدِ، قَبْلَ أَنْ يَقُولَ أَحَدُنَا:
﴿يَعْلَمُكَ لَيْتِي لَوْ أَلْبَدْنَا خَلِيلًا﴾ (الفرقان: 28).

أَيُّهَا النَّاسُ، قَبْلَ أَنْ أُوَدِّعَ مَقَامِي هَذَا أَذْكُرُكُمْ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ (كما في
«الصَّحِيحَيْنِ»¹) مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ (رضي الله عنه): «أَلَا إِنَّ أَلَ فُلَانٍ لَيْسُوا لِي
بِأَوْلِيَاءَ، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ».

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ لَكَ، الَّذِينَ يَتَّقُونَكَ حَقَّ تَقَاتِكَ، اللَّهُمَّ أَعْنَا عَلَى ذِكْرِكَ
وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ، ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ
النَّارِ﴾ (البقرة: 201).



(1) رواه البخاري (5990)، ومسلم (215).

صفات المؤمنين

14

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أُنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّمَا أَتَوُوا اللَّهَ بِحَقِّ تَقَاتُلِهِمْ وَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا وَأَنَّهُمْ مُّشْرِكُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ (النساء: 132)

- ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلنَّاسِ أَنَّمَا آتَوَا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ فِيهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَلَقَوْا مِنْهُ حَيَاتُكُمْ وَمَوْتَكُمْ وَمَا تَكُونُونَ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٥٧﴾﴾ (النساء: 157)

اللَّهُ الَّذِي تَلَقَوْنَهُ وَالْأَرْحَامُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١٥٨﴾﴾ (النساء: 158)

- ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّمَا أَتَوُوا اللَّهَ وَقَوْلًا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿١٦٠﴾﴾ (النساء: 160)

يُطِيعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿١٦١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71)

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد **صلى الله عليه وسلم**. ومن الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد - أيها الناس - حديثي معكم اليوم عن صفات المؤمنين، كما وصفهم الله - سبحانه وتعالى -، وكما وصفهم به نبينا محمد **صلى الله عليه وسلم**.

فمن صفاتهم - أيها الناس - ما ذكره الله - سبحانه وتعالى - في كتابه العزيز «المؤمنون».

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿مَدَّ أَيْدِيَهُمْ لِيَبْغِزُوا ﴿١٠١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿١٠٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلرِّزْقِ كَوَّافِعُونَ ﴿١٠٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ يُعْرَضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

إِلَّا عَلَى أَنْزَلِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَلِإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتغى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ دَعْوَانُ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الزُّرْقُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفَرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ ﴿المؤمنون: 1-11﴾.

أيها الناس، لقد وصف الله - تبارك وتعالى - عبادة المؤمنين في هذه الآيات بأوصافٍ: فقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: قد فازوا وسعدوا ونجحوا، وبلغوا الغاية، وهُم المؤمنون المتصفون بهذه الأوصاف.

ووصفهم بالخشوع في صلاتهم الذي هو: حضور القلب بين يدي الله - تعالى -، مستحضرين لقربه، فتسكن قلوبهم، وتطمئن نفوسهم.

ووصفهم بأنهم عن الكلام الذي لا خير فيه معرضون رغبة عنه، وتنزيهاً لأنفسهم، وكفاً لألسنتهم عن اللغو والمحرمات.

ووصفهم بأنهم مؤدبون لزكاة أموالهم على اختلاف أجناس الأموال، مذكّين لأنفسهم من أدناس الأخلاق، ومساوي الأعمال.

حافظون لفروجهم من الرنا ومقدماته: كالنظر، واللمس، ونحوهما، فحفظوا فروجهم عن كلِّ أحدٍ ﴿إِلَّا عَلَى أَنْزَلِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ من الإماء المملوكات ﴿فَلِإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ بقربيهما؛ لأن الله - تعالى - أحلهما.

﴿فَمَنْ ابْتغى وَرَاءَ﴾ غير الزوجة والسرية^(١) ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ الذين تعدوا ما أحل الله إلى ما حرّمه، وعموم هذه الآية يدلُّ على تحريم نكاح المتعة، والعادة السرية «نكاح اليد»، أو تفرغ الشهوة بأي وسيلة غير شرعية.

(١) السرية - بالضم وتشديد الراء والياء - : الجارية المتخذة للملك والجماع، والجمع السراي.

ووصفهم بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ أي: مُراعون لها، ضابطون، حافظون، حريصون على القيام بها وتنفيذها، وهذا عامٌ في جميع الأمانات التي هي حقُّ الله، وحقُّ العبادِ.

ووصفهم بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ أي: يُداومون عليها في أوقاتها، وحُدودها، وأشرطها، وأزكانها، فمدحهم بالخشوع بالصلاة، وبالمحافظة عليها.

﴿ أُولَئِكَ ﴾ الموصوفون بتلك الصفات ﴿ هُمُ الَّذِينَ ﴾ الَّذِينَ بَرِئُونَ الْفِرْيَوسِ ﴿ الَّذِي هُوَ أَعْلَى الْجَنَّةِ وَوَسْطُهَا وَأَفْضَلُهَا؛ لَأَنَّهُمْ حَلَّوْا مِنْ صِفَاتِ الْخَيْرِ أَعْلَاهَا وَذُرْوَتَهَا، ﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ لا يَطْعَنُونَ عنها، ولا يَبْغُونَ عنها جَوَلاً؛ لاشتغالها على أكمل النعيم وأفضله وأتمه، مِنْ غَيْرِ مُكَدِّرٍ وَلَا مُنْغَصٍ⁽¹⁾.

وَمِنْ صِفَاتِهِمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِقَوْلِهِ:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَمْ يَرْتَدُّوا عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (الأنفال: 2-4).

قال الإمام القرطبي رحمه الله: «وصف الله - تعالى - المؤمنين في هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكره؛ وذلك لقوة إيمانهم، ومراعاتهم لربهم، وكأنهم بين يديه»⁽²⁾.

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ ﴾ أي: حُجِّجُهُ، وهي القرآن ﴿ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ أي: يَقِينًا وَطَمَأَيْنَةً نَفْسٍ إِلَى مَا عِنْدَهُمْ.

(1) انظر «تفسير ابن سعد» (ص 547 - 548).

(2) «الجامع لأحكام القرآن» (4/282).

وَقَدْ اسْتَدَلَّ الْبُخَارِيُّ ^{عنه} وَغَيْرُهُ مِنَ الْأُمَّةِ بِهَذِهِ الْآيَةِ وَأَشْبَاهِهَا عَلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ، وَتَفَاضُلِهِ فِي الْقُلُوبِ، كَمَا هُوَ مَذْهَبُ جُمْهُورِ الْأُمَّةِ، بَلْ حَكَى الْإِجْمَاعُ عَلَيْهِ غَيْرُ وَاحِدٍ: كَالشَّافِعِيِّ، وَاحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، وَابْنَ عُيَيْنَةَ.

﴿ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ أَي: لَا يَزُجُونَ سِوَاهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ غَيْرَهُ، وَلَا يُفَوِّضُونَ أُمُورَهُمْ إِلَى غَيْرِهِ.

وَلَمَّا ذَكَرَ - تَعَالَى - أَعْمَالَهُمُ الْحَسَنَةَ أَعْمَالَ الْقُلُوبِ: مِنَ الْحَشِيَّةِ، وَالْإِخْلَاصِ، وَالتَّوَكُّلِ - أَعْقَبَهُ بِأَعْمَالِ الْجَوَارِحِ: مِنَ الصَّلَاةِ، وَالصَّدَقَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ ⁽¹⁾. أَي: يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ فَرَانِضَ وَنَوَافِلَ بِأَعْمَالِهَا الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ: كَحُضُورِ الْقَلْبِ فِيهَا، الَّذِي هُوَ رُوحُ الصَّلَاةِ وَلُبُّهَا.

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ النَّفَقَاتِ الْوَاجِبَةُ: كَالزَّكَاةِ، وَالْكَفَّارَاتِ، وَالنَّفَقَةِ عَلَى الزَّوْجَاتِ وَالْأَقَارِبِ، وَالْمُسْتَحْبَّاتِ: كَالصَّدَقَةِ فِي جَمِيعِ طُرُقِ الْحَيْرِ.

﴿ أُولَئِكَ ﴾ الَّذِينَ أَنْصَفُوا بِتِلْكَ الصِّفَاتِ ﴿ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾؛ لِأَنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ، بَيْنَ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، بَيْنَ آدَاءِ حُقُوقِ اللَّهِ وَحُقُوقِ عِبَادِهِ، ﴿ لَمْ تَرَجَعْتُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ أَي: عَالِيَةً بِحَسَبِ عُلُوِّ أَعْمَالِهِمْ، ﴿ وَمَغْفِرَةٌ ﴾ لِذُنُوبِهِمْ ﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ هُوَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ فِي دَارِ كِرَامَتِهِ مِمَّا لَا عَيْنَ رَأَتْ، وَلَا أُذُنَ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ⁽²⁾.

وَمِنْ صِفَاتِهِمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - بِقَوْلِهِ:

(1) «محاسن التأويل» (8/9 - 10).

(2) انظر «تفسير ابن سعد» (ص 315).

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِأَقْوَامِهِمْ وَرَسُولِهِمْ وَأَقْسَمَتْ لِي سَكِينٌ مِّنْ رَبِّهِمْ أَنَّهُمْ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (الحجرات: 15).

فقوله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾ أي: على الحقيقة.

وقوله: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِأَقْوَامِهِمْ وَرَسُولِهِمْ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي: مَنْ جَمَعُوا بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، فَإِنَّ مَنْ جَاهَدَ الْكُفَّارَ، دَلَّ ذَلِكَ عَلَى الْإِيمَانِ التَّامِّ فِي الْقَلْبِ.

وقوله: ﴿ أَوْلِيَّكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ أي: الَّذِينَ صَدَّقُوا إِيْمَانَهُمْ بِأَعْمَالِهِمُ الْجَمِيلَةَ⁽¹⁾.
وَمِنْ صِفَاتِهِمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَوَالَاةُ الْمُؤْمِنِينَ، وَقِيَامُهُمْ بِوَجِبِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَإِقَامَةُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَطَاعَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة: 71).

وَمِنْ صِفَاتِهِمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ لِأَخْوَانِهِمْ مَا يُحِبُّونَ لَأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْخَيْرِ.
فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

قَالَ الْحَافِظُ أَبُو حَجْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قَالَ الْكِرْمَانِيُّ: وَمِنْ الْإِيمَانِ - أَيْضًا - أَنْ يُبْغِضَ لِأَخِيهِ مَا يُبْغِضُ لِنَفْسِهِ مِنَ الشَّرِّ، وَلَمْ يَذْكُرْهُ؛ لِأَنَّ حُبَّ الشَّيْءِ مُسْتَلْزِمٌ لِبُغْضِ نَقِيضِهِ، فَتَرَكَ التَّنْصِيصَ عَلَيْهِ كِتْفَاءً»⁽³⁾.

(1) انظر المرجع السابق (ص 802).

(2) رواه البخاري (13)، ومسلم (45).

(3) «فتح الباري» (1/74).

وَمِنْ صِفَاتِهِمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَحَبَّةُ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى يَكُونَ أَحَبَّ إِلَى أَحَدِهِمْ مِنْ وَالِدِهِ، وَوَلَدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ، وَوَلَدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ».

قال الحافظ رحمته: «فإذا تأمل النفع الحاصل له من جهة الرسول ﷺ الذي أخرجَهُ مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ، إِمَّا بِالْمُبَاشَرَةِ وَإِمَّا بِالسَّبَبِ - عَلِمَ أَنَّهُ سَبَبُ بَقَاءِ نَفْسِهِ الْبَقَاءَ الْأَبَدِيَّ فِي النَّعِيمِ السَّرْمَدِيِّ، وَعَلِمَ أَنَّ نَفْعَهُ بِذَلِكَ أَعْظَمُ مِنْ جَمِيعِ وُجُوهِ الْإِنْتِفَاعَاتِ؛ فَاسْتَحَقَّ لِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ حَظُّهُ مِنْ مَحَبَّتِهِ أَوْفَرَ مِنْ غَيْرِهِ»⁽²⁾.

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية - ثمرات الإيمان :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالآنَ جَدِثِي مَعَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ.

فَمِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: 97).

(1) رواه البخاري (15)، ومسلم (69).

(2) «فتح الباري» (1/76).

والحياة الطيبة - أيها الناس - هي: طمأنينة القلب، وسكون النفس، والرزق الحلال الطيب المبارك، ثم ماذا بعد - أيها الناس - ﴿وَلتَجزِيَنَّهُمْ﴾ أي: في الآخرة ﴿أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من أصناف اللذات، فيؤتيهم الله في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، فحسنة الدنيا: العلم والإيمان، وحسنة الآخرة: الفوز بالجنة، والنجاة من النار.

ومن ثمرات الإيمان - أيها الناس - محبة الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ، ومحبة المؤمنين، كما قال ربنا - جل في علاه - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (مريم: 96).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «يُحِبُّ اللهُ - تعالى - : أَنَّهُ يَغْرِسُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ (وهي الأعمال التي تُرضي الله - عزَّ وجلَّ - لتتابعها الشريعة المحمدية) يَغْرِسُ لَهُمْ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ مَحَبَّةً وَمَوَدَّةً، وَهَذَا أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ، وَلَا مَحِيدَ عَنْهُ»⁽¹⁾.

ومن ثمرات الإيمان - أيها الناس - البُشرى في الدنيا والآخرة، كما قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿آيَاتِ أُولَئِكَ اللَّهُ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٧) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٧﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴿ (يونس: 62-64).

أيها الناس، أما البشارة في الدنيا فهي: الشناء الحسن، والمودة في قلوب المؤمنين، والرؤيا الصالحة، وما يراه العبد من لطف الله به، وتيسيره لأحسن الأعمال والأخلاق، وصرفه عن مساوئ الأخلاق.

(1) تفسير ابن كثير، (3/193).

وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ: فَأَوْهَى الْبَشِيرَةُ عِنْدَ قَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ، كَمَا قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ،
 وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا
 وَأَبشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ (فصلت: 30).

وفي القبر ما يبشُر به من رضا الله - تعالى - ، والنعيم المقيم .
 وفي الآخرة تمام البشري بدخول جنات النعيم، والنجاة من العذاب الأليم⁽¹⁾ .
 ومن ثمرات الإيمان - أيها الناس - دفاع الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عن المؤمنين، كما
 قَالَ - سُبْحَانَهُ - : ﴿لَا يَأْتِيهِمْ فِيهَا الْهَمُّ وَلَا الْحُزْنُ وَمَنْ يَبْغِ الْفِتْرَةَ يَبْغِ بِهَا نَفْسَهُ وَمَنْ يَأْتِ اللَّهَ بَشِيرًا كَانَتْ لَهُ أَجْرٌ كَثِيرٌ ﴿٣٨﴾

(الحج: 38).

أيها الناس، هذا إخبارٌ ووعدٌ وبشارةٌ من الله للذين آمنوا أن الله يدافع عنهم كلَّ
 مكروه، ويدفع عنهم كلَّ شرٍّ - بسبب إيمانهم - : من شرِّ الكفار، وشرِّ وسوسة
 الشيطان، وشرِّ أنفسهم، وسيئات أعمالهم، ويحمِل عنهم عند نزول المكاره ما لا
 يتحملون، فيخفف عنهم غاية التخفيف، كلُّ مؤمن له من هذه المدافعة والفضيلة
 بحسب إيمانه، فمستقلٌّ ومستكبرٌ⁽²⁾ .

ومن ثمرات الإيمان - أيها الناس - ما وعد الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - به المؤمنين: من
 الجنات، والمساكن الطيبة، والرضوان، كما قال الله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَعَدَ اللَّهُ
 الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عِدْنٍ
 وَرْضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٦﴾ (التوبة: 72).

(1) انظر «ابن سعدي» (ص 368).

(2) المرجع السابق (ص 539).

فقوله: ﴿جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ جامعة لكل نعيم وفرح، خالية من كل أذى وترح، تجري من تحت قُصورها ودُورها وأشجارها الأنهار الغزيرة، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ لا ينفون عنها حولا، ﴿وَمَسْكَنَ طَيْبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ قد زخرفت وحسنت وأعدت لعباد الله المتقين، ﴿وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ﴾ يحله لأهل الجنة ﴿أَكْبَرُ﴾ مما هم فيه من النعيم؛ فإن نعيمهم لم يطب إلا برؤية ربهم ورضوانه عليهم، فرضا الله أكبر من نعيم الجنات.

﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ حيث حصلوا على كل مطلوب، وانتفى عنهم كل محذور، وحسنت وطابت منهم جميع الأمور، فنسأل الله أن يجعلنا معهم بجوده⁽¹⁾ وكرمه، فهو جواد كريم، مجيب من دعاه، ﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة: 201).



(1) انظر المرجع السابق (ص 344).

من أسباب دخول الجنة

15

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ عَنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ جَعَلَ رَبُّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لِدُخُولِ الْجَنَّةِ أَسْبَابًا وَأَعْمَالًا، مَنْ أَتَى

بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ بِإِذْنِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهَا فَاتَى لَهُ دُخُولُ

الْجَنَّةِ؟!، إِلَّا أَنْ تُدْرِكَهُ رَحْمَةُ اللَّهِ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، فَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ (المائدة: 72).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ

(1) رواه البخاري (3435)، ومسلم (28).

عيسى عبد الله ورسوله، وكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ - أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ».

وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - طَاعَةُ اللَّهِ، وَطَاعَةُ رَسُولِهِ ﷺ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾

(النساء: 13).

وفي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ

قال: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبِي». قالوا: يا رسول الله، وَمَنْ يَا أباي؟! قال:

«مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبِي».

وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْإِيْمَانُ بِاللَّهِ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَيَتَّبِعِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٌ

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأْتُوا بِهِمْ

مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ (البقرة: 25).

وفي «صحيح البخاري»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله

ﷺ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ - كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ

يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ».

وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَقْوَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - .

(1) رواه البخاري (7280).

(2) رواه البخاري (2790).

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَكَارِهُوا إِلَيْكَ مَغْفِرَةً مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةً عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران: 133).

وفي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيح»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ. قَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ».

وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ. فَقَالَ: «الْقَمُّ وَالْفَرْجُ».
وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْإِحْلَاصُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (١٠) أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿١١﴾ فَوَكْرَةً
وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿١٢﴾ فِي جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿١٣﴾ (الصفات: 40-43).

وفي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَتَّبِعِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ». وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْمَشِي فِي طَلَبِ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ.
ففي «صحيح مسلم»⁽³⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ».

(1) «صحيح»: أخرجه أحمد (291/2)، والتزمذي (2004)، وابن ماجه (4246)، وصححه الألباني في «الصحيح» (977).

(2) رواه البخاري (425)، ومسلم (33).

(3) رواه مسلم (2699).

وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الصَّبْرُ وَالِاخْتِسَابُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - فِي صِفَاتِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ: ﴿أُولَئِكَ يَجْتَبُونَ الشُّرَكَةَ

بِمَا صَبَرُوا وَيُلْقُونَ فِيهَا كِهَيْبَةً وَسَلَامًا ﴿٧٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حُنَّتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٧﴾﴾

(الفرقان: 75-76).

وفي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّهُ قَالَ لِعَطَاءِ ابْنِ أَبِي رَبَاحٍ: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟. قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَضْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ سِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكَ الْجَنَّةُ، وَإِنْ سِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيكَ». فَقَالَتْ: أَصْبِرُ. فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَلَّا أَتَكَشَّفَ. فَدَعَاَهَا.

وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الصَّدْقُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّالِحِينَ صِدْقُهُمْ لَكُمْ جَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣١﴾﴾ (المائدة: 119).

وفي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الصَّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا».

وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ الْجَمَاعَةِ.

(1) رواه البخاري (5652)، ومسلم (2576).

(2) رواه البخاري (6094) - واللفظ له -، ومسلم (2607).

ففي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نُزُلًا»⁽²⁾، كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ.

وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْخَوْفَ مِنَ اللَّهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٥٦﴾﴾ (الرحمن: 46).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٥٧﴾﴾ فَإِنَّ

لِجَنَّةٍ هِيَ الْآوَىٰ ﴿٥٨﴾﴾ (النازعات: 40-41).

وفي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» و«النَّسَائِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَعَجَبُ رَبُّكَ - عَزَّ وَجَلَّ - مِنْ رَاعِي غَنَمٍ فِي رَأْسِ شَظِيَّةٍ»⁽⁴⁾ بِجَبَلٍ، يُؤَدِّنُ لِلصَّلَاةِ وَيُصَلِّي، فَيَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : انظروا إلى عبدي هذا، يُؤَدِّنُ وَيُقِيمُ لِلصَّلَاةِ؛ يَخَافُ مِنِّي، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ.

وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ.

ففي «الصَّحِيحِينَ»⁽⁵⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَرَّ رَجُلٌ بِغُضَنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ، لَأُتَحَيَّنَ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ؛ لَا يُؤَدِّهِمْ؛ فَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ».

(1) رواه البخاري (662)، ومسلم (669).

(2) التزل - بضمّتين - : ما يُهَيِّئُ لِلصَّيْفِ عِنْدَ قُدُومِهِ.

(3) «صحيح»: أخرجه أبو داود (1203)، والنسائي (667)، وصحّحه الألباني في «صحيح الجامع» (8102).

(4) الشظية - بزّنة السحية - : القطعة تنقطع من الجبل، ولا تنفصل عنه، واجتمع الشظايا.

(5) رواه البخاري (652)، ومسلم (1914)، واللفظ له.

وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - صَلَّةُ الْأَرْحَامِ.

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث أبي أيوب رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ؟ فَقَالَ الْقَوْمُ: مَالُهُ؟، مَالُهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرْبُ مَالَهُ»⁽²⁾. فقال النبي ﷺ: «تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ».

وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِفْشَاءُ السَّلَامِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَقِيَامُ اللَّيْلِ.

ففي «سنن الترمذي» و«ابن ماجه» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيحه»⁽³⁾ من حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ - تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ». وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَرْبِيَةُ الْبَنَاتِ، وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِنَّ.

ففي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيحه»⁽⁴⁾ من حديث أنس رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ - أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ - فَاتَّقَى اللَّهَ، وَأَقَامَ عَلَيْهِنَّ - كَانَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا - وَأَوْمَأَ بِالسَّبَّاحَةِ»⁽⁵⁾ وَالْوُسْطَى. وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) رواه البخاري (5983) - وَاللَّفْظُ لَهُ -، ومسلم (13).

(2) الأرب - بفتحين - : الحاجة، و(ما) زائدة، كأنه قال: له حاجة ما.

(3) «صحيح»: أخرجه الترمذي (2485)، وابن ماجه (3251)، وهو في «الصحيحه» (569).

(4) «صحيح»: أخرجه أحمد (3/156)، وهو في «الصحيحه» (295).

(5) السَّبَّاحَةُ: الإصْبَعُ الَّتِي تَلِي الْإِنْهَامَ؛ لِأَنَّهَا يُشَارُ بِهَا عِنْدَ التَّسْبِيحِ.

الخطبة الثانية - من أسباب دخول الجنة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد - أيها الناس - أسباب دخول الجنة الحديث عنها ذو شجون، فلا يزال الشريط طويلاً، والسجل حافلاً، وقد تقدم ذكر بعض أسباب دخول الجنة، وهأنا أتواصل معكم بذكر زيادة على ما تقدم ذكره.

أيها الناس، من أسباب دخول الجنة لين الكلام مع الناس كافة، وهو عنوان الأخلاق الطيبة.

ففي «مسند أحمد» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن في الجنة عرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام».

ومن أسباب دخول الجنة - أيها الناس - حفظ اللسان والفرج.

ففي «صحيح البخاري»⁽²⁾ من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من يضمن لي ما بين لحييه⁽³⁾ وما بين رجليه، أضمن له الجنة».

ومن أسباب دخول الجنة - أيها الناس - طاعة ولي الأمر في طاعة الله.

(1) «حسن»: أخرجه أحمد (5/343)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (2123).

(2) رواه البخاري (6474).

(3) اللحيان - بالفتح -: العظمان في جانبي الفم، وجمع اللحي ألح ولحي.

ففي «مسند أحمد» بسند حسن، حسنه الألباني في «ظلال الجنة»⁽¹⁾ من حديث عبادة بن الصامت رضي عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من عبد الله لا يُشرك به شيئاً، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، وسمع وأطاع - دخل الجنة من أي الأبواب الثمانية شاء». ومن أسباب دخول الجنة - أيها الناس - حسن الخلق.

ففي «مسند أحمد» و«سنن الترمذي» بسند حسن، حسنه الألباني في «الصحيحة»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رضي عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال: «تقوى الله، وحسن الخلق». وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار. فقال: «الفرج والفرج».

ومن أسباب دخول الجنة - أيها الناس - عدم سؤال الناس.

ففي «سنن أبي داود» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽³⁾ من حديث ثوبان رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تكفل لي ألا يسأل الناس شيئاً، فاتكفل له بالجنة؟».

وفي «صحيح مسلم»⁽⁴⁾ من حديث عياض بن حمار رضي عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقيسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب بكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال».

(1) «حسن»: أخرجه أحمد (5/325)، وحسنه الألباني في «ظلال الجنة» (1027).

(2) «حسن»: أخرجه أحمد (2/291)، والترمذي (2004)، وابن ماجه (4246)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (977).

(3) «صحيح»: أخرجه أبو داود (1643)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (6604).

(4) رواه مسلم (2865).

فَقَوْلُهُ: «عَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ» أَي: فَقِيرٌ، وَلَكِنَّهُ مُتَعَفِّفٌ لَا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا؛ يَحْسَبُهُ الْجَاهِلُ غَنِيًّا مِنَ التَّعَفُّفِ.

وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِنْظَارُ الْمُعْسِرِ، وَالتَّجَاوُزُ عَنِ الْمُوَسِّرِ. فِي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ رَجُلًا كَانَ فِيْمَنْ قَبْلَكُمْ، أَتَاهُ الْمَلِكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ، فَقِيلَ لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ؟، قَالَ: مَا أَعْلَمُ، قِيلَ لَهُ: انظُرْ، قَالَ: مَا أَعْلَمُ شَيْئًا غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا وَأُجَارِيهِمْ، فَأَنْظِرُ الْمُوَسِّرَ، وَأَتَجَاوِزُ عَنِ الْمُعْسِرِ، فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ». وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - كِفَالَةُ الْيَتِيمِ.

فِي «الصَّحِيحِينَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا - وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا -».

وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - عِيَادَةُ الْمَرِيضِ. فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي حُرْفَةِ الْجَنَّةِ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا حُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «جَنَاهَا».

وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - بِرُّ الْوَالِدَيْنِ.

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3451) - وَاللَّفْظُ لَهُ -، وَمُسْلِمٌ (1560).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (5304) - وَاللَّفْظُ لَهُ -، وَمُسْلِمٌ (2983).

(3) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (2568).

ففي «مسند أحمد»⁽¹⁾ بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»، والوادعي في «الصحيح المسند» من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نمتُ فرأيتني في الجنة، فسمعتُ صوتَ قارىءٍ يقرأ، فقلتُ: مَنْ هذا؟»، قالوا: هذا حارثةُ بنُ النُّعمانِ. فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «كذلك البرُّ، كذلك البرُّ - وكان أبرَّ الناسِ بأُمَّه -».

وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - السَّمَاوَةُ فِي الْبَيْعِ.

ففي «سنن ابن ماجه» بسند حسن، حسنه الألباني في «الصَّحِيحَة»⁽²⁾ من حديث عُثْمَانَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «أَدْخَلَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - رَجُلًا كَانَ سَهْلًا مُشْتَرِيًا، وَبَائِعًا، وَقَاضِيًا، وَمُقْتَضِيًا - الْجَنَّةَ».

وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - التَّوَاضُّعُ وَخَفْضُ الْجَنَاحِ.

ففي «الصَّحِيحِينَ»⁽³⁾ من حديث حارثة بن وهب رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟، كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟، كُلُّ عَتَلٌ جَوَاطِ مُسْتَكْبِرٍ».

قال ابنُ حَجَرٍ رحمته الله: «والمُرَادُ بِالضَّعِيفِ: مَنْ نَفْسُهُ ضَعِيفَةٌ لِتَوَاضُّعِهِ وَضَعْفِ حَالِهِ فِي الدُّنْيَا، وَالْمُسْتَضَعِّفُ: الْمُحْتَقِرُ لِحُمُولِهِ فِي الدُّنْيَا»⁽⁴⁾.

(1) «صحيح»: أخرجه أحمد (6/166)، والحاكم (3/208)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»

(3371)، والوادعي في «الصحيح المسند» (1536).

(2) «حسن»: أخرجه ابن ماجه (2202)، والنسائي في «الصغرى» (4700)، واللفظ له وحسنه

الألباني في «الصَّحِيحَة» (1181).

(3) رواه البخاري (4918)، ومسلم (2853).

(4) «الفتح» عند شرح حديث رقم (4918).

وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَدَمُ أَدِيَّةِ الْجَارِ.

ففي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصَّحِيحَةَ»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال رجلٌ: يا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فُلَانَةَ يَذْكُرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا، وَصِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا. قال: «هي في النَّارِ». قال: يا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ فُلَانَةَ يَذْكُرُ مِنْ قَلَّةِ صِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، وَصَلَاتِهَا، وَإِنَّهَا تَصَدِّقُ بِالْأَثْوَادِ (أَيِ: الْجُبْنِ الْمُجَفَّفِ)، وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا. قال: «هي في الْجَنَّةِ».

وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَدَمُ الْغَضَبِ.

فقد أخرج الطبراني في «الأوسط» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽²⁾ من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ. قال رسولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «لَا تَغْضَبْ وَلَكَ الْجَنَّةُ».

والمُرَادُ مِنَ الْحَدِيثِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : لَا تَعْمَلْ بِمُقْتَضَى الْغَضَبِ إِذَا حَصَلَ لَكَ، بَلْ جَاهِدْ نَفْسَكَ فِي تَرْكِ تَنْفِيذِهِ، وَالْعَمَلِ بِمَا يَأْمُرُكَ بِهِ غَضَبُكَ.

وَقَبْلَ أَنَّهُ أَوْدَعَ مَقَامِي هَذَا - أَيُّهَا النَّاسُ - أَذَكَّرُكُمْ بِسَبَبٍ عَظِيمٍ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ، إِنَّهُ الدُّعَاءُ.

ففي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»، والوادعي في «الصحيح المسند»⁽³⁾ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ

(1) «صحيح»: أخرجه أحمد (2/440)، وصححه الألباني في «الصَّحِيحَةَ» (190).

(2) «صحيح»: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (2353)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (7374).

(3) «صحيح»: أخرجه أحمد (3/117)، والترمذي (2572)، والنسائي (8/279)، وابن ماجه (7340)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (6275)، والوادعي في «الصحيح المسند» (123).

الله ﷻ: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَتِ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ اسْتَبَجَرَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنَ النَّارِ».

وفي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «..... فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ - أَرَاهُ قَالَ: وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ - وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ».

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَمَا يُقَرَّبُنَا إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا يُقَرَّبُنَا إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، اللَّهُمَّ أَدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَأَجِرْنَا مِنَ النَّارِ بِرَحْمَتِكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.



(1) رواه البخاري (2790).

16] وصف الخور العين

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَعَلَ رَحْمَةً مِنْهَا رُجُومًا وَبِكُمْ عَلَيْهَا مَلَكًا مُقَرَّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، حديثي معكم - أيها الناس - عن وصف الخور العين.

أيها الناس، لا شك أن أجمل المشتبهات عند بني آدم هي لذة الزواج، وإذا كانت النفس قد تعلقت بها في الدنيا مع ما فيها من هموم وأحزان - فهي في الآخرة تجمع بين نعيم النفس ونعيم القلب، فأهل الجنة على قلب رجل واحد، وحياتهم خالية من الهموم، وقلوبهم صافية من الدغل.

فهم كما وصفهم الله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ إِخْرَانًا عَلَى سُرُرٍ

مُنْقَلِبِينَ ﴿٧٧﴾﴾ (الحجر: 47).

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - بَشَّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِبَشَارَةٍ عَلَى أَسْهَلِ شَيْءٍ عَلَيْهِمْ.

فَقَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ كُنْتُمْ نُجُومًا مَتَرًا مِنْ قَبْلِهَا لَمَّا رَزَقْتُمْ أُولَئِكَ مِنْ قَبْلُ وَأَنْتُمْ مُتَشَابِهَةٌ وَلَكُمْ فِيهَا أَنْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (البقرة: 25).

وَالْمُطَهَّرَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - كَمَا يَقُولُ ابْنُ الْقَيْمِ رحمته: «مَنْ طُهِّرَتْ مِنَ الْحَيْضِ، وَالْبَوْلِ، وَالنَّفَاسِ، وَالْغَائِطِ، وَالْمَخَاطِ، وَالْبُصَاقِ، وَكُلِّ قَدَرٍ، وَكُلِّ أَذَى يَكُونُ مِنْ نِسَاءِ الدُّنْيَا، فَطُهِّرَ بِذَلِكَ بَاطِنَهَا مِنَ الْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ، وَالصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةِ، وَطُهِّرَ لِسَانَهَا مِنَ الْفُحْشِ وَالْبَدَائِءِ، وَطُهِّرَ طَرْفَهَا مِنْ أَنْ تَطْمَحَ بِهِ إِلَى غَيْرِ زَوْجِهَا، وَطُهِّرَتْ أَنْوَابَهَا مِنْ أَنْ يَغْرِضَ لَهَا دَنْسٌ أَوْ وَسَخٌ»^(١).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَذَرَجْتُمْ فِيهَا بِحُورٍ مِينٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الدخان: 54).

وَالْحُورَاءُ - أَيُّهَا النَّاسُ - كَمَا يَقُولُ مُجَاهِدٌ: «الَّتِي يُحَارُّ فِيهَا الطَّرْفُ؛ مِنْ رِقَّةِ الْجِلْدِ، وَصَفَاءِ اللَّوْنِ»^(٢).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ فِيهَا قَصِيرَاتٌ الْفُرُجِ لَمْ يَطْمِئِنَّ لِأَنْسِ مَبْلُغُهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٧﴾ ﴾

فِي أَيِّ آيَةٍ رَزَقْتُمْ كَذِبَانَ ﴿٥٨﴾ كَاتِبِينَ الْيَأْقُوتِ وَالْمَرْجَانِ ﴿٥٩﴾ ﴾ (الرحمن: 56-58).

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رحمته: «الْمُفَسَّرُونَ كُلُّهُمْ عَلَى أَنَّ الْمَعْنَى: قَصَرْنَ طَرْفَهُنَّ عَلَى أَرْوَاجِهِنَّ، فَلَا يَطْمَخْنَ إِلَى غَيْرِهِمْ»^(٣).

(1) «حادي الأرواح» (ص 283 - 284).

(2) المرجع السابق (ص 284).

(3) المرجع السابق (ص 287).

وقال الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ فِيمَنْ خَيْرٌ حَسَانٌ ﴾ (الرحمن: 70).

«أي: خَيْرَاتُ الأخلاق، حِسَانُ الأوجهِ، فَجَمَعْنَ بَيْنَ جَمَالِ الظَّاهِرِ والبَاطِنِ، وَحُسْنِ الخَلْقِ والخَلْقِ»⁽¹⁾.

وقال الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ إِذْ لَبِثْتُمْ مَقَانًا ﴿٣١﴾ خَالِينَ وَأُنثَاءً ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَلْفًا ﴿٣٣﴾ ﴾

(النبا: 31 - 33).

فالكواعبُ - أيها النَّاسُ - كما يَقُولُ الكَلْبِيُّ: «هُنَّ اللِّوَاتِي تَكْعَبُ ثُدَيْهِنَّ». والمراد: أَنْ تُدَيْهِنَّ نَوَاهِدُ كَالرُّمَّانِ، لَيْسَتْ مُتَدَلِّيَةً إِلَى أَسْفَلٍ، وَيُسَمَّيْنَ نَوَاهِدَ وَكَوَاعِبَ، كما يَقُولُ العَلَّامَةُ ابْنُ القَيْمِ رحمته⁽²⁾.

أيها النَّاسُ، هَلْ مِنْ نِسَاءِ الدُّنْيَا مَنْ إِذَا أَطَّلَعَتْ عَلَيْنَا، فَأَضَاءَتْ غُرْفَةَ صَغِيرَةٍ، مِنْ حُسْنِهَا؟، فَهَذَا لَنْ يَحْضُلَ، وَلَكِنْ لَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الحُورِ العِينِ أَطَّلَعَتْ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ، لِأَضَاءَتْ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ بَلْ لَمَلَّاتْ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا رِيحًا عَطِيرَةً عَبِقَةً، فَهَذَا مَا يُخْبِرُنَا بِهِ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ عليه السلام.

ففي «صحيح البخاري»⁽³⁾ من حديث أنس بن مالك رحمته قال: قال رَسُولُ الله عليه السلام: «لَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ الله، أَوْ غُدْوَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلِقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ، أَوْ مَوْضِعِ قَيْدٍ - يَعْنِي: سَوْطُهُ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنَ أَهْلِ الجَنَّةِ أَطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، لِأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَّاتَهُ رِيحًا، وَلنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا».

(1) «تفسير السعدي» (ص 831 - 832).

(2) «حادي الأرواح» (ص 292).

(3) رواه البخاري (2796).

وَمَعْنَى «نَصِيفُهَا»: أَي: خِمَارُهَا، فَالْخِمَارُ مِنْ مَحَاسِنِ الْجَمَالِ.
وَلِشِدَّةِ جَمَالِ الْحَوْرِ الْعَيْنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - يُرَى مُخٌ سَاقِ الْحَوْرَاءِ مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ
مِنَ الْحُسْنِ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَوَّلُ
زُمْرَةٍ⁽²⁾ تَلْبِجُ الْجَنَّةَ صُورُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يَنْصِقُونَ فِيهَا، وَلَا
يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَنْفَوِّطُونَ فِيهَا، أَنْيَتُهُمْ وَأَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَجَمَامِرُهُمْ⁽³⁾
مِنَ الْأَلْوَةِ⁽⁴⁾، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَى مُخٌ سَاقِيهَا مِنْ
وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ، وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ،
يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا».

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ نِسَاءَ الْحَوْرِ لَيُغْنِينَ أَزْوَاجَهُنَّ بِأَحْسَنِ الْأَصْوَاتِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا لَنَا نَبِيْنَا
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَفًا مِنْ ذَلِكَ.

ففي «الصَّغِيرِ»، و«الأوسط» للطَّبْرَانِيُّ بِسِنْدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي
«صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽⁵⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ
أَزْوَاجَ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيُغْنِينَ أَزْوَاجَهُنَّ بِأَحْسَنِ أَصْوَاتِ، مَا سَمِعَهَا أَحَدٌ قَطُّ، إِنَّ نُمًّا

(1) رواه البخاري (3245)، ومسلم (2834).

(2) زُمْرَةٌ - بِالضَّمِّ - : جَمَاعَةٌ، وَالْجَمْعُ زُمْرٌ.

(3) المِجَامِرُ: جَمْعُ مِجْمَرَةٍ، وَهِيَ الْمِخْرَةُ، سُمِّيَتْ مِجْمَرَةً؛ لِأَنَّهَا يُوَضَّعُ فِيهَا الْخَمْرُ؛ لِيَقْوَحَ بِهِ مَا يُوَضَّعُ فِيهَا
مِنَ الْبَخُورِ.

(4) الْأَلْوَةُ - بفتح الهمزة ويجوز ضمُّها، وبضمِّ اللَّامِ، وتشديد الواو - : الْعُودُ الْهِنْدِيُّ الَّذِي يُخْرَبُ بِهِ.

(5) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (6492)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (3749).

يُغْنِينَ بِهِ: نَحْنُ الْحَبْرَاتُ الْحِسَانُ، أَزْوَاجُ قَوْمٍ كِرَامٍ، يَنْظُرُونَ بِقُرَّةِ أَعْيَانٍ، وَإِنَّ مَاءَ
يُغْنِي بِهِ:

نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا نَمُتُّ،

نَحْنُ الْأَمَنَاتُ فَلَا نَخْفَنُ،

نَحْنُ الْمُقْبِيَّاتُ فَلَا نَطْعَنُ.

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ لغيره، كَمَا قَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ
الرَّغِيبِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْحُورَ
فِي الْجَنَّةِ، يُغْنِينَ، يَقْلُنَ: نَحْنُ الْحُورُ الْحِسَانُ، هُدَيْنَا لِأَزْوَاجِ كِرَامٍ».

أَيُّهَا النَّاسُ، تِلْكَ بَعْضُ أَوْصَافِ الْحُورِ الْعَيْنِ، كَمَا وَصَفَهُنَّ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -
فِي كِتَابِهِ، وَوَصَفَهُنَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم.

فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَصِفَ امْرَأَةً مُعِينَةً مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا؛ وَسَدًّا لِلذَّرِيعَةِ، الَّتِي قَدْ
تُفْضِي إِلَى الْفِتْنَةِ، وَقَدْ تَمَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَنْ ذَلِكَ.

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صلى الله عليه وسلم: «لَا تَبَاشِرِ الْمَرْأَةَ الْمَرْأَةَ، فَتَنْعَتَهَا لِزَوْجِهَا، كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا».

بَلْ إِنَّهُ صلى الله عليه وسلم حَذَرَ مِنْ دُخُولِ الْمُخَنَّثِينَ عَلَى النِّسَاءِ؛ لِثَلَا يَصِفُوهُنَّ إِلَى غَيْرِهِمْ مِنَ
الرِّجَالِ.

(1) «صَحِيحُ لغيره»: أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (6493)، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الرَّغِيبِ»:

(3750): صَحِيحُ لغيره.

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (5240).

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ من حديثِ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها: أَنَّ مُحَمَّدًا⁽²⁾ كَانَ عِنْدَهَا، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ لِأَخِي أُمِّ سَلَمَةَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ أَبِي أُمَيَّةَ، إِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الطَّائِفَ عَدَا، فَإِنِّي أَذُوكَ عَلَى بِنْتِ غَيْلَانَ، فَإِنَّمَا تُقْبَلُ بِأَرْبَعٍ، وَتُدْبَرُ بِثَمَانٍ⁽³⁾، قَالَ: فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «لَا يَدْخُلُ هَؤُلَاءِ عَلَيْكُمْ».

أَيُّهَا النَّاسُ، هَذَا التَّحْذِيرُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ وَصْفِ نِسَاءِ الدُّنْيَا الْمُعَيَّنَاتِ مِنْهُنَّ، فَمَاذَا نَقُولُ فِي صُورِ النِّسَاءِ، وَقَدْ انْتَشَرَتْ هَذِهِ الظَّاهِرَةُ انْتِشَارًا فَضِيعًا، سِوَاءِ فِي الْفَضَائِلِ، أَوْ الصُّحُفِ السَّيَّارَاتِ؟!، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ!.

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية - مهز الحور:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَقَدَّمَ أَمَامَكُمْ وَصَفُ الْحَوْرِ الْعَيْنِ، وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ مَهْرِهِنَّ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ.

(1) رواه البخاري (4324)، ومسلم (2180).

(2) الْمُخْتَبَرُ - بفتح التَّوْنِ وبكسرِهَا - : مَنْ يُشْبِهُ خُلُقَهُ النِّسَاءِ فِي حَرَكَاتِهِ، وَكَلَامِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَإِنْ كَانَ مِنْ أَضْلِ الْخُلُقَةِ، لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ لَوْمْ؛ وَهَذَا لَمْ يُنْكَرِ النَّبِيُّ ﷺ أَوْلَادُ دُخُولَهُ عَلَى النِّسَاءِ، وَإِنْ كَانَ يَقْصِدُ مِنْهُ وَتَكَلَّفَ لَهُ، فَهُوَ الْمَذْمُومُ الَّذِي جَاءَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ لَعْنُهُ.

(3) تُقْبَلُ بِأَرْبَعٍ، وَتُدْبَرُ بِثَمَانٍ: يَعْنِي بِأَرْبَعِ عُنُقِينَ مِنَ الْأَمَامِ (وَهُوَ مَا تَنْشَى مِنْ لَحْمِ الْبَطْنِ نَتِيجَةُ السَّمْنَةِ)، وَثَمَانِي عُنُقِينَ مِنَ الْخَلْفِ (أَرْبَعٌ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ).

أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ وَصَفَ رَبُّنَا - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - مَهْرَ الْحُورِ الْعَيْنِ بَعْدَةَ أَوْصَافِ،
يَجْمَعُهَا وَصْفٌ جَامِعٌ مَانِعٌ هُوَ التَّقْوَى، فَقَالَ - سُبْحَانَهُ - : ﴿ إِنَّ السُّؤْمَانَ فِي مَقَامِ أَمِينٍ ① ﴾
فِي جَنَّتِ وَعُيُوبِ ② يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّقِيَلِينَ ③ كَذَلِكَ وَوَجَّهْتُمْ بِحُورٍ عِينٍ
④ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَلَكَهْمَا أَمِينٌ ⑤ لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَّهْتُمْ
عَذَابَ الْجَحِيمِ ⑥ ﴾ (الدخان: 51-56).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ قُلْ أُوۡسِعْكَرُ بِخَيْرٍ مِّنْ ذٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اٰتَقَرَّا بِرَبِّهِمْ
جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خٰلِدِينَ فِيهَا وَاَنْزَجُ مِنْهَا مَطٰرًا مُّطَهَّرًا وَرِيۡضًا مِّنْ اَعۡنٰنٍ وَّاهۡلٌ بِهٖۤ اَبۡسَرًا
بِالۡحَبَابِ ① الَّذِيۡنَ يَقُوۡلُوۡنَ رَبَّنَا اِنۡنَا ؕ اٰمَنَّا بِمَا قَالُوۡا فَاغۡفِرْ لَنَا ذُنُوۡبَنَا وَرَبَّنَا عَذَابَ النَّارِ ② الْمَكِّيۡرِيۡنَ
وَالۡمُكۡذِبِيۡنَ وَالۡقٰنِیۡنِيۡنَ وَالۡمُنۡفِقِيۡنَ وَالۡمُسۡتَفۡسِفِيۡنَ بِالۡاَسۡحٰرِ ③ ﴾ (آل عمران: 15-17).
وَمِنْ مَهْرِ الْحُورِ الْعَيْنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْقُرْبُ مِنْ اللَّهِ، وَهُوَ أَعْلَى دَرَجَاتِ التَّقْوَى،
وَأَهْلُهُ هُمُ السَّابِقُونَ بِالْحَيْرَاتِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ① اُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ② فِي جَنَّتِ النَّجِيمِ
③ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْاَوَّلِيۡنَ ④ وَقَبِيۡلٌ مِّنَ الْاٰخِرِيۡنَ ⑤ عَلَى سُرُرٍ مَّوۡضُوۡنَةٍ ⑥ مُّتَّكِفِيۡنَ عَلَیۡهَا مُتَّقِيَلِيۡنَ ⑦ يَلۡبَسُوۡنَ
عَلٰیۡهِمْ وَلَدَانٌ مُّطَهَّرٰتٌ ⑧ بِاَكۡوَابٍ وَّاَبَارِيۡقٍ وَّكٰسٍ مِّنۡ مَّعِيۡنٍ ⑨ لَا يَصۡدَعُوۡنَ عَنْهَا وَلَا يۡزِفُوۡنَ ⑩ وَفَلَكَهَمَا مِمَّا
يَتَخَبَّرُوۡنَ ⑪ وَلَتَعْرِۡظِيۡرٌ مِّمَّا يَشۡتَهُوۡنَ ⑫ وَحُورٌ عِيۡنٌ ⑬ كَاۡمَنۡتِۙ لِّلۡوَلٰٓئِیۡمِ السَّكُوۡنِ ⑭ جَزَاۗءٌۢ بِمَا كَانُوۡا يَسۡتَلُوۡنَ
⑮ ﴾ (الواقعة: 10-24).

فَالسَّابِقُونَ فِي الدُّنْيَا إِلَى الْحَيْرَاتِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : هُمُ السَّابِقُونَ فِي الْآخِرَةِ لِدُخُولِ
الْجَنَّةِ، وَالزَّوْجِ مِنَ الْحُورِ الْعَيْنِ.
وَمِنْ مَهْرِ الْحُورِ الْعَيْنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْإِخْلَاصُ.

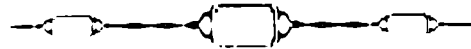
قَالَ اللَّهُ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى - ﴿لَا عِبَادَ لِلَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٠﴾ أَوْلَيْكَ لَمْ يَرْزُقْ مَعْلُومٌ ﴿١١﴾ فَوَكَّدُوا
وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿١٢﴾ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿١٣﴾ عَلَى سُورٍ مُتَقِيلِينَ ﴿١٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿١٥﴾ بِيَعْلَةَ لَدُنْ
الْشَّرِيبِ ﴿١٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَوْنَ ﴿١٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْكَرْفِ عَيْنٌ ﴿١٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْعٌ مَكْنُونٌ ﴿١٩﴾
(الصفات: 40-49).

وَمِنْ مَهْرِ الْخُورِ الْعَيْنِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى - ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٦٠﴾ فَإِنَّ مَالَهُمْ فِيهَا كَذَبَانِ ﴿٦١﴾
ذَوَاتًا أَقْنَانٍ ﴿٦٢﴾ فَإِنَّ مَالَهُمْ فِيهَا كَذَبَانِ ﴿٦٣﴾ فِيمَا عَيْنَانِ يَمْشِيَانِ ﴿٦٤﴾ فَإِنَّ مَالَهُمْ فِيهَا كَذَبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيمَا مِنْ كُلِّ
فَكَهْفٍ وَقِوَابٍ ﴿٦٦﴾ فَإِنَّ مَالَهُمْ فِيهَا كَذَبَانِ ﴿٦٧﴾ مُكْوَّينَ عَلَى فُرُوجٍ بَلَائِيهَا مِنْ إِسْتَرْفٍ وَحَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٦٨﴾
فَإِنَّ مَالَهُمْ فِيهَا كَذَبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيمَنْ قَصِيرَاتُ الْكَرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ لَأْسٍ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٠﴾ فَإِنَّ مَالَهُمْ فِيهَا كَذَبَانِ
كَذَبَانِ ﴿٧١﴾ كَأَنَّهُنَّ الْبَاقُوتُ وَالْمَرْحَامُ ﴿٧٢﴾ فَإِنَّ مَالَهُمْ فِيهَا كَذَبَانِ ﴿٧٣﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا
الْإِحْسَانُ ﴿٧٤﴾ (الرحمن: 46-60).

فَالَّذِي يَخَافُ رَبَّهُ - أَيُّهَا النَّاسُ - يَفْعَلُ مَا أَمَرَهُ بِهِ، وَتَرَكِ مَا نَهَا عَنْهُ - لَهُ جَنَّاتٌ بِمَا
فِيهَا، وَزُوجٌ بِقَاصِرَاتِ الطَّرْفِ، قَصْرُنَ طَرْفُهُنَّ عَلَيْهِ مِنْ حُسْنِهِنَّ وَجَاهِلِهِنَّ وَكِمَالِ
مَحَبَّتِهِنَّ، وَهَلْ جَزَاءُ مَنْ أَحْسَنَ فِي عِبَادَتِهِ إِلَّا ذَلِكَ الثَّوَابُ الْعَظِيمُ؟!.

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة: 201).



ذِكْرُ اللَّهِ (17)

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَعَلَ رِجَالَكُمْ مِنْتُمْ بَعْضًا لِبَعْضٍ يَكْفُرُ بِمَا كَفَرْتُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

اللَّهُ الَّذِي فَتَنَ لُونَهُ وَالْأَرْحَامُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، حديثي معكم - أيها الناس - عن ذكر الله.

وذكر الله - أيها الناس - من أعظم العبادات، وأحبها إلى الله، وإن فضله لعظيم، حث الله عليه في كتابه الكريم، وسنة رسول الله ﷺ حافلة بالحث على ذكر الله؛ لأنه قوت القلوب، وربيع الأجساد، والسبب الموصل إلى الله، والدار الآخرة.

ومما جاء في فضله:

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٤٣﴾﴾

(البقرة: 152).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ وَأَذْكُرْ تِلْكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (الأعراف: 205).

قال العلامة ابن سَعْدِي رحمته: «أمر الله عبده ورسوله محمدًا أصلًا، وغیره تبعًا - بِذِكْرِ رَبِّهِ فِي نَفْسِهِ أَيْ: مُخْلِصًا خَالِيًا. ﴿ تَضَرُّعًا ﴾: أَيْ: مُتَضَرِّعًا بِلِسَانِكَ. ﴿ وَخِيفَةً ﴾: فِي قَلْبِكَ، بِأَنْ تَكُونَ خَائِفًا مِنَ اللَّهِ، وَجَلَّ الْقَلْبُ مِنْهُ ﴿ وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ أَيْ: كُنْ مُتَوَسِّطًا، لَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا، وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿ بِالْغُدُوِّ ﴾ أَوَّلِ النَّهَارِ ﴿ وَالْآصَالِ ﴾ آخِرُهُ ﴿ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ الَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ، فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ»⁽¹⁾.

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَبِيرًا ﴾ (سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) ﴿ (الأحزاب: 41-42).

قال ابن عباس رحمتهما: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَفْرِضْ عَلَى عِبَادِهِ فَرِيضَةً، إِلَّا جَعَلَ لَهَا حَدًّا مَعْلُومًا، ثُمَّ عَدَرَ أَهْلِهَا فِي حَالِ الْعُدْرِ إِلَّا الذَّكْرَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ حَدًّا يَنْتَهِي إِلَيْهِ، وَلَمْ يَعِدْزْ أَحَدًا فِي تَرْكِهِ إِلَّا مَغْلُوبًا عَلَى عَقْلِهِ، فَقَالَ: ﴿ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِيمَا وَفَعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ (النساء: 103). وبالليل والنهار، وفي البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والصحة والسقم، والسر والعلانية، وعلى كل حال، وقال: ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (الأحزاب: 42). فإذا فعلتم ذلك، صلى عليكم هو وملائكته»⁽²⁾.

والله - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ذَكَرَ الذَّاكِرِينَ عَلَى جِهَةِ الْمَدْحِ وَالشَّانِ عَلَيْهِمْ، وَرَتَّبَ لَهُمُ الْأَجْرَ الْعَظِيمَ، وَالْمَغْفِرَةَ لِدُنُوبِهِمْ، وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ؟.

(1) «تفسير ابن سَعْدِي» (ص 314) بتصرف.

(2) «جامع البيان» للطبري (13/22).

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: 35).

وَمَدَحَ اللَّهُ الذَّاكِرِينَ بِأَنَّهُمْ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا، وَقُعُودًا، وَعَلَى جُنُوبِهِمْ، فَقَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَسَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (آل عمران: 191).

أَيُّهَا النَّاسُ، فَمَعَ مَا فِي الذَّكْرِ مِنَ الثَّوَابِ الْعَظِيمِ، فِيهِ تَحْصُلُ طُمَأْنِينَةُ الْقُلُوبِ وَإِنِّشْرَاحُهَا، وَبَهْجَتُهَا وَصَلَاحُهَا.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (الرعد: 28).

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الذَّكْرَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَخَيْرُ مَا تَقَرَّبَ بِهِ الْعِبَادُ إِلَى خَالِقِهِمْ وَرَازِقِهِمْ.

فَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «أَلَا أُنبئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرِ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ»⁽²⁾، وَخَيْرِ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ». قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «ذِكْرُ اللَّهِ».

فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه: «مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ».

أَيُّهَا النَّاسُ، فِي ذِكْرِ اللَّهِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ، حَيَاةُ الْأَرْوَاحِ، حَيَاةُ الْأَبْدَانِ.

(1) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3377)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (1493).

(2) الْوَرِقُ - بَكْسِرُ الرِّاءِ وَيُسَكَّنُ - : الْفِضَّةُ.

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت».

أيها الناس، من منا لا يحب أن يكون من السابقين إلى رضوان الله؟!، فالأمر سهل يسير على من يسهره الله عليه.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في طريق مكة، فمر على جبل يقال له جمدان، فقال: «سيروا هذا جمدان، سبق المفردون». قالوا: وما المفردون، يا رسول الله؟. قال: «الذاكرون الله كثيرا والذاكرات».

أيها الناس، الذاكرون الله يكفيهم أن الله معهم، ويكفيهم ذكر الله هم.

ففي «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقول الله - تعالى - : أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسي، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبرا، تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا، تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي، أتيتُه هرولة».

أيها الناس، عليكم بمجالسة أهل الذكر؛ فهم القوم لا يشقى بهم جليستهم.

ففي «الصحيحين»⁽⁴⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله - تبارك وتعالى - ملائكة سيارة فضلا، يتبعون مجالس الذكر، فإن وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم، حتى يملئوا ما بينهم وبين السماء».

(1) رواه البخاري (6407) - واللفظ له -، ومسلم (779).

(2) رواه مسلم (2676).

(3) أخرجه البخاري (7405) - واللفظ له -، ومسلم (2675).

(4) أخرجه البخاري (6408)، ومسلم (2689) - واللفظ له -.

الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - (وهو أَعْلَمُ بِهِمْ): مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟. فيقولون: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيُهَلِّلُونَكَ، وَيُحَمِّدُونَكَ، وَيَسْأَلُونَكَ. قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟. قالوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتِكَ. قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟. قالوا: لا، أَيُّ (1): رَبِّ. قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟! قالوا: وَيَسْتَحِيرُونَكَ. قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَحِيرُونَنِي؟. قالوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ. قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟. قالوا: لا. قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟! قالوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجْرْتُهُمْ بِمَا اسْتَجَارُوا. قَالَ: فيقولون: رَبِّ، فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ. قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ، هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».

وفي «صحيح مسلم» (2) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما: أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ».

أَيُّهَا النَّاسُ، مَا أَجْمَلَ أَنْ يَمُوتَ الْإِنْسَانُ وَلِسَانُهُ رَطْبٌ بِذِكْرِ اللَّهِ!

ففي «صحيح ابن حبان» بسند حسن، حسنه الألباني في «الصَّحِيحَةَ» (3) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قَالَ: آخِرُ كَلَامٍ فَارَقْتُ عَلَيْهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ قُلْتُ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟. قَالَ: «أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ بِذِكْرِ اللَّهِ».

(1) أي - بزيته كني - : حَرْفٌ لِنَدَاءِ الْقَرِيبِ.

(2) رواه مسلم (2700).

(3) «حسن»: رواه ابن حبان (2318)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (2)، والبرزاري (295)، والطبراني في «المعجم الكبير» (1072)، وابن المبارك في «الزهد» (1340)، وحسنه الألباني في «الصَّحِيحَةَ» (906).

وَتِلْكَ - أَيُّهَا النَّاسُ - وَصِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَنْ كَثُرَتْ عَلَيْهِ شَرَائِعُ الْإِسْلَامِ.
 فِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»⁽¹⁾
 مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ
 قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَسَبَّبُ بِهِ قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ».
 أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ جَاءَ التَّرْهيبُ مِنْ عَدَمِ الذِّكْرِ فِي الْمَجْلِسِ.

فِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ
 حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ
 مَجْلِسٍ، لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةٌ».
 أَيُّهَا النَّاسُ، هَلْ بَلَغَكُمْ كَيْفَ كَانَ الْأَسْوَةُ الْحَسَنَةُ، وَالرَّحْمَةُ الْمُهْدَاةُ يَذْكُرُ اللَّهُ؟، هَا
 هِيَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تُخْبِرُنَا، فَتَقُولُ - كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽³⁾: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ
 اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ».

قَالَ النَّوَوِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَالْمَقْصُودُ: أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَذْكُرُ اللَّهَ - تَعَالَى - مُتَطَهِّرًا،
 وَمُحَدِّثًا، وَجُنُبًا، وَقَائِمًا، وَقَاعِدًا - وَمُضْطَجِعًا، وَمَاشِيًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ»⁽⁴⁾.
 مِثْلُ ذَلِكَ - أَيُّهَا النَّاسُ - فَكُونُوا.
 وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3375)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ» (2687).

(2) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (4855)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (77).

(3) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (373).

(4) انظُرْ «شَرْحَ النَّوَوِيِّ عَلَى صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عِنْدَ شَرْحِهِ لِحَدِيثِ (373).

الخطبة الثانية - الذِّكْرُ عِبَادَةُ الْكَائِنَاتِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَفِيمَا يَأْتِي الْحَدِيثُ عَنْ
ذِكْرِ الْكَائِنَاتِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَمْ يَقْتَصِرِ الذِّكْرُ بِكُونِهِ عِبَادَةَ الْإِنْسَانِ، وَالْمَلَائِكَةِ، وَالْجِنِّ فَقَطْ، بَلْ هُوَ
عِبَادَةُ جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ: مِنْ أَرْضٍ، وَسَمَاءٍ، وَشَجَرٍ، وَمَدْرٍ⁽¹⁾، وَجِبَالٍ، وَنَبَاتٍ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿كُلُّ لَهٍ قَدِيثُونَ ﴿٣١﴾﴾ (البقرة: 116).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (الجمعة: 1).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ (الإسراء: 44).

قال القرطبي رحمه الله: «أعاد على السموات والأرض ضمير من يعقل؛ لما أسند
إليهما من فعل العاقل، وهو التسبيح»⁽²⁾.

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَنِ الْجِبَالِ : ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ
وَكَانَ فُلَيْقٌ ﴿٣٨﴾﴾ (الأنبياء: 79).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا لِجِبَالٍ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾

(ص: 18).

(1) المَدْرُ - بفتح الميم - بفتح الطين اليابس، واحده مدرة.

(2) «الجامع لأحكام القرآن» (10/266).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ تَسْبُحُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ السَّمْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا وَإِنْ مِنْكُمْ مَنْ لَا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ (الاسراء: 44).

وَحَكَى اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَنِ الْمَلَائِكَةِ قَوْلَهُمْ: ﴿ يَا لَيْسَ لَكَ لَنَا لَهْفٌ ﴿٣٥﴾ يَا لَيْسَ لَكَ لَنَا لَهْفٌ لَنَسْتَبِينُ ﴿٣٦﴾ (الصفات: 165-166).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿١٠﴾ (الانبيا: 20).

وفي «سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»^(١) مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُلَبِّ يُلَبِّي إِلَّا لَبَّى مَا عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ: مِنْ حَجْرٍ، أَوْ شَجَرٍ، أَوْ مَدْرٍ، حَتَّى تَنْقَطِعَ الْأَرْضُ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا».

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَنِ الرَّعْدِ: ﴿ وَيَسْبُحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ. وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحِقَابِ ﴿١٣﴾ (الرعد: 13).

قال الحافظ ابن حجر رحمته: «إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ اشتهر تسبيحُ الحصى، وَحِينَ الْجَذَعِ، وَلَمْ يُكَذِّبْ رُؤَاتُهَا»⁽²⁾.

وَأَخْبَرَنَا نَبِينَا ﷺ عَنِ الْجَنِّ، كَمَا فِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(1) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ (2921)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (6363).

(2) «الْفَتْحُ» (592/6).

(3) «صَحِيحٌ»: رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (3291)، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (2624).

على أصحابه، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها، فسكتوا، فقال: «لقد قرأتها على الجن ليلة الجن، فكانوا أحسن مزودًا منكم، كنتُ كلُّما أتيتُ على قوله: ﴿فَأَيُّ مَالِهِ رَبِّكَ مَا تَكْذِبُونَ﴾، قالوا: لا بشيءٍ من نعيمك - ربنا - نكذب، فللك الحمد». وأخبرنا - أيضًا - عن الحيتان، والنمل، والحيل.

ففي «سنن ابن ماجه» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيحه»⁽¹⁾ من حديث أبي الدرداء رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه ليستغفر للعالم من في السموات ومن في الأرض، حتى الحيتان في البحر».

وفي «معجم الطبراني» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽²⁾ من حديث أبي أمامة رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله، وملائكته، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في البحر - يصلون على معلم الناس الخير».

وفي «سنن النسائي» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الجامع»⁽³⁾ من حديث أبي ذر رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه ليس من قرس عربي، إلا يؤذن له مع كل فجر يدعو بدعوتين، يقول: اللهم إنك خولتني⁽⁴⁾ من خولتني من بني آدم، فاجعلني من أحب أهله وماله إليه».

وقال الله - سبحانه، وتعالى - حاكياً عن الهدد قوله: ﴿الْأَبْسَجُوا لِي وَالَّذِي يَنْتَعِجُ الْعُنَبَةِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (النمل: 25-26).

- (1) «صحيح»: أخرجه ابن ماجه (239)، وصححه الألباني في «الصحيحه»، (195).
- (2) «صحيح»: أخرجه الطبراني في «الكبير»، (1237)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»، (1838).
- (3) «صحيح»: رواه أحمد (2346)، والنسائي (4139)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»، (2414).
- (4) يُقال: خولته الله الشيء: إذا أعطاه إياه متفضلاً.

وقال الله - سبحانه، وتعالى - عن عموم الطير: ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ قَاهُوجَ الْجَبَالِ بَيْتَانَ وَسَخَّرْنَا مَعَ قَاهُوجَ الْجَبَالِ بَيْتَانَ وَالطَّيْرَ وَالْكَبِيرَ ﴾ (الأنبياء: 79).

وقال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿ آتَرَأَى أَنَّ اللَّهَ يَسْئَلُ لهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفْتًا كُلَّ قَدَحٍ مَلَأَهُ وَقَبِيحَةً ﴾ (النور: 41).

أيها الناس، نحنُ أحقُّ بذكرِ الله من الحجر، والشجر، والمدر، والنمل، والحيتان، وعموم الطير، فهل نحنُ فاعلون؟

اللهم أعنا على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك، اللهم اجعلنا من الذاكرين لك كثيرا والذاكرات، ﴿ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (البقرة: 201).



الاستغفار

18

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَنَحْوٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا

اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ لُونٌ بِهِ. وَالْأَرْحَامُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ

اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنِ الْاسْتِغْفَارِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، الْإِنْسَانُ جُبِلَ عَلَى الْمَعَاصِي؛ لِأَنَّهُ قَدْ قُدِّرَتْ عَلَيْهِ الذُّنُوبُ، فَلَمْ يَنْجُ مِنْهَا أَحَدٌ، حَتَّى أَهْلُ الصَّلَاحِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَلَوْ بَوَّأْنَا لَلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنَ النَّاسِ لَمَّا تَرَكَ عَلَيْهِمْ مِنْ دَابَّةٍ﴾

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَدَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ
اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ».

وفي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيْبُهُ مِنَ الرِّزَا، مُدْرِكُ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظْرُ،
وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الْاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرَّجُلُ زِنَاهَا
الْخَطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكْذِبُهُ».

وفي «سنن الترمذي» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»⁽³⁾ من
حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَاءٌ، وَخَيْرُ
الْخَطَائِينَ التَّوَابُونَ».

وأخرج الطبراني بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيحة»⁽⁴⁾ من حديث
ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَهُ ذَنْبٌ يَعْتَادُهُ
الْفَيْئَةَ بَعْدَ الْفَيْئَةِ، أَوْ ذَنْبٌ هُوَ مُقِيمٌ لَا يُفَارِقُهُ، حَتَّى يُفَارِقَ الدُّنْيَا، إِنَّ الْمُؤْمِنَ خُلِقَ مُفْتَنًا
تَوَابًا نِسَاءً؛ إِذَا ذُكِرَ ذَكَرَ».

أيها الناس، إذا كان هذا الإنسان المؤمن، جُبل على المعاصي، وقدرت عليه
الذنوب، فمن رحمة الله بعباده أن فتح أمامهم باب الاستغفار، آناء الليل، وأطراف
النهار، وحثهم عليه، ورغبتهم فيه.

(1) رواه مسلم (2749).

(2) رواه البخاري (6212)، ومسلم (2657) - واللفظ له -.

(3) «حسن»: أخرجه الترمذي (2629)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (4515).

(4) «صحيح»: أخرجه الطبراني (3/136)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (2276).

قَالَ - سُبْحٰنَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ لَقَدْ يَكْفُرُونَ الَّذِينَ آمَنُوا مِمَّا آمَنُوا بِهِمْ لَا يَسْطُورُونَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنْبِيَا إِيَّاكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُاتِيَكُمْ الْعَذَابَ ثُمَّ لَا تُحْشَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ (الزمر: 53-54).

وقَالَ - سُبْحٰنَهُ، - : ﴿ فَاسْتَوِيْمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ﴾ (فصلت: 6).

وقَالَ - سُبْحٰنَهُ، - : ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٣٩﴾ ﴾ (البقرة: 199).

وقَالَ اللَّهُ - سُبْحٰنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ أَوَى اللَّهُ لَكَ فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيُقَدِّرَ لَكُمْ مِنْ دُونِكُمْ ﴾ (إبراهيم: 10).

أيها الناس، إنَّ أَسْرَعَ الْخَلْقِ امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ، وَإِجَابَةً لِدَعَائِهِ هُمْ الْأَنْبِيَاءُ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -⁽¹⁾:

فَهَا هُوَ أَبُوْنَا آدَمَ، وَأُمْنَا حَوَاءُ عَلَيْهَا السَّلَامُ لَمَّا خَالَفَا أَمْرَ اللَّهِ - سُبْحٰنَهُ، وَتَعَالَى - ، وَأَزَلَّهَا الشَّيْطَانُ، وَأَوْقَعَهَا فِي الْخَطِيئَةِ - بَادِرًا بِالِاسْتِغْفَارِ، فَقَالَا: ﴿ قَالَا رَبَّنَا عَلَّمَنَا مَا لَمْ نَكُنَّا نَعْلَمُ وَإِنَّا لَنُؤْمِنُ بِكَ وَرَحْمَتَاكَ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَيْرِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ (الأعراف: 23).

وَنُوحٌ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يَتَوَجَّهُ إِلَى رَبِّهِ مُسْتَغْفِرًا، فَقَالَ: ﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَتَّكِلَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَلَا أَتَقْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي أَكُنْ مِنَ الْخَيْرِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ (هود: 47).

وَيَسْتَغْفِرُ رَبَّهُ لِنَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَذَوِيهِ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، فيقول: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿١٨٨﴾ ﴾ (نوح: 28).

وَالْحَلِيلُ إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يَقُولُ: ﴿ وَالَّذِي أَلْمَعَ أَنْ يَقْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨١﴾ ﴾ (الشعراء: 82).

(1) انظر «الاستغفار» للعدوي (ص 22-23).

وموسى الكليم - عليه الصلاة والسلام - يقول: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَكَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ① ﴾ (الفصص: 16).

ويقول: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ② ﴾ (الأعراف: 151).

وقال الله - سبحانه وتعالى - حاكياً عن داود - عليه الصلاة والسلام - : ﴿ وَكَانَ دَاوُدُ إِتْمَانًا فَفَتَنَهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ (ص: 24).

وسليمان - عليه الصلاة والسلام - يقول: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِنِّي بَدِيلًا إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ③ ﴾ (ص: 35).

أيها الناس، لقد حثَّ الله - سبحانه وتعالى - نبيه على الاستغفار، ولنا فيه أسوة حسنة، كما قال ربنا - سبحانه وتعالى - : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَكَرَّهَ اللَّهُ كِبْرًا ④ ﴾ (الأحزاب: 21).

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ⑤ ﴾ (النساء: 106).

وقال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ (غافر: 55).

وقال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ (النصر: 3).

أيها الناس، أذكركم نفسي وإياكم باستغفار الأُسوة الحسنة، والرحمة المهداة ﷺ؛ فإن الذكرى تنفع المؤمنين.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث الأغر المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ لَيَغَانُ عَلَى قَلْبِي»⁽²⁾، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ.

وفي «سنن ابن ماجه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح ابن ماجه»⁽³⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ».

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيحه»⁽⁴⁾ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: إِنَّا كُنَّا لَنَعُدُّ فِي الْمَجْلِسِ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» مِائَةَ مَرَّةٍ.

في «صحيح مسلم»⁽⁵⁾ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «تُوبُوا إِلَى اللَّهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ».

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد»⁽⁶⁾ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الضُّحَى ثُمَّ قَالَ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» حَتَّى قَالَهَا مِائَةَ مَرَّةٍ.

(1) رواه مسلم (2702).

(2) لِيَغَانُ عَلَى قَلْبِي أَي: لِيُعْطَى عَلَيْهِ، أَرَادَ: مَا يَغْشَاهُ مِنَ السَّهْوِ الَّذِي لَا يَخْلُو مِنْهُ الْبَشَرُ؛ لِأَنَّ قَلْبَهُ أَبَدًا كَانَ مَشْغُولًا بِاللَّهِ - تَعَالَى - ، فَإِنْ عَرَّضَ لَهُ وَقْتًا مَا عَارَضَ بَشْرِي يَشْغَلُهُ مِنْ أُمُورِ الْأُمَّةِ وَالْمَلَّةِ وَمَصَالِحِهِمَا - عَدَّ ذَلِكَ ذَنْبًا وَتَقْصِيرًا، فَيَفْزَعُ إِلَى الْاسْتِغْفَارِ.

(3) «صحيح»: رواه ابن ماجه (3815)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (3076).

(4) «صحيح»: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (618)، وصححه الألباني في «الصحيحه» (556).

(5) رواه مسلم (2702).

(6) «صحيح»: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (619)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب» (482).

أيها الناس، قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الْمُؤْمِنَ جُبِلَ عَلَى الْحَطِّإِ، وَقُدِّرَتْ عَلَيْهِ الذُّنُوبُ،
فَاعْلَمُوا - عَلَّمَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ - أَنَّ الْمُذْنِبَ مُمَهَّلٌ حَتَّى يَسْتَغْفِرَ.

فَقَدْ أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾
مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ صَاحِبَ الشَّمَالِ لَيَرْفَعُ
الْقَلَمَ سِتَّ سَاعَاتٍ عَنِ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ الْمُخْطِئِ، فَإِنْ نَدِمَ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهُ مِنْهَا أَلْقَاهَا،
وإِلَّا كُتِبَتْ وَاحِدَةً».

وَاعْلَمُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ لِلْإِسْتِغْفَارِ آدَابًا، وَمِنْ هَذِهِ الْآدَابِ أَنْ يَعْزِمَ الْعَبْدُ
الْمَسْأَلَةَ، فَلَا يَقُولَنَّ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ»؛ لِمَا فِي «الصَّحِيحِينَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي
هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ،
اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمَ الْمَسْأَلَةَ؛ فَإِنَّهُ لَا مُسْتَكْرَهَ لَهُ».
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية - فوائد الاستغفار:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، غَافِرِ الذَّنْبِ، وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ،
إِلَيْهِ الْمَصِيرُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الْبَشِيرِ النَّذِيرِ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ عَنِ الْإِسْتِغْفَارِ، وَالآنَ حَدِيثِي
مَعَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْ فَوَائِدِ الْإِسْتِغْفَارِ.

(1) «حسن»: أخرجه الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (2/25)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (1209).

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (6339)، وَمُسْلِمٌ (2679).

وفوائد الاستغفار - أيها الناس - جمّة غزيرة، ولكن يكفي من الزّاد ما يبلغُ المحلّ، ومن القلادة ما أحاط بالعنق.

فمن فوائد الاستغفار - أيها الناس - تكفير السيئات، ورفع الدرجات.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (النساء: 110).

﴿ (النساء: 110) ﴾

ومن فوائد الاستغفار - أيها الناس - أنه سبب لسعة الرزق.

قال نوح - عليه الصلاة والسلام - لقومه: ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ (يونس: 10)

السَّمَةَ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا ﴿ (يونس: 11) وَيُنذِرَ ذُرِّيَّتَكُمْ بِأَمْوَالِهِمْ لِيَنْقَلِبُوا فِيهَا وَلِيُؤْتُوا حَسَنًا ﴿ (يونس: 12)

ومن فوائد الاستغفار - أيها الناس - أنه سبب للمتاع الحسن.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَإِنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُبْعَثْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا لَكُمْ أَجَلٌ

مُسَمًّى وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ (هود: 3).

ومن فوائد الاستغفار - أيها الناس - أنه سبب لحصول القوة في البدن.

قال هود - عليه الصلاة والسلام - لقومه: ﴿ وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ

السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مَجْرِمِينَ ﴾ (هود: 52).

ومن فوائد الاستغفار - أيها الناس - أنه سبب للدفع المصائب، ورفع البلاء.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَمَا كَانِ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الأنفال: 33).

(الأنفال: 33).

ومن فوائد الاستغفار - أيها الناس - أنه سبب لياض القلب، وصفائه ونقاؤه؛

وذلك لأن الذنوب تترك أثراً سيئاً وسواداً على القلب.

ففي «مسند أحمد»، و«سنن الترمذي» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الترمذي»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكته سوداء»⁽²⁾ في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، وإن زاد زادت، حتى يعلو قلبه الرين الذي ذكر الله - عز وجل - في القرآن: ﴿كَلَّا لَئِنْ رَأَىٰ قُلُوبِهِمْ نَاكَوًا يَكْفُرُونَ﴾ (المطففين: 14).

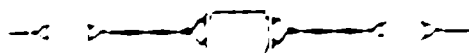
أيها الناس، ما أخوَجنا للاستغفار؛ لإزالة ما قد تعلق على قلوبنا من سواد، وما قد زان عليها من ذنوب ومعاصير.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ قَسِينَا أَوْ نَهَوْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: 286).

﴿رَبَّنَا إِنَّا أَمَتْنَا فَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: 16).

﴿رَبَّنَا فَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: 193).

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحشر: 10).



(1) أخرجه أحمد (2/ 297)، والترمذي (3334)، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» (2654).

(2) نكته سوداء أي: أثر قليل كالنقطة شبيه الوسخ في المראה، وقطرة المِدادِ تَقَطَّرُ في القِرطاسِ.

البُكَاءُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ

19

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ فِيهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا

اللَّهِ الَّذِي تَسَلَّوْنَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ عَنِ الْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لِلْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ثَوَابٌ عَظِيمٌ، وَأَجْرٌ جَلِيلٌ، وَهُوَ دَلِيلُ الْإِيْمَانِ، وَشِعَارُ الْيَقِينِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَقَشَّرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الزمر: 23).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُوتُونَ وَبَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (الإسراء: 107 - 109).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَقَعَلَى - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَمَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلَتَّ مِعْ تُوْجٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَجَدَيْنَا إِنَّا نُنزِّلُ عَلَيْهِم مَّائِدَاتُ الرِّحْمٰنِ خَرُوءًا مُّسَجَّدًا وَتُكِيًا﴾
(مریم: 58).

وفي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبْتُهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى؛ حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، ففَاضَتْ عَيْنَاهُ».

وفي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ، وَالنَّسَائِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمَشْكَاةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ عُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ».

وفي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمَشْكَاةِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

(1) رواه البخاري (660) - واللفظ له -، ومسلم (1031).

(2) «صحيح»: أخرجه الترمذي (1633)، النسائي في «صحيح النسائي» (2911)، وصححه الألباني في «المشكاة» (3828).

(3) «صحيح»: أخرجه الترمذي (1639)، وصححه الألباني في «المشكاة» (3829).

وأخرج الحاكم في «مستدرِكِه» بسندٍ صحيح، صحَّحه الألباني في «صحيح التَّريغِب»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «حُرِّمَ عَلَى عَيْنَيْنِ أَنْ تَنَالَهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكُفْرِ».

وفي «سُنَنِ التَّرْمِذِيِّ» بسندٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الألباني في «المشكاة»⁽²⁾ من حديث أبي أَمَامَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى - مِنْ قَطْرَتَيْنِ، وَأَثَرَيْنِ: قَطْرَةٌ دُمُوعٍ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ - تَعَالَى - ، وَقَطْرَةٌ دَمٍ تُهْرَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَمَّا الْأَثَرَانِ: فَأَثَرٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَثَرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ - تَعَالَى -».

وأخرج الطَّبْرَانِيُّ فِي «الأوسط» بسندٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الألباني فِي «صحيح التَّريغِب»⁽³⁾ من حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «طُوبَى لِمَنْ مَلَكَ لِسَانَهُ، وَوَسَعَهُ بَيْتُهُ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ».

وطُوبَى - أَيُّهَا النَّاسُ - وَمَا أَذْرَاكُمْ مَا طُوبَى؟، إِنَّهَا شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ، مَسِيرَةٌ مِائَةٌ عَامٍ، يُثَابُ أَهْلُ الْجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ أَكْثَامِهَا.

ففي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بسندٍ حَسَنٍ لغيره، كما قال الألباني فِي «الصَّحِيحَةَ»⁽⁴⁾ من حديث أبي سَعِيدِ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «طُوبَى: شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ، مَسِيرَةٌ مِائَةٌ عَامٍ، يُثَابُ أَهْلُ الْجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ أَكْثَامِهَا».

(1) «صحيح»: «المستدرِك» (2/83)، وصحَّحه الألباني في «صحيح التَّريغِب» (1233).

(2) «حسن»: أخرجه التَّرْمِذِيُّ (1669)، وحَسَّنَهُ الألباني في «المشكاة» (3837).

(3) «حسن»: أخرجه الطَّبْرَانِيُّ فِي «الأوسط» (3/21)، وحَسَّنَهُ الألباني فِي «صحيح التَّريغِب» (4876).

(4) «حسن لغيره»: أخرجه أحمد (3/71)، وقال الألباني فِي «الصَّحِيحَةَ» (1985): حسن لغيره.

وأخرج ابن المبارك في «الزهد»، وعنه أحمد، والترمذي بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيحة»⁽¹⁾ من حديث عتبة بن عامر ~~جهنم~~ قال: يا رسول الله، ما النجاة؟ قال: «أملكك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك».

أيها الناس، ليس كل بكاء يصدق عليه أنه بكاء من خشية الله؛ فالبكاء أنواع ذكرها ابن القيم في «زاد المعاد»⁽²⁾:

أحدها - بكاء الرحمة والرفقة.

والثاني - بكاء الخوف والخشية.

والثالث - بكاء المحبة والشوق.

والرابع - بكاء الفرح والسرور.

والخامس - بكاء الجزع من ورود المؤلم وعدم احتماله.

والسادس - بكاء الحزن.

والسابع - بكاء الضعف والخور.

والثامن - بكاء النفاق، وهو: أن تدمع العين، والقلب قاس.

والتاسع - البكاء المستعار والمستأجر عليه: بكاء النائحة بالأجرة.

والعاشر - بكاء الموافقة، وهو: أن يرى الرجل الناس يبكون لأمر ورد عليهم،

فبيكي معهم، ولا يذري لأي شيء يبكون.

(1) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (134)، وعنه أحمد (259/5)، والترمذي (65/2)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (890).

(2) «زاد المعاد» (1/185 - 186) باختصار يسير.

وَالنُّوعُ الثَّانِي (أَي: بُكَاءُ الْخَوْفِ وَالْحَشْيَةِ) هُوَ بَيْنُ الْقَصِيدِ، وَمَرْبُطُ الْفَرَسِ،
وَأَكْثَرُ بُكَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْهُ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ
ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اقْرَأْ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ؟!. قَالَ: «نَعَمْ». فَقَرَأْتُ
سُورَةَ النَّسَاءِ، حَتَّى آتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ
وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (النساء: 41). قَالَ: «حَسْبُكَ الْآنَ». فَالْتَفَتْتُ إِلَيْهِ، فإِذَا
عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ خُزَيْمَةَ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ
الرَّغِيبِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَا كَانَ فِينَا فَارِسٌ يَوْمَ بَدْرٍ غَيْرَ الْمُقْدَادِ، وَلَقَدْ
رَأَيْتُنَا وَمَا فِينَا إِلَّا قَائِمٌ إِلَّا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ يُصَلِّي وَيَبْكِي، حَتَّى أَصْبَحَ».

وَفِي «سُنَنِ النَّسَائِيِّ، وَأَبِي دَاوُدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي
دَاوُدَ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ يَوْمًا عَلَى عَهْدِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي، حَتَّى لَمْ يَكَدْ يَرْكَعُ، ثُمَّ رَكَعَ، فَلَمْ
يَكَدْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَلَمْ يَكَدْ أَنْ يَسْجُدَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَلَمْ يَكَدْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ،
ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَلَمْ يَكَدْ أَنْ يَسْجُدَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَلَمْ يَكَدْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ،
فَجَعَلَ يَنْفُخُ وَيَبْكِي، وَيَقُولُ: «رَبِّ أُمَّ تَعِدُنِي إِلَّا تُعَذِّبُهُمْ وَأَنَا فِيهِمْ؟!، رَبِّ أُمَّ تَعِدُنِي
إِلَّا تُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ؟!، وَنَحْنُ نَسْتَغْفِرُكَ!». فَلَمَّا صَلَّى رَكَعَتَيْنِ، انْجَلَّتِ

(1) رواه البخاري (5050)، ومسلم (800).

(2) «صحيح»: ابن خزيمة (899)، وصححه الألباني في «صحيح الرغيب» (3330).

(3) «صحيح»: أخرجه النسائي (1401)، وأبو داود (1194)، وصححه الألباني في «الإرواء» (262).

الشَّمْسُ، فقام فَحَمِدَ اللهَ - تعالى - ، وأثنى عليه، ثُمَّ قال: «إِنَّ الشَّمْسَ والقَمَرَ آيَاتانِ مِنْ آياتِ اللهِ، لا يَنْكَسِفانِ لَمَوْتِ أَحَدٍ، ولا لِحَياتِهِ، فإذا انْكَسَفا، فافزَعُوا إلى ذِكْرِ اللهِ».

وفي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ»، و«سُنَنِ ابْنِ ماجَةَ» بسندٍ حَسَنِ، حَسَنَهُ الألبانِيُّ في «الصَّحِيحَةَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ البراءِ بْنِ عازِبٍ رضي الله عنه قال: بَيْنما نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، إذا بصرَ بِجِماعَةٍ، فقال: «عَلامَ اجتمعَ عليه هَؤُلاءِ؟». قِيلَ: على قَبْرِ يَحْفَرُونَهُ. قال: فَفَزِعَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَبَدَرَ بَيْنَ يَدَيِ أَصحابِهِ مُسْرِعاً؛ حَتَّى انْتَهى إلى القَبْرِ، فَجَثَّ عَلَيْهِ، قال: فَاسْتَقْبَلْتُهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ؛ لِأَنْظَرُ ما يَصْنَعُ، فَبَكَى حَتَّى بَلَ الثَّرى مِنْ دُمُوعِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَينا، قال: «أَيُّ إِخْوانِي، لِثَلِّ اليَوْمِ فَأَعِدُّوا».

وفي «سُنَنِ أَبِي داوُدَ، والنَّسائِيَّ» بسندٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الألبانِيُّ في «صَحِيحِ التَّرغيبِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشَّخِيرِ رضي الله عنه قال: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي بِناءِ، وفي صَدْرِهِ أَرِيزٌ كأَرِيزِ المِرْجَلِ⁽³⁾ مِنَ البُكاءِ». وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ.

(1) «حَسَنٌ»: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (294/4)، وَابْنُ ماجَةَ (4195)، وَحَسَنَهُ الألبانِيُّ في «الصَّحِيحَةَ» (1751).

(2) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ أَبُو داوُدَ (904)، والنَّسائِيُّ في «صَحِيحِ سُنَنِ النَّسائِيَّ» (1156)، وَصَحَّحَهُ الألبانِيُّ في «صَحِيحِ التَّرغيبِ» (3329).

(3) المِرْجَلُ - بالكسْرِ - : قَدْرٌ مِنْ نُحاسٍ، والمعنى: أَنْ لِحَوائِجِهِ حَيناً كَصَوْتِ عَليانِ القَدْرِ إذا اشْتَدَّ.

الخطبة الثانية - السبيل إلى البكاء من خشية الله :

الحمد لله الأولِ فَلَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، الْآخِرِ فَلَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ، الظَّاهِرِ فَلَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ، الْبَاطِنِ فَلَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ، خَلَقَ فَأَبْدَعَ، وَصَوَّرَ فَأَحْسَنَ، فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ، لَهُ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ الْمُهْدَاةِ، الْقُدُورَةِ الْمُجْتَبَاةِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ عَنِ الْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنِ السَّبِيلِ إِلَى الْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ.

الْعِلْمُ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِمَّا يُعِينُ عَلَى الْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ.

وَالْعِلْمُ - أَيُّهَا النَّاسُ - : مَا جَاءَ عَنِ اللهِ، وَأَهْلُهُ هُمْ أَهْلُ الْحَشِيَّةِ، الَّذِينَ وَصَفَهُمْ خَالِقُهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: 28).

فَإِذَا طَلَبْنَا الْعِلْمَ، وَحَصَلْنَا عَلَيْهِ، فَمَعَهُ الْبُكَاءُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ.

أَلَمْ يَقُلِ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿قُلْ ءَايَتُوا بِهِمْ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِمْ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٧﴾ وَرَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كُنَّا وَعَدْرَتَنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُونَ ويزيدهم خشوعًا﴾ (الإسراء: 107-109).

وَفِي «الصَّحِيحِينَ»^(١) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ، قَالَ: «لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَصَحِحْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا». قَالَ: فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وُجُوهَهُمْ، لَمْ حَيْنٌ.

(1) رواه البخاري (4621)، ومسلم (2359).

وَالْحَتِينُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ الصَّوْتُ الَّذِي يَرْتَفِعُ بِالْبُكَاءِ مِنَ الصَّدْرِ، كَمَا قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ⁽¹⁾.

فَدَلَّ الْحَدِيثُ بِمَفْهُومِهِ وَمَنْطُوقِهِ عَلَى أَنَّ الْعِلْمَ سَبِيلٌ لِلْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، دَلَّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ «لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمُ».

وَتَدَبَّرُ الْقُرْآنَ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِمَّا يُعِينُ عَلَى الْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَقَدْ حَنَّ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - عَلَى تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ بِقَوْلِهِ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَذْهَبَ قُلُوبِ أَقْفَالِهَا﴾ (محمد: 24).

الاسْتِمَاعُ إِلَى الْمَوَاعِظِ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِمَّا يُعِينُ عَلَى الْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَكَمَّ لِلْمَوَاعِظِ وَالتَّذْكِيرِ مِنْ أَثَرٍ فِي جَلْبِ الخُشُوعِ، وَاسْتِدَارَةِ الدُّمُوعِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ!، وَكَمَّ لِلْإِعْرَاضِ عَنِ الْمَوَاعِظِ، وَعَدَمِ حُضُورِهَا مِنْ جَلْبِ الْقَسْوَةِ لِلْقُلُوبِ، وَالْقَحْطِ لِلْعُيُونِ!.

أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى -: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَفْشَعُ قُلُوبُهُمْ لِلسَّحْرِ أَلَوْ وَمَا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ (الحديد: 16).

قال ابنُ عَبَّاسٍ رحمتهما فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: «قَالُوا إِلَى الدُّنْيَا، وَأَعْرَضُوا عَنِ مَوَاعِظِ اللَّهِ».

وَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيِّ، وَابْنِ مَاجَةَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ الْعَرَبِاضِ بْنِ سَارِيَةَ رحمتهما قَالَ: وَعَظَّنَا رَسُولُ اللَّهِ

(1) انظر «الفتح» عند شرحه للحديث (4621).

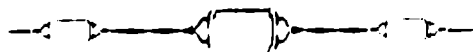
(2) أخرجه أبو داود (4607)، والتِّرْمِذِيُّ (2828)، وابنُ مَاجَةَ (42)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح التَّغْيِيبِ» (34).

عَلَيْهِ السَّلَامُ مَوْعِظَةٌ بليغة؛ وَجِلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَانَتْهَا مَوْعِظَةٌ مُودِعٌ، فَأَوْصِنَا. قَالَ: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ، فَسِرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

أَيُّهَا النَّاسُ، دَلَّ الْحَدِيثُ بِمَنْطُوقِهِ وَمَفْهُومِهِ عَلَى أَنَّ لِلْمَوْعِظَةِ أَثْرًا عَظِيمًا فِي الْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَالشَّاهِدُ: قَوْلُ رَاوِي الْحَدِيثِ: «وَجِلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ».

﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة: 201).

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُودُ بِكَ مِنَ الْغَفْلَةِ وَالْقَسْوَةِ، وَالذَّلَّةِ وَالْمَسْكِنَةِ، وَنَعُودُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ، وَالشَّقَاقِ وَالنَّفَاقِ، وَالسُّمْعَةِ وَالرِّيَاءِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُودُ بِكَ مِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَقَلْبٍ لَا يَحْشَعُ، وَعَيْنٍ لَا تَدْمَعُ، وَدَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا.



[20] الحياة الدنيا في القرآن الكريم

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

- ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا لَقُوا اللَّهَ عَلَىٰ تَقَاتُلِهِمْ وَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا ءَاتَمَّ لَسْمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلنَّاسِ أَتَقْرَأُ لَكُمُ الْكُرْآنَ فَذَكَرَ وَطَلَّقَ بِهَا نَفْسَهَا وَتَكْتُمُ الْكُفْرَانَ فَكَلَّمَهَا وَأْتَقْرَأُ

اللَّهُ لَكَ لَوْنٌ يَوْمَ ذَٰلِكَ وَالْأَرْحَامُ لَدَى اللَّهِ كَانَ عَلَيْكُمُ رَهْبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا لَقُوا اللَّهَ وَلَوْلَا قَوْلُ سِدِّيقٍ ﴿١٣﴾ يُصَلِّحْ لَكُمْ أَسْمَٰكُكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿١٧﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد - أيها الناس - حديني معكم اليوم عن الحياة الدنيا في القرآن الكريم.

أيها الناس، قد علمنا جميعاً أن القرآن الكريم مُشتمِلٌ على ذم الدنيا، وصرف الخلق

عنها، ودعوتهم إلى الآخرة، فما بالهم تعلقوا بها، وكأنها دارُ خلودٍ لا دارُ عبورٍ؟!!!

أيها الناس، لقد حقر الله - سبحانه - وتعالى - أمر الدنيا، وبين أنها دينية فانية،

قليلة زائلة.

فقال - سبحانه - : ﴿وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعٰلَمِیْنَ ﴿١٧٥﴾﴾ (آل عمران: 185).

أيها الناس، إنها متاع، ولكنه ليس متاع الحقيقة، إنها متاع العُورِ، المتاع الذي

يُخَدِّعُ الْإِنْسَانَ، فَيَحْسَبُهُ مَتَاعًا، وَهُوَ سَرَابٌ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً.

وَأَمَّا الْمَتَاعُ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْجُهْدَ فِي تَحْصِيلِهِ فَهُوَ الْفَوْزُ بِالْجَنَّةِ، وَالنَّجَاةُ مِنَ النَّارِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ اللَّهُ يُسِّطِرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾ (الرعد: 26).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَادَى بِتَقْوِيهِ أَنْ يَتَّقُونِ أَنْ يَكُونَ مِنْكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَتَّقُونَ إِنَّمَا هَذَا الصَّبْرُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَلِذَلِكَ الْآخِرَةُ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿ (غافر: 38-39).

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِأَنَّهَا لَعِبٌ وَهَوٌّ فِي أَكْثَرِ مِنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَهْوٌ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَمْتَلُونَ ﴿٣٢﴾ (الأنعام: 32).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَهْوٌ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ لَيْسَ الصَّابِرُونَ ﴿٦٤﴾ (العنكبوت: 64).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ إِنَّمَا لِلدُّنْيَا لَهْوٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْتَلْكُمْ أَمْوَالِكُمْ ﴿٣٦﴾ (محمد: 36).

وَمَعْنَى لَعِبٍ - أَيُّهَا النَّاسُ - : أَنْ كُلَّ مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ الْإِنْسَانَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَهُوَ يَضْمَحِلُّ وَيَزُولُ كَاللَّعِبِ الَّذِي لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَلَا ثَبَاتَ، فَالِدُّنْيَا إِنْ بَقِيَ لَنَا لَمْ نَبْقَ لَهَا. وَاللَّهُوُ: مَا أُلْهِىَ عَنِ الْآخِرَةِ، وَسُغِلَ عَنْهَا.

كَمَا قَالَ رَبُّنَا - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفِتْرَةَ كَثِيرٌ ﴿١﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿ (التكاثر: 1-2).

أَيُّ: شَغَلَكُمْ التَّكَاثُرُ فِي الْأَمْوَالِ، وَالْأَوْلَادِ، وَغَيْرِهَا حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ، فَتَعَدَّرَ عَلَيْكُمْ اسْتِثْنَاءُ الْعَمَلِ، وَالانْشِغَالُ بِالْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ.

فتأملوا - أيها الناس - إلى قوله - تعالى - : ﴿ حَتَّىٰ زِدْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ فسأنا الله زائرين ولم
يُسْمِنَا مُقِيمِينَ .

وها هو القرآن الكريم يؤكد لنا أن الحياة الدنيا لعبٌ وهوٌ .

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ
وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرِبُهُ مَضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي
الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴾ (الحديد: 20) .

أي: لعبٌ كَلْعِبِ الصَّبِيانِ، وهوٌ كَلَهْوِ الْفِتْيَانِ، وزينةٌ كزينة النسوانِ، وتفاحرٌ
كُتْفَاخِرِ الْأَقْرَانِ⁽¹⁾، وتكاثرٌ كُتْكَاثِرِ الدُّهْقَانِ⁽²⁾⁽³⁾ .

أيها الناس، لقد ضرب الله - سبحانه وتعالى - مثل الحياة الدنيا في أمها زهرة
فانية، وبنعمة زائلة، فقال: ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ ﴾ وهو المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس، كما
قال - تعالى - : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَدَمًا مَّقْنَطُوا ﴾ (الشورى: 28) .

وقوله - تعالى - : ﴿ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ﴾ أي: يُعْجِبُ الزَّرْعَ نَبَاتُ ذَلِكَ الزَّرْعِ الَّذِي
نبت بالغيث، كذلك تُعْجِبُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا الْكُفَّارَ، فَإِنَّهُمْ أَخْرَصُوا شَيْءًا عَلَيْهَا، وَأَمِيلُ
النَّاسُ إِلَيْهَا .

﴿ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرِبُهُ مَضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ﴾ أي: يَهْبِجُ ذَلِكَ الزَّرْعُ بَعْدَ مَا كَانَ حَضْرًا
نَضْرًا، ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ حُطَامًا أَي: يَصِيرُ بَيْسًا مَّتَحَطَّمًا، هكذا الحياة الدنيا:
تكون أولًا شابة، ثم تكتهل، ثم تكون عجوزًا شوهاء، والإنسان يكون كذلك أولًا

(1) الأقران: جمع قرين - بالكسر -، وهو كُفُوك في الشجاعة، والعلم، وغير ذلك .

(2) الدهقان - بالضم والكسر - : التاجر، والجمع دهاقنة ودهاقين .

(3) «تفسير القرطبي» (17/255) .

عُمُرِهِ وَعُنْفُوَانٌ⁽¹⁾ شَبَابِهِ غَضًا طَرِيًّا لَيِّنَ الْأَعْطَافِ، بَهِيَّ الْمَنْظَرِ، ثُمَّ إِنَّهُ يَشْرَعُ فِي الْكُهُولَةِ، فَتَتَغَيَّرُ طِبَاعُهُ، وَيَفْقِدُ بَعْضَ قَوَاهُ، ثُمَّ يَكْبُرُ، فَيَصِيرُ شَيْخًا كَبِيرًا ضَعِيفَ الْقُوَى، قَلِيلَ الْحَرَكَةِ، يُعْجِزُهُ الشَّيْءُ الْيَسِيرُ، كَمَا قَالَ رَبُّنَا - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿54﴾ (الروم: 54).

أَيُّهَا النَّاسُ، لَمَّا كَانَ هَذَا الْمَثَلُ دَالًّا عَلَى زَوَالِ الدُّنْيَا وِانْقِضَائِهَا وَفِرَاقِهَا لَا مَحَالَةَ، وَأَنَّ الْآخِرَةَ كَائِنَةٌ لَا مَحَالَةَ - حَذَّرَ مِنْ أَمْرِهَا، وَرَغَّبَ فِيهَا مِنْ الْحَيْرِ، فَقَالَ: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴿20﴾ (الحديد: 20).

أَيُّ: وَلَيْسَ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا إِمَّا عَذَابٌ شَدِيدٌ، وَإِمَّا مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ⁽²⁾.
أَيُّهَا النَّاسُ، هَا هُوَ الْقُرْآنُ يُؤَكِّدُ لَنَا جَمِيعًا أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ تَفْصِيلًا لِلآيَةِ، وَتَذْكَيرًا لِلْعِبَادِهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَقْنُ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿24﴾ (يونس: 24).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا لِحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿45﴾ (الكهف: 45).

(1) عُنْفُوَانُ الشَّيْءِ - بَضْمُ الْعَيْنِ وَالْفَاءِ -: أَوَّلُهُ.

(2) انظر «تفسير ابن كثير» (4/ 274) بتصرف يسير.

قال العلامة ابن القيم رحمته: «شبهه - سبحانه - الحياة الدنيا في أنها تترين في عين الناظر، فتروقه بزيتها وتعجبه، فيميل إليها، ويهاها اغتراراً منه بها، حتى إذا ظن أنه مالك لها، قادر عليها، سلبها بغتة أخوج ما كان إليها، وحيل بينه وبينها، فشبها بالأرض التي ينزل الغيث عليها، فتعشب ويحسن نباتها، ويروق منظرها للناظر، فيغتر بها، ويظن أنه قادر عليها، مالك لها، فيأتيها أمر الله، فتدرك نباتها الآفة بغتة، فتصبح كأن لم تكن قبل شيئاً، فيخب ظنه، وتصبح يدها منها صفرًا، فهكذا حال الدنيا والواثق بها سواء. وهذا من أبلغ التشبيه والقياس.

ولما كانت الدنيا عرضة لهذه الآفات، وجنة الآخرة سليمة منها - قال: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ (يونس: 25)، فسماها ها هنا دار السلام؛ لسلامتها من هذه الآفات، التي ذكرها في الدنيا، فعم بالدعوة إليها، وخص بالهداية لها من يشاء، فذاك عدله وهذا فضله»⁽¹⁾.

وقال العلامة القرطبي رحمته: «قالت الحكماء: إنما شبه الله - سبحانه - وتعالى - الدنيا بالماء؛ لأن الماء لا يستقر في موضع، كذلك الدنيا لا تبقى. ولأن الماء لا يستقيم على حالة واحدة، كذلك الدنيا. ولأن الماء لا يبقى ويذهب، كذلك الدنيا تفتنى ولأن الماء لا يقدر أحد أن يدخله ولا يتل، كذلك الدنيا لا يسلم أحد دخلها من فتنها وآفاتها. ولأن الماء إذا كان بقدر كان نافعاً مُنبِتاً، وإذا جاوز المقدار كان ضاراً مُهلكاً، وكذلك الدنيا، الكفاف منها ينفع، وفُضولها يضر»⁽²⁾.

(1) «أعلام الموقعين» (1/182-183).

(2) «تفسير القرطبي» (10/412).

أَيُّهَا النَّاسُ، الْمَتَاعُ قَلِيلٌ، وَالسَّفَرُ طَوِيلٌ، فَخَذُوا مِنْ هَذَا الْمَتَاعِ طَاعَةَ اللَّهِ، فَإِنَّ مَصِيرَنَا إِلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -، فَيُخْبِرُنَا بِمَا قَدَّمْنَا مِنْ جَمِيعِ أَعْمَالِنَا.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيِكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعِكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (يونس: 23).

أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ قِيلَ: لَمَّا حَضَرَتْ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ الْوَفَاةُ، قَالَ: اثْنُونِي بِكَفَنِي الَّذِي أَكْفَنُ فِيهِ، أَنْظِرْ إِلَيْهِ، فَلَمَّا وُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ نَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَمَا لِي مِنْ كَبِيرٍ، مَا أَخْلَفَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا هَذَا؟

ثُمَّ وَلَّى ظَهْرَهُ فَبَكَى، وَهُوَ يَقُولُ: أَفْ لَكَ مِنْ دَارٍ!، إِنْ كَانَ كَثِيرُكَ لِقَلِيلٍ، وَإِنْ قَلِيلُكَ لَقَصِيرٍ، وَإِنْ كُنَّا مِنْكَ لَفِي غُرُورٍ.

وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ ... مِنْ اللَّهِ فِي دَارِ الْمَقَامِ نَصِيبٌ
فَإِنْ تُعْجِبُ الدُّنْيَا رِجَالًا، فَإِنَّهَا ... مَتَاعٌ قَلِيلٌ، وَالزَّوَالُ قَرِيبٌ.
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية - الحياة الدنيا في السنة النبوية :

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، والصلاة والسلام على من بعثه الله هاديًا ومبشرًا وسراجًا منيرًا.

أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ - تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ عَنِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ.

أيها الناس، ما أهون الدنيا على الله، يوضح ذلك ما جاء في «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ بالسوق، داخلاً من بغض العالِيَّة، والناس كنفته - أي: جانبه - فمرَّ بجدي أسك - أي: صغير الأذنين - مَيِّت، فتناوله فأخذ بأذنيه، ثم قال: «أيُّكم يحبُّ أن هذا له بدرهم؟».

قالوا: ما نحبُّ أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟.

قال: «أحبُّون أنه لكم؟».

قالوا: والله، لو كان حيًّا، كان عيبًا فيه؛ لأنه أسك، فكيف وهو ميِّت؟!.

فقال: «فوالله، للدنيا أهون على الله من هذا عليكم».

وفي «سنن الترمذي» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيح»⁽²⁾ من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافرًا منها شربة ماء».

وهذا - أيها الناس - مثل لغاية القلَّة والحقارة، أي: لو كان لها أذنى قدر، ما متع الكافر منها أذنى تمتع، وهذا أوضح دليل، وأعدل شاهد على حقارة الدنيا.

وقد سُئِلَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَيُّ خَلْقِ اللَّهِ أَضْعَفُ؟.

قال: الدنيا؛ إن كانت لا تعدل عند الله جناح بعوضة.

فقال السائل: من عظم هذا الجناح، فهو أخقر منه⁽³⁾.

(1) رواه مسلم (2957).

(2) «صحيح»: أخرجه الترمذي (2320)، وصححه الألباني في «الصحيح» (943).

(3) انظر «فيض القدير» (328/5) بتصرف.

وَمِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - أَنْ مَا يَأْكُلُهُ الْإِنْسَانُ جُعِلَ مَثَلًا لَهَا.
 فقد أخرج عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» بسند حسن، حسنه الألباني في
 «صحيح الجامع»، والوادعي في «الجامع الصحيح»⁽¹⁾ من حديث أبي بن كعب
رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مَطْعَمَ ابْنِ آدَمَ جُعِلَ مَثَلًا لِلدُّنْيَا، وَإِنْ قَرَّحَهُ
 وَمَلَّحَهُ، فَانظُرُوا إِلَى مَا يَصِيرُ».

والمعنى - أيها الناس - : أَنْ المَطْعَمَ وَإِنْ تَفَنَّ الإنسانُ التَّفُوقَ فِي صِنْعَتِهِ، فَإِنَّهُ - لَا
 حَالَةَ - عَائِدٌ إِلَى حَالٍ يُسْتَقْدَرُ، فَكَذَلِكَ الدُّنْيَا - وَإِنْ تَفَنَّ الإنسانُ فِي عِمَارَتِهَا - رَاجِعَةٌ
 إِلَى خَرَابٍ.

أيها الناس، تعالوا ننظر إلى حال رسول الله ﷺ مع الدنيا.

ففي «سنن الترمذي» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترمذي»⁽²⁾
 من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: نام رسول الله ﷺ على حصير، فقام
 وَقَدْ أَثَرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وَطَاءً. فَقَالَ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا
 أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَائِبٍ اسْتَنْظَلَتْ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا».

وها هو ﷺ يُحْتَنِئُ عَلَى الاستعدادِ لِيَوْمِ الرَّحِيلِ، وَالتَّزَوُّدِ لِلدَّارِ الْآخِرَةِ.

ففي «صحيح البخاري»⁽³⁾ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول
 الله ﷺ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ».

(1) «حسن»: أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائده»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (2191)،
 والوادعي في «الجامع الصحيح» (4190).

(2) «صحيح»: أخرجه الترمذي (2377)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (1936).

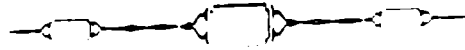
(3) رواه البخاري (6416).

أَيَّ غَرِيبٍ فِي بَلَدٍ غُرْبَةٍ، هَمُّهُ التَّرَوُّدُ لِلرُّجُوعِ إِلَى وَطَنِهِ، وَمُسَافِرٌ غَيْرٌ مُقِيمٍ،
يُوَاصِلُ سَيْرَهُ إِلَى بَلَدِ الْإِقَامَةِ.

فأحسبوا - أيها الناس - الزَّادَ، ﴿وَتَكَرَّرُوا فَلَمَّابِ خَيْرِ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ (البقرة: 197).

تَبَلَّغَ مِنَ الدُّنْيَا بِأَيْسَرِ زَادٍ ... فَإِنَّكَ عَنْهَا رَاحِلٌ لِمَعَادٍ
وَعُضٌّ عَنِ الدُّنْيَا وَرُخْرُفٍ أَهْلِهَا ... جُفُونِكَ، وَأَكْحَلُهَا بِطَيْبِ سُهَادٍ⁽¹⁾
وَجَاهِدْ عَنِ اللَّذَاتِ نَفْسَكَ جَاهِدًا ... فَإِنَّ جِهَادَ النَّفْسِ خَيْرٌ جِهَادٍ
وَمَا هِيَ إِلَّا دَارٌ لَهْوٍ وَفِتْنَةٍ ... وَإِنَّ قُصَارَى أَهْلِهَا لِنَفَادٍ

﴿رَسَاءَ إِنْسَانٍ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة: 201).



(1) السُّهَادُ - بِالضَّمِّ - : الْأَرْقُ.

وَسَوْسَةَ الشَّيَاطِينِ

21

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَوَحَدٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا

اللَّهِ الَّذِي فَسَّخَ لُونِ بِهِ. وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، حَدِيثِي مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ وَسَوْسَةِ الشَّيَاطِينِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ حِكْمَةٌ عَظِيمَةٌ فِي تَسْلِيْطِ الْجِنِّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، فَمِنْهَا ابْتِلَاءُ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِيُظْهَرَ الْحَبِيثُ مِنَ الطَّيِّبِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ

الْحَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيْ مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (آل عمران: 179).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «فظهر أن من بعض الحكم في خلق عدو الله

إخراج خبء النفس الخبيثة، التي شرها وخبثها كامن فيها، فأخرج خباها

بزناد^(١) دَعَوْتِهِ فَكَمْ لَهُ - سُبْحَنَهُ - مِنْ حِكْمٍ بِالْفِعْوَةِ، وَأَيَّةَ ظَاهِرَةٍ فِي خَلْقِ عَدُوِّهِ إِبْلِيسَ!.

وَمِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ فِي تَسْلِيَةِ الْجَنِّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِكْمَالِ مَرَاتِبِ الْعِبَادَةِ لِعِبَادِهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَلُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الْقَادِرِينَ ﴾ (آل عمران: 142).

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ صَرَرَ الشَّيْطَانِ عَلَى الْإِنْسَانِ لِعَظِيمٍ، فَهُوَ لَا يَزَالُ يَطْمَعُ فِي بَنِي آدَمَ؛ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ خَلْقًا لَا يَتِمَّالِكُ.

فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَمَّا صَوَّرَ اللَّهُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ، تَرَكَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَتْرُكَهُ، فَجَعَلَ إِبْلِيسَ يُطِيفُ بِهِ؛ يَنْظُرُ مَا هُوَ، فَلَمَّا رَأَى أَجُوفَ؛ عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ خَلْقًا لَا يَتِمَّالِكُ».

قَالَ الْمَنَاوِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «فِيضِ الْقَدِيرِ»^(٣): «أَيُّ: لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ دَفْعَ الْوَسْوَسَةِ عَنْهُ، وَلَا يَتَقَوَّى بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَلَا يَكُونُ لَهُ قُوَّةٌ وَثَبَاتٌ، بَلْ يَكُونُ مُتَزَلِّزًا لِأَمْرِ، مُتَغَيِّرًا الْحَالِ، مُضْطَرِبًا الْقَالَ، مُعَرِّضًا لِلْآفَاتِ، وَالتَّمَالِكُ: التَّمَاكُ، أَوْ لَا يَتِمَّالِكُ عَمَّا يَسُدُّ جَوْفَهُ، وَيَجْعَلُ فِيهِ أَنْوَاعَ الشَّهَوَاتِ الدَّاعِيَةِ إِلَى الْعُقُوبَةِ، فَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا ظَنَّهُ».

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الشَّيْطَانَ لِحَرِيصٌ عَلَى هَلَاكِ بَنِي آدَمَ بِالْوَسْوَسَةِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - حَاكِيًا عَنْ إِبْلِيسَ قَوْلَهُ: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: 62).

(1) الزناد: جمع زناد - بالفتح -، وهو العود الذي يُفدح به النَّارُ.

(2) رواه مسلم (2611).

(3) «فيض القدير» (5/297).



وَقَالَ - سُبْحَنَهُ، - حَاكِيًا عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: ﴿فِيمَا أَغْوَيْتَنِي لِأَصْنَدَ لَكُمْ مِرْطَلَةَ الْمَسْتَوِيمِ ۝ ثُمَّ لَا تَبْتَهُهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف: 16-17).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - حَاكِيًا عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: ﴿رَبِّ يَا أَغْوَيْتَنِي لِأَزَيْنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَالْأَغْوِيَّتَهُمْ أَجْمِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (الحجر: 39-40).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - حَاكِيًا عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لِأَغْوَيْتَنَّهُمْ أَجْمِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝﴾ (ص: 82-83).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - مُحَذِّرًا إِيَّانَا مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝﴾ (النساء: 60).

وَأَخْبَرَنَا رَبُّنَا - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - : أَنَّ الشَّيْطَانَ تَحَقَّقَ لَهُ مُرَادُهُ فِي إِضْلَالِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ قَبْلَنَا، فَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ۝﴾ (يس: 62).

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللَّهُ: إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ، فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَخَلَّتْ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا». أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْوَسْوَاسَةَ أَضَلَّ كُلَّ شَرٍّ، وَهِيَ مَبْدَأُ الْكُفْرِ وَالشَّرِّ وَالْمَعَاصِي، وَاللَّهُ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - أَمَرْنَا بِالْإِسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ.

قَالَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ ١ مَلِكِ النَّاسِ ۝ ٢ إِلَهِ النَّاسِ ۝ ٣ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝ ٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝ ٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝ ٦﴾ (الناس: 1-6).

(1) رواه مُسْلِمٌ (2865).

قال العلامة ابن القيم رحمته: «وَلَمْ يَقُلْ: مِنْ شَرِّ وَسْوَاسِيهِ؛ لِتَعَمُّ الاستعاذة شَرَّهُ جَمِيعَهُ، فَإِنَّ قَوْلَهُ ﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ ﴾: يَعُمُّ كُلَّ شَرِّهِ، وَوَصَفَهُ بِأَعْظَمِ صِفَاتِهِ، وَأَشَدِّهَا شَرًّا، وَأَقْوَاهَا تَأْثِيرًا، وَأَعَمَّهَا فِسَادًا، وَهِيَ الْوَسْوَاسَةُ الَّتِي هِيَ مَبَادِيءُ الْإِرَادَةِ... فَأَصْلُ كُلِّ مَعْصِيَةٍ وَبَلَاءٍ إِنَّهَا هُوَ الْوَسْوَاسَةُ؛ فَلِهَذَا وَصَفَهُ بِهَا؛ لِتَكُونَ الاستعاذة مِنْ شَرِّهَا أَهَمَّ مِنْ كُلِّ مُسْتَعَاذٍ مِنْهُ، وَإِلَّا فَشَرُّهُ بَعْدَ الْوَسْوَاسَةِ حَاصِلٌ - أَيْضًا -»⁽¹⁾.

لَكِنْ كَيْفَ بَدَايَةُ الْوَسْوَاسَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - ؟.

أَوَّلُ الْوَسْوَاسَةِ يَكُونُ خَوَاطِرَ، إِذَا لَمْ تُطْرَدْ مِنَ الْبَدَايَةِ، اسْتَقَرَّتْ وَتَمَكَّنَتْ. وَقَدْ أَرَشَدَنَا النَّبِيُّ ﷺ إِلَى عِلَاجِ الْوَسْوَاسَةِ مِنْ أَوْلَاهَا.

فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟، مَنْ خَلَقَ كَذَا؟، حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟، فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَبْتَهِ».

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رحمته: (وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ «فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَبْتَهِ» فَمَعْنَاهُ: إِذَا عَرَّضَ لَهُ هَذَا الْوَسْوَاسُ، فَلْيَلْجَأْ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى - فِي دَفْعِ شَرِّهِ عَنْهُ، وَلْيُعْرِضْ عَنِ الْفِكْرِ فِي ذَلِكَ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْخَاطِرَ مِنْ وَسْوَاسَةِ الشَّيْطَانِ، وَهُوَ إِنَّمَا يَسْعَى بِالْفَسَادِ وَالْإِغْوَاءِ؛ فَلْيُعْرِضْ عَنِ الْإِصْغَاءِ إِلَى وَسْوَاسِيهِ، وَلْيَبَادِرْ إِلَى قَطْعِهَا بِالِاسْتِعَاذَةِ بِغَيْرِهَا)⁽³⁾.

وَيَقُولُ الْعَلَمَةُ ابْنُ الْقَيْمِ رحمته: «وَاعْلَمْ أَنَّ الْخَطَرَاتِ وَالْوَسَاوِسَ تُؤَدِّي مُتَعَلِّقَاتِهَا إِلَى الْفِكْرِ، فَيَأْخُذُهَا الْفِكْرُ، فَيُؤَدِّيهَا إِلَى التَّذَكُّرِ، فَيَأْخُذُهَا الذِّكْرُ، فَيُؤَدِّيهَا إِلَى

(1) «بدائع التفسير» لابن القيم (5/552-553).

(2) رواه البخاري (3276) - واللفظ له -، ومسلم (134).

(3) «شرح النووي على صحيح مسلم» (2/233).

الإرادة، فتأخذها الإرادة، فتؤدّيها إلى الجوارح والعمل، فتستحكّم فتصير عادةً، فردّها من مبادئها أسهل من قطعها بعد قوتها وتامها»⁽¹⁾.

أيها الناس، بعد أن تمكّن الوسوس في نفس صاحبها، فهو ما يُسمّى في عرف الأطباء بالوسواس القهري، فأصل الوسواس المُسمّى بالقهري من الشيطان، كما يقول علماءنا، فقد يكون الوسوس إليه مُصاباً بالمس، أو السحر، وقد يكون من إلقاء الشيطان على النفس، ولكن جهال الأطباء لا يُسلمون بدخول الجن في أبدان الإنس، والتأثير عليها، فمن قهريّة الجن للإنس أن يُكرّه له أباه أمه زوجته، ويكرّه له الاختلاط بالناس، يُرغمه على كسر النوافذ، وكل ما حوله، يُرغمه على قول ما لا يليق به، ومن رحمة الله بعباده أن رفع القلم عمّن هذا حاله، حتى يعقل ويعود إلى رشده.

ففي «سنن أبي داود» بسند صحيح، صححه الألباني في «الإرواء»⁽²⁾ من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي قال: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ».

أيها الناس، هناك أسباب يتوصّل من خلالها الشيطان الرجيم إلى الوسوسة وأذاة المسلمين، فمن تلك الأسباب ما يأتي:

السبب الأول - الغفلة عن ذكر الله:

أيها الناس، إن من أعظم أسباب وسوسة الشيطان هو الغفلة عن ذكر الله.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ

﴿ وَأَنْتُمْ لَصُدُورُهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ (الزخرف: 36-37).

(1) «الفوائد» لابن القيم (ص 269).

(2) «صحيح»: أخرجه أبو داود (4403)، وصححه الألباني في «الإرواء» (2/5-6).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته: «والشَّيْطَانُ وَسْوَاسُ خَنَاسٍ، إِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبَّهُ خَنَسَ، فَإِذَا غَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ وَسَّوَسَ؛ فَلِهَذَا كَانَ تَرْكُ ذِكْرِ اللَّهِ سَبَبًا وَمَبْدَأً لِنُزُولِ الْاِعْتِقَادِ الْبَاطِلِ، وَالْإِرَادَةِ الْفَاسِدَةِ فِي الْقَلْبِ، وَمِنْ ذِكْرِ اللَّهِ - تَعَالَى - تِلَاوَةُ كِتَابِهِ وَفَهْمُهُ»⁽¹⁾.

وقال - أيضًا - : «فَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يَمْنَعُهُمْ مِنَ الدُّخُولِ إِلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ مَا فِيهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، الَّذِي أَرْسَلَ بِهِ رُسُلَهُ، فَإِذَا خَلَا مِنْ ذَلِكَ، تَوَلَّاهُ الشَّيْطَانُ»⁽²⁾.

السَّبَبُ الثَّانِي - رُؤْيَةُ الْجِنِّ لَنَا، وَلَا تَرَاهُمْ غَالِبًا:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْ أَسْبَابِ إِذْيَاءِ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ لَنَا رُؤْيَتُهُمْ لَنَا مِنْ حَيْثُ لَا تَرَاهُمْ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ إِنَّهُمْ يَرْنَكُمْ هُوَ وَقَوْمُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ (الأعراف: 27).

فَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿ إِنَّهُمْ ﴾ عَائِدٌ عَلَى إِبْلِيسَ، وَمَعْنَى: ﴿ وَقَوْمُهُ ﴾ ذُرِّيَّتُهُ وَنَسْلُهُ.

السَّبَبُ الثَّلَاثُ - الْإِبْتِلَاءُ وَالْاِمْتِحَانُ:

أَيُّهَا النَّاسُ، اللَّهُ حِكْمَةٌ فِيهَا يُقَدَّرُهُ وَيَقْضِيهِ عَلَى عَبْدِهِ مِنْ تَسْلِيطِ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ، لِيَجْعَلَهُ مُنْطَرِحًا بَيْنَ يَدَيْهِ، لِأَنَّهُ بَجَنَابِهِ، وَهَذَا كَثِيرًا مَا يَحْضُلُ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَعِبَادِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ يَنْصُرْهُ ﴾

وَعَنَابِ ﴿١١﴾ أَرَاكُمْ بِحَيْثُ هَلَاكَ مُنْتَسِلًا بَارِدًا وَشَرَابًا ﴿١٢﴾ (ص: 41-42).

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) «مجموع الفتاوى» (4/34).

(2) المرجع السابق (10/399).

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ - التَّخْصِيصَاتُ الْإِيمَانِيَّةُ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ وَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ، وَالْآنَ سَأَذْكَرُ
شَيْئًا مِنَ التَّخْصِيصَاتِ الْإِيمَانِيَّةِ مِنَ الْوَسَاوِسِ الشَّيْطَانِيَّةِ، فَمِنْ تِلْكَ التَّخْصِيصَاتِ - أَيُّهَا
النَّاسُ - الْاسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَذَلِكَ فِي مَوَاطِنَ، مِنْهَا:

- عِنْدَ الْإِحْسَاسِ بِنَزْعَاتِ الشَّيْطَانِ وَوَسَاوِسِهِ، قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - :

﴿ وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَوِذْ بِاللَّهِ ﴾ (الأعراف: 200).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:
«يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟، مَنْ خَلَقَ كَذَا؟، حَتَّى يَقُولَ: مَنْ
خَلَقَ رَبَّكَ؟، فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلِيَّتِهِ».

قَالَ الْعَلَّامَةُ أَبُو عُوَيْمِينَ رضي الله عنه : «أَنَّ أَعْظَمَ دَوَاءٍ تُدَاوَى بِهِ الْوَسْوَسَةُ مَا أُرْشِدَ إِلَيْهِ
النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، وَهِيَ الْاسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَالْإِنْتِهَاءُ عَنْهَا، وَالْإِعْرَاضُ
عَنْهَا، مَعَ قِرَاءَةِ الْآيَاتِ الَّتِي فِيهَا الْإِشَارَةُ إِلَى ذَلِكَ، مِثْلَ: سُورَةِ الْفَلَقِ، وَسُورَةِ النَّاسِ»⁽²⁾.

- وَعِنْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَوِذْ بِاللَّهِ

مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (النحل: 98).

(1) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3276) - وَاللَّفْظُ لَهُ -، وَمُسْلِمٌ (134).

(2) عَنْ كِتَابِ «الْوَسْوَسَةِ وَأَحْكَامِهَا» (ص 417).

- عِنْدَ دُخُولِ الْحَلَاءِ، فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْحَلَاءَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ». قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْخُبْثُ: جَمْعُ خَبِيثٍ، وَالْخَبَائِثُ: جَمْعُ خَبِيثَةٍ، يُرِيدُ: ذِكْرَانَ الشَّيَاطِينِ وَإِنَاثَهُمْ»⁽²⁾.

- فِي الصَّلَاةِ، فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الشَّيْطَانَ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي، يَلْبِسُهَا عَلَيَّ: فَقَالَ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ، يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ، فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ، وَاتَّقِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا». قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ؛ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي.

وَمِنَ التَّحْصِينَاتِ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ - أَيُّهَا النَّاسُ - لُزُومُ الْأَذْكَارِ الشَّرْعِيَّةِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ (البقرة: 152).

وَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ»، وَ«سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ يَأْمُرَ بِنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ... وَأَمَرَكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - كَثِيرًا، وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ مُسْرِعًا فِي أَثَرِهِ، فَأَتَى حِصْنًا حَصِينًا، فَتَحَصَّنَ فِيهِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ».

(1) رواه البخاري (142)، ومسلم (375).

(2) «الفتح» (1/243).

(3) رواه مسلم (2203).

(4) «صحيح»: أخرجه أحمد (4/130) - واللفظ له -، والتِّرْمِذِيُّ (3035)، وصحَّحه الألباني في

«المشكاة» (3694)، و«صحيح التِّرْمِذِيِّ» (2298).

وَمِنَ التَّخْصِيصَاتِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْمُحَافَظَةُ عَلَى قِرَاءَةِ آيَةِ الْكُرْسِيِّ، فَقَدْ عَلِمَ الْجِنُّ وَالشَّيَاطِينُ عَظَمَةَ هَذِهِ الْآيَةِ.

ففي «صحيح البخاري»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ، فَجَعَلَ يَخْتُو مِنِ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ: لِأَزْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (فذكر الحديث) فقال: دَعْنِي أَعَلَّمَكِ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا. قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قال: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: 255)، حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ؛ فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظًا، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، ذَاكَ شَيْطَانٌ».

وَمِنَ التَّخْصِيصَاتِ الشَّرْعِيَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - قِرَاءَةُ الْمُعَوِّذَتَيْنِ: الْفَلَقِ، وَالنَّاسِ؛ فَمَا تَعَوَّذَ الْمُتَعَوِّذُونَ بِمِثْلِهِمَا.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ من حديث عُبَيْدَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتِ أَنْزَلَتْ اللَّيْلَةَ، لَمْ يَرِ مِثْلُهُنَّ قَطُّ؟» ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (الفلق: 1)، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (الناس: 1)».

وَجَاءَ مِنْ طَرِيقٍ عَنِ عُبَيْدَةَ بَلْفَظٍ: «مَا سَأَلَ سَائِلٌ، وَلَا اسْتَعَاذَ مُسْتَعِيدٌ بِمِثْلِهِنَّ». أَيُّهَا النَّاسُ، قَبْلَ أَنْ أُودَعَ مَقَامِي هَذَا أَذَكَّرُكُمْ بِطَرِيقَةٍ هِيَ مِنْ أَعْظَمِ الطَّرِيقِ لِلخَّلَاصِ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ، أَلَا وَهِيَ مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ.

(1) رواه البخاري (2311).

(2) رواه مسلم (814).

وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - يَقُولُ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُتَعِينِينَ﴾ (العنكبوت: 69).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَجَاهِدُوا فِي أَلْوَحَىٰ جِهَادِي﴾ (الحج: 78).

وفي «مسند الإمام أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيح»⁽¹⁾ من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله».

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» بسند صحيح، صححه الألباني في «الصحيح»⁽²⁾ من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الجهاد أن مجاهد نفسك في ذات الله - عز وجل -».

وقال العلامة ابن القيم في كتابه «الفوائد» عند قوله - تعالى - : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: 69): «علق الله - سُبْحَانَهُ - الهداية بالجهاد؛ فأكمل الناس هداية أعظمهم جهادًا، وأفرض الجهاد جهاد النفس، وجهاد الهدى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا، فمن جاهد هذه الأربعة في الله، هداه الله سُبُل رِضَاهُ الْمُوصَلَةَ إِلَىٰ جَنَّتِهِ، وَمَنْ تَرَكَ الْجِهَادَ، فَاتَهُ مِنَ الْهُدَىٰ بِحَسَبِ مَا عَطَّلَ مِنَ الْجِهَادِ»⁽³⁾.

اللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا رُشْدَنَا، وَوَقِّفْنَا لِكُلِّ خَيْرٍ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ أَنْفُسِنَا، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَهٖ، اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَىٰ ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.

(1) «صحيح»: أخرجه أحمد (21/6)، و صححه الألباني في «الصحيح» (549).

(2) «صحيح»: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (2/249)، و صححه الألباني في «الصحيح» (1496).

(3) «الفوائد» (ص 177).

شُكْرُ النِّعَمِ

22

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا

اللَّهِ الَّذِي قَسَمَ لَكُمْ بِيَوْمِ الدَّارِ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أما بعد، فإنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد، حديثي معكم - أيها الناس - عن شكر النعم.

أيها الناس، إنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - أَمَرَنَا بِشُكْرِهِ عِنْدَمَا قَالَ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ

وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٣١﴾﴾ (البقرة: 152).

وقال - سُبْحَانَهُ، -: ﴿فَكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَاشْكُرُوا لِي إِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ إِنَّكُمْ لَهُمْ كَانْتُمْ

إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ (النحل: 114).

وقال - سُبْحَانَهُ، -: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾

(العنكبوت: 17).

ورثب - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - الزِّيَادَةُ مِنَ الْحَيْرِ لِمَنْ شَكَرَ، وَوَعَدَ بِذَلِكَ عِبَادَهُ بِقَوْلِهِ:
﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (إبراهيم: 7).

وأشار - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - إلى ما يُذَكَّرُ بِالشُّكْرِ وَالشَّانِ مِنَ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ بِقَوْلِهِ: ﴿ وَإِذْ
أَنفَسِكُمْ أَفْلَا تُحْشَرُونَ ﴾ (الذاريات: 21).

أيها الناس، إِنَّا لَو نَظَرْنَا فِي عَالَمِ هَذَا الْإِنْسَانِ الْمُكْرَمِ، وَمَا وَهَبَهُ خَالِقُهُ وَمَيَّزَهُ بِهِ
عَنْ سَائِرِ الْخَلْقِ، وَخَصَّهُ بِكَثِيرٍ مِنْ آيَاتِهِ الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى - لَوَجَدْنَا نِعْمًا عَظِيمَةً
لَا يُحَاطُ بِهَا، وَصَدَقَ رَبُّنَا الْقَائِلُ: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
(النحل: 18).

وقال الله - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿ وَسَخَّرْنَا لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرْنَا لَكُمْ اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ ﴾ (٣٣) وَآتَيْنَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَقَلِيلٌ
كَفَّارٌ ﴾ (إبراهيم: 33-34).

وقال - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمِمَّا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ
عَلَيْكُمْ نِعْمَتَهُ ظَهْرَ نَهْرٍ وَبَاطِنَهُ ﴾ (لقمان: 20).

أيها الناس، أَذَكَّرُكُمْ بِبَعْضِ نِعَمِ اللَّهِ مِنْ بَابِ الذِّكْرِ؛ امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ الْقَائِلِ:
﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الذاريات: 55).

أيها الناس، نِعَمُ اللَّهِ عَلَيْنَا لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، فَمِنْهَا:
أَوَّلًا - نِعْمَةُ الْإِسْلَامِ:

وَنِعْمَةُ الْإِسْلَامِ - أَيُّهَا النَّاسُ - هِيَ أَجَلُ النِّعَمِ وَأَعْظَمُهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ، إِنَّهَا نِعْمَةٌ
وَأَيُّ نِعْمَةٍ؟!.

﴿ قُلْ يُفَضِّلُ اللَّهُ وَرَحْمَتَهُ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (يونس: 58).

إِنَّهَا أَوْلُ النِّعَمِ وَخَائِمَتُهَا، لَا تُضَاهِيهَا نِعْمَةٌ.

ففي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ لِعُمَرَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ أَنَّ عَلَيْنَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: 3)، - لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا. فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي لَأَعْلَمُ أَيَّ يَوْمٍ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، نَزَلَتْ يَوْمَ عَرَفَةَ، فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ».

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «فالنَّعْمَةُ الْمُطْلَقَةُ هِيَ الْمُتَّصِلَةُ بِسَعَادَةِ الْأَبَدِ، وَهِيَ نِعْمَةُ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ»⁽²⁾.

ثانیا - نِعْمَةُ الْإِيمَانِ:

وَنِعْمَةُ الْإِيمَانِ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَأْتِي فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ وَسِطَةُ الْعِقْدِ⁽³⁾، نِعْمَتَانِ عَظِيمَتَانِ مَنْ نَالَهُمَا نَالَ الْحَيْرَةَ كُلَّهُ، عَاجِلُهُ وَآجِلُهُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٧٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٧٨﴾﴾ (الكهف: 107-108).

ثالثًا - نِعْمَةُ الْأَمْنِ:

وَالْأَمْنُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ طُمَأْنِينَةُ النَّفْسِ، وَزَوَالُ الْخَوْفِ، وَهُوَ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ، يَمْتَنُّ بِهَا عَلَى عِبَادِهِ، حَيْثُ يَشْعُرُ فِيهَا الْإِنْسَانُ بِلَذَّةِ الدُّنْيَا وَالنِّعَمِ الَّتِي فِيهَا؛ لِأَنَّ الْخَائِفَ لَا يَذُوقُ طَعْمَ النِّعْمَةِ: لَا فِي مَالٍ، وَلَا فِي صِحَّةٍ، وَلَا فِي غَيْرِ ذَلِكَ؛ لِذَا كَانَ الْأَمْنُ نِعْمَةً عَظِيمَةً، وَالْخَوْفُ بَلَاءً عَظِيمًا.

(1) رواه البخاري (7268)، ومسلم (3017).

(2) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص 3).

(3) واسطة العقد: الجوهرة الفاخرة التي تُجَمَلُ وَسَطُهُ.

فهذا إبراهيم الخليل - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - لما شعر بقيمة الأمان، دعا ربه أن يجعل البلد الذي ترك فيه ابنة إسماعيل وزوجه هاجر - أمنا مطمئنا. قال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾ (البقرة: 126).

فاستجاب الله - سبحانه، وتعالى - دعوة إبراهيم، ولهذا امتنَّ الله - سبحانه، وتعالى - على قريش بهذه النعمة.

قال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿ أَرَأَيْتُمْ بَرَأْنَا مَا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُكَلِّفُ النَّاسَ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ (العنكبوت: 67).

وقال الله - سبحانه، وتعالى - : ﴿ لِإِبْرَاهِيمَ قُرَيْشٍ ① ﴾ (البقرة: 126) ﴿ قُرَيْشٍ ② ﴾ (البقرة: 126) ﴿ قُرَيْشٍ ③ ﴾ (البقرة: 126) ﴿ قُرَيْشٍ ④ ﴾ (البقرة: 126) ﴿ قُرَيْشٍ ⑤ ﴾ (البقرة: 126) ﴿ قُرَيْشٍ ⑥ ﴾ (البقرة: 126) ﴿ قُرَيْشٍ ⑦ ﴾ (البقرة: 126) ﴿ قُرَيْشٍ ⑧ ﴾ (البقرة: 126) ﴿ قُرَيْشٍ ⑨ ﴾ (البقرة: 126) ﴿ قُرَيْشٍ ⑩ ﴾ (البقرة: 126).

قال ابن سعد في حقه: «فرغ العيش والأمن من المخاوف من أكبر النعم الدنيوية، الموجبة لشكر الله - تعالى -» (1).

وكذلك نجد أن الله - سبحانه، وتعالى - امتنَّ على سبب بنعمة الأمان، فكانوا يسيرون بين قراهم ليالي وأياما آمينين.

قال - تعالى - : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيْرًا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ ⑪ ﴾ (سبا: 18).

وذكر الله - سبحانه، وتعالى - عن أصحاب الحجر أنهم كانوا يعيشون في أمن وأمان.

قال - تعالى - : ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ ⑫ ﴾ (الحجر: 80-82).

⑫ ﴿ وَكَانُوا يَنْجُونَ مِنَ الْجِبَالِ الَّتِي نُوتُوا مِنْهَا آمِنِينَ ⑬ ﴾ (الحجر: 80-82).

(1) «تفسير ابن سعد» (ص 935).

أيها الناس، علينا أن نحافظ على نعم الله بالإيمان به، والاستقامة على شريعته، والاهتداء بهدي نبيه ﷺ، كما علينا أن نحافظ على نعمة الأمن، قبل أن تُترَع مِنَّا، ولات حين مناصي، فإن قريشاً لما كفروا بالله - سُبْحَنَهُ - ، وكذبوا نبية ﷺ أبدهم الله بسبب كفرهم بذلك الأمن خوفاً.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَكَرِهَ اللَّهُ مُقَالَفَةً قَرِيْبَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً بِأَيِّهَا رِزْقُهَا رَحْمَةً مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْمِ اللَّهِ فَلَا لَهَا إِلَهَ إِلَّا مَا الْجِبْعُ وَالْعَرَبُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ (النحل: 112).

وكذلك قوم سبأ، فلما عرضوا عن المنعم، وعن عبادته، وبطروا النعمة وقلوها - جزاهم الله بكفرهم جزاء وفاقاً، فهل من مُعتبرٍ؟.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ فَأَقْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْمَرْمِ وَدَلَّاهُمْ بِسِنِّيهِمْ جَنَّتِينَ ذَلِكَ أَكْثَلُ حَطَبٍ وَأَقْلَى وَتَوَعُّبٍ مِّنْ مِّسْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ مَا كَفَرُوا وَهَلْ جَزَاءُ الْكَافِرِ إِلَّا الْكُفْرُ ﴾ (سبأ: 16-17).

رابعاً - نعمة الصِّحَّةِ والفِراغِ:

ومن نعم الله العظيمة علينا - أيها الناس - نعمة الصِّحَّةِ والفِراغِ، يقول الرسول ﷺ (كما في «صحيح البخاري»⁽¹⁾) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «نِعْمَتَانِ مَغْبُورٌ⁽²⁾ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالْفِرَاقُ».

(1) رواه البخاري (6412).

(2) العَبْرُ - بالسكون - : الوُكُوفُ فِي الْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ، وَالْعَبْرُ - بِالضَّرْبِ - : ضَعْفُ الرَّأْيِ، فَيُصَحُّ كُلُّ مَنَّهُمَا هُنَا، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَسْتَعْمِلْ صِحَّتَهُ وَفِرَاقَهُ فِيمَا يَنْبَغِي فَقَدْ غَيَّبَ لِكُونِهِ بَاعَهُمَا بِخَسْ، وَلَمْ يُحْمَدْ رَأْيُهُ فِي ذَلِكَ.

قال ابن بطال رحمته: «مَعْنَى الْحَدِيثِ: أَنْ الْمَرْءَ لَا يَكُونُ فَارِعًا حَتَّى يَكُونَ مَكْفِيًا صَاحِحَ الْبَدَنِ، فَمَنْ حَصَلَ لَهُ ذَلِكَ، فَلْيَحْرِضْ عَلَى الْأَيْغَبِ بَأَنْ يَتْرُكَ شُكْرَ اللَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ، وَمِنْ شُكْرِهِ امْتِثَالُ أَوْامِرِهِ، وَاجْتِنَابُ نَوَاهِيهِ، فَمَنْ قَرَطَ فِي ذَلِكَ فَهُوَ الْمَغْبُونُ، وَأَشَارَ بِقَوْلِهِ: «كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ» إِلَى أَنَّ الَّذِي يُوقَفُ إِلَى ذَلِكَ قَلِيلٌ».

وقال ابن الجوزي رحمته: «قَدْ يَكُونُ الْإِنْسَانُ صَاحِحًا، وَلَا يَكُونُ مُتَفَرِّغًا لِشُغْلِهِ بِالْمَعَاشِ، وَقَدْ يَكُونُ مُسْتَعْنِيًا، وَلَا يَكُونُ صَاحِحًا، فَإِذَا اجْتَمَعَا فَغَلَبَ عَلَيْهِ الْكَسَلُ عَنِ الطَّاعَةِ فَهُوَ الْمَغْبُونُ، وَتَمَامُ ذَلِكَ أَنَّ الدُّنْيَا مَرْزَعَةُ الْآخِرَةِ، وَفِيهَا التَّجَارَةُ الَّتِي يَظْهَرُ رِبْحُهَا فِي الْآخِرَةِ، فَمَنْ اسْتَعْمَلَ فِرَاعَهُ وَصَحَّتْهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ فَهُوَ الْمَغْبُوطُ، وَمَنْ اسْتَعْمَلَهَا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَهُوَ الْمَغْبُونُ؛ لِأَنَّ الْفِرَاعَ يَعْقُبُهُ الشُّغْلُ، وَالصَّحَّةَ يَعْقُبُهَا السَّقَمُ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْهَرَمُ»⁽¹⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ، هَا هُوَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْتُنَّا عَلَى اغْتِنَامِ الصَّحَّةِ وَالْفِرَاعِ، قَبْلَ أَنْ يُدَاهِمَنَا أَسْقَامٌ وَأَشْغَالٌ، أَوْ يَنْزِلَ بِنَا مَا لَا بُدَّ مِنْهُ.

فَقَدْ أَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرِكِهِ» بِسَنَدٍ صَاحِحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: حَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ، وَصِحَّتِكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَفِرَاعَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَشِبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ».

وَهَا هُوَ - أَيْضًا - يَحْتُنَّا عَلَى اسْتِغْلَالِ أَعْمَارِنَا، وَأَجْسَامِنَا، وَعِلْمِنَا، وَمَالِنَا - فِيهَا يَنْفَعُنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(1) «فتح الباري» (4 / 13).

(2) «صحيح»؛ أخرجه الحاكم في «المستدرک» (4 / 306)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (1077).

ففي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بسندٍ صحيحٍ، صحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ من حديث أبي بَرزَةَ الأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تزولُ قدما عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يُسألَ عنِ عُمرِهِ فيمَ أفنَّاهُ، وعنِ عِلْمِهِ ما فعلَ فيه، وعنِ مالِهِ منَ أينَ اكتسَبَهُ وفيمَ أنفقَهُ، وعنِ جِسْمِهِ فيما أبْلَاهُ».

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ،

إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية - أهمية الشكر:

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ، حمداً يليقُ بجلالِ وجهِهِ، وعظيمِ سُلْطانهِ، أَحْمَدُهُ - سُبْحانَهُ، وتعالى - على آلائِهِ، وأشكرُهُ على جَزِيلِ مَنِّهِ وَعَطائِهِ، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على نبيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي بَلَغَ الرِّسالةَ، وأدَّى الأمانةَ، ونصحَ الأُمَّةَ، وجاهدَ في اللهِ حتَّى جهادِهِ. حتَّى تركنا على المحجَّةِ البِيضاءِ ليلُها كنهاريها، لا يزيغُ عنها إلا هالكٌ.

أما بعدُ - أيُّها النَّاسُ - تقدِّمُ الحديثُ مَعَكُمْ عنِ شُكْرِ النِّعمِ، والآنَ حديثي مَعَكُمْ عنِ أَهمِّيَّةِ الشُّكْرِ.

أيُّها النَّاسُ، الشُّكْرُ هُوَ أوَّلُ وصِيَّةِ اللهِ لِلإنسانِ بَعْدَ ما عَقَلَ عَنْهُ، فأمره بالشُّكْرِ لَهُ وللوالدينِ، فقال: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهنا عَنَ وَهنا وَفَصَلِّ لِرَبِّكُمَا مِنْ حَمْدٍ إِنَّ الشُّكْرَ لِي وَوَالِدَيْكَ إِلى الصَّيْرِ ﴿١١﴾﴾ (لقمان: 14).

(1) «صحيح»: أخرجه التِّرْمِذِيُّ (2417)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (7300).

وأخبر - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - بِأَنَّ رِضَاهُ فِي شُكْرِهِ: ﴿وَأَنْ تَشْكُرُوا رِزْقَهُ لَكُمْ﴾ (الزمر: 7).

وجعل الشُّكْرَ غايةً للعباد، فقال - سُبْحَنَهُ، -: ﴿لَمَّا كُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: 52).

وأمرنا بالشُّكْرِ لإثباتِ العبوديةِ له، فقال - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ

كُنْتُمْ إِيَّاهُ مَسْبُوتِينَ﴾ (البقرة: 172).

وَمَدَحَ عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ نُوحًا - عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِينَا - الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ

كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (الإسراء: 3).

وَأَتْنَى عَلَى خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِينَا - الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ يَكُّ مِنْ

الْمُشْرِكِينَ﴾ (الشُّكْرُ لَا تَقْمِيهِ﴾ (النحل: 120-121).

وَقَالَ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - حَاكِيًا عَنِ نَبِيِّهِ سُلَيْمَانَ - عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِينَا - الصَّلَاةُ

وَالسَّلَامُ - : ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَسْلَمَ سَلِيمًا تَرْضَاهُ

وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ (النمل: 19).

وَقَالَ - سُبْحَنَهُ، - عَنِ آلِ دَاوُدَ: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾

(سبأ: 13).

وَأَمْتَنَّ اللَّهُ عَلَى الشَّاكِرِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ (الأنعام: 53).

وَقَالَ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: 145).

وَيَبِّنُ أَنَّ الزِّيَادَةَ فِي الْإِيمَانِ وَالنَّعْمِ مُرْتَبِطَةٌ بِالشُّكْرِ: ﴿لَهُنَّ شُكْرُهُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾

(إبراهيم: 7).

وَأخْبَرَ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - أَنَّ الْكُفْرَ ضِدُّ الشُّكْرِ، فَحَذَّرَ مِنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَالَّذِينَ لَا يُذَكِّرْكُمْ

وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾ (البقرة: 152).

وَيِنَّ أَنَّهُ لَا يُعَذَّبُ الشَّاكِرِينَ الْمُؤْمِنِينَ، حَيْثُ قَالَ: ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ (النساء: 147).

وجعل الله النَّاسَ قِسْمَيْنِ، لا ثالثَ لهما: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (الإنسان: 3).

وذمَّ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - الْكَنُودَ الَّذِي لَا يَشْكُرُ النِّعَمَ، فقال - سُبْحَانَهُ -: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ (العاديات: 6).

وَالْكَنُودُ - أَيُّهَا النَّاسُ - كَمَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رحمته: «هُوَ الَّذِي يُعَدُّو الْمَصَائِبَ، وَيُنْسِي النِّعَمَ»⁽¹⁾.

وَيَكْفِي فِي أَهْمِيَّةِ الشُّكْرِ، وَعَظِيمِ شَأْنِهِ أَنَّهُ مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ - جَلَّ شَأْنُهُ - الشُّكُورُ، قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ (النساء: 147).

وَأَهْمِيَّةِ الشُّكْرِ، وَعَظِيمِ مَنْزِلَتِهِ حَرَّصَ إِبْلِيسُ - لَعْنَهُ اللهُ - عَلَى قَطْعِ النَّاسِ عَنْهُ، كَمَا أَخْبَرَ اللهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَنْهُ: ﴿ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ (الأعراف: 17).

أَيُّهَا النَّاسُ، قَبْلَ أَنْ أودِعَ مَقَامِي هَذَا، أَذْكُرْكُمْ بِقَوْلِ اللهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -: ﴿ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (لقمان: 12).

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا قَلْبًا شَاكِرًا، وَبَدَنًا صَابِرًا، وَلِسَانًا ذَاكِرًا، إِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

(1) «عُدَّة الصَّابِرِينَ» لابنِ الْقَيْمِ (ص 124).

حُسْنُ الخَاتِمَةِ (*)

23

الخطبة الأولى :

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْهَا كَثِيرًا وَمِنْهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَقْتُلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَحَدِيثِي مَعَكُمْ اليَوْمَ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَن حُسْنِ الخَاتِمَةِ.

وَحُسْنُ الخَاتِمَةِ هُوَ: أَنْ يُوقَفَ العَبْدُ قَبْلَ مَوْتِهِ لِلإِبْتِعَادِ عَمَّا يُغَضِبُ اللهُ

- سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى -، وَالتَّوْبَةُ مِنَ الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِي، وَالإِقْبَالُ عَلَى الطَّاعَةِ وَأَعْمَالِ الحَيْرِ،

ثُمَّ يَكُونُ مَوْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى هَذِهِ الحَالِ الحَسَنَةِ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى هَذَا المَعْنَى مَا جَاءَ فِي

«سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الألبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ

(*) انظر «أحكام الجنائز» للألباني، و«علامات حُسن الخاتمة وسوء الخاتمة» للشَّانِعِ.

(1) «صحيح»: أخرجه التِّرْمِذِيُّ (2142)، وصحَّحَهُ الألبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ» (1741).

أنس بن مالك رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بَعْدَ خَيْرٍ اسْتَعْمَلَهُ». فقيل: كَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: «يُؤَقِّفُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ». أيها النَّاسُ، إِنَّ لِحُسْنِ الخاتمةِ علاماتٍ: منها ما يَعْرِفُهُ العَبْدُ الْمُحْتَضِرُ عِنْدَ احتضارِهِ، ومنها ما يَظْهَرُ لِلنَّاسِ.

أما العلاماتُ التي تَظْهَرُ للعَبْدِ مِنْ حُسْنِ الخاتمةِ فهي:

ما يُبَشِّرُ به عِنْدَ مَوْتِهِ مِنْ رِضاِ اللَّهِ - تعالى - ، واستحقاقِ كرامتِهِ تَفْضُلاً مِنْهُ. قال - سُبْحانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت: 30).

قال ابن سَعْدِي رضي عنه: «﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ أي: اعترفوا ونطقوا، ورضوا برُبُوبِيَّةِ اللَّهِ - تعالى - ، واستسلموا لأَمْرِهِ، ثُمَّ اسْتَقَمُوا عَلَى الصُّراطِ المُسْتَقِيمِ عِلْماً وَعَمَلًا، فَلَهُمُ البُشْرَى فِي الحِياةِ الدُّنيا وَفِي الآخِرَةِ، ﴿اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ الكرام، أي: يَتَكَرَّرُ نُزُولُهُمْ عَلَيْهِمْ مُبَشِّرِينَ لَهُمْ عِنْدَ الاحتضارِ، ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾ على ما يُسْتَقْبَلُ مِنْ أَمْرِكُمْ، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما مَضَى، فَفَنِّوا عَنْهُمْ المَكْرُوهَ الماضِي وَالمُسْتَقْبَلِ، ﴿وَأَبشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فَإِنَّهَا قَدْ وَجِبَتْ لَكُمْ وَبَيَّنَّتْ، وَكانَ وَعْدُ اللَّهِ مَفْعُولًا»⁽¹⁾.

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عائِشَةَ رضي عنها قالَتْ: قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ». فقُلْتُ: يا نَبِيَّ اللَّهِ، أَكْرَاهِيَةُ المَوْتِ؟ فَكُنَّا نَكْرَهُ المَوْتَ. فقال: «لَيْسَ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ

(1) «تفسير السَّعْدِيِّ» (ص 748).

(2) رواه البخاري (6507)، ومسلم (2684)، وَاللَّفْظُ لَهُ.

بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ، أَحَبُّ لِقَاءِ اللَّهِ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ».

قال النووي رحمته: «مَعْنَى الْحَدِيثِ: أَنَّ الْكَرَاهَةَ الْمُعْتَبَرَةَ هِيَ الَّتِي تَكُونُ عِنْدَ التَّرَعِّعِ فِي حَالَةٍ لَا تَقْبَلُ تَوْبَتَهُ وَلَا غَيْرَهَا، فَحِينَئِذٍ يُبَشِّرُ كُلُّ إِنْسَانٍ بِمَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ، وَمَا أُعِدَّ لَهُ وَيُكْشَفُ لَهُ عَنْ ذَلِكَ»⁽¹⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ، تِلْكَ مَا يَعْرِفُهُ الْعَبْدُ الْمُخْتَصِرُ عِنْدَ احْتِضَارِهِ مِنْ عِلَامَاتِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ. وَأَمَّا عِلَامَاتُ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ الَّتِي تَظْهَرُ لِلنَّاسِ فِيهَا كَثِيرَةٌ، وَنَحْنُ نُورِدُ بَعْضًا مِنْهَا: - فَمِنْ عِلَامَاتِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ النُّطْقُ بِالشَّهَادَةِ عِنْدَ الْمَوْتِ.

ففي «مُسْتَدْرَكِ الْحَاكِمِ» بِسَنَدٍ حَسَنِ، حَسَنَةُ الْأَلْبَانِيِّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رحمته قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

- وَمِنْ عِلَامَاتِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْمَوْتُ بِرِشْحِ الْجَبِينِ (أَيُّ: يَكُونُ عَلَى جَبِينِهِ عَرَقٌ عِنْدَ الْمَوْتِ).

ففي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ»، وَ«سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «أَحْكَامِ الْجَنَائِزِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ رحمته قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَوْتُ الْمُؤْمِنِ بِعَرَقِ الْجَبِينِ».

(1) «شرح النووي على صحيح مسلم» (تحت حديث 2683).

(2) «حسن»: أخرجه أحمد (5/229)، وحسنه الألباني في «الصحيح» (2278).

(3) «صحيح»: أخرجه أحمد (3575)، والتِّرْمِذِيُّ (2/128)، وصححه الألباني في «أحكام الجنائز».

- وَمِنْ عِلَامَاتِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ الْمَوْتُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، أَوْ نَهَارِهَا.

ففي «مسند أحمد» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح الجامع»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، إِلَّا وَقَاهُ اللَّهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ».

- وَمِنْ عِلَامَاتِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْاسْتِشْهَادُ فِي سَاحَةِ الْقِتَالِ، أَوْ مَوْتُهُ بِمَرَضِ الطَّاعُونِ، أَوْ بَدَاءِ الْبَطْنِ: كَالِاسْتِسْقَاءِ وَنَحْوِهِ، أَوْ مَوْتُهُ غَرَقًا.

ففي «صحيح مسلم»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ. قَالَ: «إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي - إِذَا - لَقِيلُ». قَالُوا: فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟. قَالَ: «مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ».

- وَمِنْ عِلَامَاتِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ الْمَوْتُ بِسَبَبِ الْهَدْمِ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمَطْعُونُ، وَالْمَبْطُونُ، وَالْغَرِيقُ، وَصَاحِبُ الْهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

- وَمِنْ عِلَامَاتِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ - وَهُوَ خَاصٌّ بِالنِّسَاءِ - مَوْتُ الْمَرْأَةِ فِي نِفَاسِهَا بِسَبَبِ وُلْدِهَا، أَوْ هِيَ حَامِلٌ بِهِ.

(1) «حسن»: أخرجه أحمد (6582)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (5773).

(2) رواه مسلم (1915).

(3) رواه البخاري (2829)، ومسلم (1914).

ففي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «أحكام الجنائز»⁽¹⁾ من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد عبد الله بن رَوَاحَةَ، قال: فما تحوزَ له عن فراشه، فقال: «أتدري من شهداء أمتي؟». قالوا: قتل المسلم شهادة. قال: «إن شهداء أمتي - إذا - لقليل، قتل المسلم شهادة، والطاعون شهادة، والمرأة يقتلها ولدها جمعاء شهادة (يجزها ولدها بسريره إلى الجنة)». يعني: بحبل المشيمة الذي يقطع عنه.

- ومن علامة حسن الخاتمة الموت بالحرق، وذات الجنب، وذات الجنب: هو ورم حار في الغشاء المستبطن للأضلاع.

ففي «مسند أحمد»، و«سنن أبي داود» بسند صحيح، صححه الألباني في «أحكام الجنائز»⁽²⁾ من حديث جابر بن عتيك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الشهداء سبعة سوى القتل في سبيل الله: المطعون شهيد، والغرق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبتون شهيد، وصاحب الحريق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيدة».

- ومن علامات حسن الخاتمة - أيها الناس - الموت في سبيل الدفاع عن الدين والنفس.

ففي «سنن أبي داود» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح أبي داود»⁽³⁾ من حديث سعيد بن زيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد».

(1) «صحيح»: أخرجه أحمد (4/201)، وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» (ص 53).

(2) «صحيح»: أخرجه أحمد (4465)، وأبو داود (3111) وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» (ص 55).

(3) «صحيح»: أخرجه أبو داود (4772)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (3993).

- وَمِنْ عِلَامَاتِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ الْمَوْتُ رِبَاطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

في «صحيح مسلم»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأَجْرِي عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفِتَانَ».

- وَمِنْ عِلَامَاتِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْمَوْتُ عَلَى عَمَلٍ صَالِحٍ.

ففي «مسند أحمد» بسند صحيح مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ابْتِغَاءً وَجْهِ اللَّهِ، خُتِمَ لَهُ بِهَا - دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءً وَجْهِ اللَّهِ، خُتِمَ لَهُ بِهَا - دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءً وَجْهِ اللَّهِ، خُتِمَ لَهُ بِهَا - دَخَلَ الْجَنَّةَ»⁽²⁾.

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) رواه مسلم (1913).

(2) «صحيح»: أخرجه أحمد (391/5).

الخطبة الثانية - سوء الخاتمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد - أيها الناس - تقدّم الحديث معكم عن حسن الخاتمة، والآن حديثي معكم عن سوء الخاتمة.

أيها الناس، الخاتمة السيئة تكون بسبب دسيّة باطنة للعبد، لا يطلع عليها الناس، إمّا من جهة عمل سيئ ونحو ذلك، فتلك الخصلة الحفيّة تُوجب سوء الخاتمة عند الموت، وكذلك قد يعمل الرجل عمل أهل النار وفي باطنه خصلة خفية من خصال الخير، فتغلب عليه تلك الخصلة في آخر عمره فتوجب له حسن الخاتمة كما قال الحافظ ابن رجب رحمته (1).

لهذا جاء في «صحيح البخاري» (2) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالخواتيم».

وفي «صحيح مسلم» (3) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَانَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَانَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

أيها الناس، الخواتيم ميراث السوابق، وكلُّ ذلك سبق في الكتاب السابق كما قال ابن رجب رحمته فعليّنا أن نتقي الذنوب فإنها وراء كل خاتمة سيئة.

(1) «جامع العلوم والحكم» (1/172 - 173).

(2) رواه البخاري (6493)، (6607).

(3) رواه مسلم (339)، (392).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «إن الذنوب والمعاصي والشهوات تغذّل صاحبها عند الموت، مع خذلان الشيطان له، فيجتمع عليه الخذلان مع ضعف الإيمان، فيقع في سوء الخاتمة».

فالك الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ خَدُولًا ﴾ (الفرقان: 29).

- ومن علامات سوء الخاتمة - أيها الناس - الشك والجحود الذي تُسببه البدعة كمن يعتقد في ذات الله، أو صفاته أو أفعاله خلاف الحق إمامًا تقليدًا، أو برأيه الفاسد. لهذا يجب الابتعاد عن أصحاب الشبهات والشهوات وأخذ العقيدة الصحيحة عن أهلها ومن كتب أهل العلم المعتبرة كـ «الطحاوية» لأبي جعفر الطحاوي و«الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية. وكتاب التوحيد للنجدي مع شروحه وأحسن شرح له «فتح المجيد» و«القول المفيد».

مع الابتعاد عن أهل البدع والزيف والفرق الهالكة.

- ومن علامات سوء الخاتمة التسويف بالتوبة.

فيجب التوبة من جميع الذنوب فلنسنا أعز على الله من رسول الله ﷺ وقد كان يتوب إلى الله في اليوم مائة مرة وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث الأغر المزني رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس توبوا إلى الله فإنّي أتوب في اليوم إليه مائة مرة».

- ومن علامات سوء الخاتمة طول الأمل؛ لأنه يدعو لترك العمل والنبي ﷺ يغثنا على المبادرة إلى الأعمال الصالحات.

(1) رواه مسلم (2702).

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُضِيحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُؤْمِسِي كَافِرًا،
وَيُؤْمِسِي مُؤْمِنًا، وَيُضِيحُ كَافِرًا يَبِيعُ أَحَدُهُمْ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ».

- وَمِنْ أَسْبَابِ سُوءِ الْحَاثِمَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - حُبُّ الْمَعْصِيَةِ وَالْفَهْمُ وَاعْتِيَادُهَا فَمَنْ
اعْتَادَ ذَلِكَ فَالْحَاثِمَةُ السَّيِّئَةُ مِنْهُ قَرِيبٌ إِنْ لَمْ يَنْزِعْ وَيُدْرِكُهُ اللَّهُ قَبْلَ مَوْتِهِ.

وَيَا اللَّهُ كَمْ هِيَ الشَّوَاهِدُ الْيَوْمِيَّةُ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْحَاثِمَةِ السَّيِّئَةِ لِمَنْ أَدَمَّنُوا الْمَعَاصِي
وَقَدْ ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ ابْنُ الْقَيْمِ رحمته فِي «الْجَوَابِ الْكَافِي» وَمِمَّا قَالَهُ إِنَّ أَحَدَ النَّاسِ قِيلَ
لَهُ وَهُوَ فِي سِيَاقِ الْمَوْتِ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ: وَمَا يُغْنِي عَنِّي وَمَا أَعْرِفُ أَنِّي
صَلَّيْتُ لَكَ صَلَاةً؟! وَلَمْ يَقْلُهَا.

وَقَالَ رحمته عَنْ رَجُلٍ عُرِفَ بِحُبِّهِ لِلْأَعْيَانِ وَتَرْدِيدِهَا، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قِيلَ لَهُ: قُلْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَجَعَلَ يَهْدِي بِالْغِنَاءِ وَيَقُولُ: تَاتَنَا تَتْنَا ... حَتَّى قَضَى، وَلَمْ يَنْطِقْ بِالتَّوْحِيدِ.

وَنَقَلَ ابْنُ رَجَبٍ رحمته فِي كِتَابِهِ «جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكْمِ»⁽²⁾ عَنْ أَحَدِ الْعُلَمَاءِ، وَهُوَ
عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي رَوَادٍ أَنَّهُ قَالَ: حَضَرْتُ رَجُلًا عِنْدَ الْمَوْتِ يُلَقِّنُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،
فَقَالَ فِي آخِرِ مَا قَالَ: هُوَ كَافِرٌ بِمَا تَقُولُ. وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ: فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَإِذَا هُوَ
مُدْمِنٌ خَيْرٍ، فَكَانَ عَبْدُ الْعَزِيزِ يَقُولُ: «اتَّقُوا الذُّنُوبَ فَهِيَ الَّتِي أَوْقَعَتْهُ».

أَيُّهَا النَّاسُ، الْحَدِيثُ عَنْ سُوءِ الْحَاثِمَةِ ذُو سُجُونٍ وَلَعَلَّ مَا تَقَدَّمَ فِيهِ الْكِفَايَةُ إِنْ
شَاءَ اللَّهُ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ أَعْمَالِنَا خَوَاتِمَهُ وَخَيْرَ أَعْمَارِنَا أَوَاخِرَهَا وَخَيْرَ أَيَّامِنَا يَوْمَ نَلْقَاكَ.

(1) رواه مسلم (118).

(2) «جامع العلوم والحكم» (2/173).

محاسن العفو

24

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَوَحَدٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا

اللَّهِ الَّذِي تَسَلُّونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٨﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ عَنْ «مَحَاسِنِ الْعَفْوِ».

أَيُّهَا النَّاسُ، لَيْسَ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ النَّاسِ سَبِيلٌ لِإِخْتِلَافِ مَعَادِنِهِمْ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«النَّاسُ مَعَادِنُ».

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَوْ سَلِمَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ لَسَلِمَ خَيْرُ النَّاسِ وَأَفْضَلُهُمْ ذَلِكَمَنْ نَبِينَا مُحَمَّدٌ ﷺ فَكَمْ لَاقَى مِنَ الْأَدَى، وَالطَّرْدِ وَالرَّجْمِ لَكِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى امْتِنَالِ أَمْرِ

اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - لَهُ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: 199).

(1) رواه البخاري (3383)، ومسلم (2378).

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مَحَاسِنَ الْعَفْوِ لَا تَكَادُ تُحْصَرُ وَسَوْفَ اقْتَصِرُ عَلَى ذِكْرِ طَرَفَا مِنْهَا لِأَنَّ الشَّيْطَانَ حَرِيصٌ عَلَى التَّخْرِيشِ بَيْنَ النَّاسِ.

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ آيَسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّخْرِيشِ بَيْنَهُمْ».

وَلَا شَكَّ أَنَّ فِي الْعَفْوِ رِضًا الرَّحْمَنِ وَإِرْغَامَ الشَّيْطَانِ وَالْحُصُولَ عَلَى الْأَجْرِ الْعَظِيمِ وَالثَّوَابِ الْجَزِيلِ.

- فَمِنْ مَحَاسِنِ الْعَفْوِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ الْعَفْوَ مِنْ صِفَةِ الْمُتَّقِينَ وَأَخْلَاقِ الْمُحْسِنِينَ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَكَارِهُوا أَنْ يُغْفَرَ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَجَاءَتْ مِنْهَا السَّمَوَاتُ

وَالْأَرْضُ أُجِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُؤْتُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْمَكْتُوبِينَ الْفَيْزَ وَالْمَافِيهِ مِنْ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ (آل عمران: 133-134).

- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْعَفْوِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ سَبَبٌ لِنَيْلِ الْمَغْفِرَةِ مِنَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ،

وَتَعَالَى - قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَارْتَدُّوا وَيُغْفَرُوا لِأَنَّهُمْ كَفَرُوا وَاللَّهُ فَتُورٌ رَجِيمٌ ﴾

(النور: 22).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رحمته: «فَإِنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، فَكَمَا تَغْفِرُ عَنِ الْمَذْنِبِ إِلَيْكَ

تَغْفِرُ لَكَ، وَكَمَا تَضْفَحُ تَضْفَحُ عَنْكَ»⁽²⁾.

- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْعَفْوِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ طَرِيقٌ لِلْمَحَبَّةِ وَالْمَوَدَّةِ.

(1) رواه مسلم (2812).

(2) «المصباح المنير» (745).

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿ وَلَا تَسْتَوِي لِكُنُفَى وَلَا الْبَيْتَةِ لَدَمْعٍ بِأَلْفِي هِيَ لِحْسَنُ فَإِنَا
الَّذِي يَتَنَكَّ وَيَتَنَكُّ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيُّ حَبِيبٍ ۝ وَمَا يَلْقَىٰهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يَلْقَىٰهَا إِلَّا ذُرَّ حَطِّ عَظِيمٍ
۝ وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَوْذِ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (فصلت: 34-36).

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِينَ رحمته: «جَاءَتْ التَّيْبِجَةُ بِ(إِذَا الْفُجَائِيَّةُ)؛ لِأَنَّ (إِذَا
الْفُجَائِيَّةُ) تَدُلُّ عَلَى الْحُدُوثِ الْقَوْرِيِّ فِي نَتِيجَتِهَا: ﴿ فَإِذَا الَّذِي يَتَنَكَّ وَيَتَنَكُّ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيُّ
حَبِيبٍ ﴾، وَلَكِنْ لَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يُوقِفُ بِذَلِكَ، وَقَالَ: ﴿ وَمَا يَلْقَىٰهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يَلْقَىٰهَا
إِلَّا ذُرَّ حَطِّ عَظِيمٍ ﴾⁽¹⁾.

- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْعَفْوِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ طَرِيقٌ لِلرَّفْعَةِ عِنْدَ اللَّهِ، وَعِنْدَ خَلْقِهِ.

فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رحمته عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَا
نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ».
وَأَخْرَجَ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽³⁾
مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رحمته عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ عَنْ مِثِّ
خِصَالٍ». وَمِنْهَا: «قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَعَزُّ؟ قَالَ: الَّذِي إِذَا قَدَرَ غَفَرَ».

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رحمته فِي كِتَابِهِ «مَدَارِجُ السَّالِكِينَ»: «مَشْهُدُ الْعَفْوِ، وَالصَّفْحِ،
وَالْحِلْمِ فَإِنَّهُ؛ مَتَى شَهِدَ ذَلِكَ، وَفَضْلَهُ، وَحَلَاوَتَهُ، وَعِزَّتَهُ لَمْ يَغْدَلْ عَنْهُ إِلَّا لِعَشَى فِي
بَصِيرَتِهِ؛ فَإِنَّهُ «مَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا».... وَعُلِمَ بِالتَّجْرِبَةِ وَالْوُجُودِ، وَمَا
انْتَقَمَ أَحَدٌ لِنَفْسِهِ إِلَّا ذَلَّ»⁽⁴⁾.

(1) «مكارم الأخلاق»، لابن عثيمين (26).

(2) رواه مسلم (2588).

(3) «حسن»: أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (86/50 - موارد) وحسنه الألباني في «الصحيحه» (3350).

(4) «مدارج السالكين» (260/2).

- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْعَفْوِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ سَبَبٌ لِلْمَغْفِرَةِ.

ففي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ، وَمَنْ لَا يَغْفِرُ لَا يُغْفَرُ لَهُ».

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِزْحَمُوا تُرْحَمُوا، وَاعْفِرُوا يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ».

وَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ رَجُلٍ يُجْرِحُ فِي جَسَدِهِ جِرَاحَةً، فَيَتَصَدَّقُ بِهَا، إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ عَنْهُ مِثْلَ مَا تَصَدَّقَ».

- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْعَفْوِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ الْعَفْوَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَعَفْوُ غُفُورٍ﴾ (المجادلة: 2).

وَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ حَسَنِ، حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَفْوٌ يُحِبُّ الْعَفْوَ».

- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْعَفْوِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ صِفَةٌ لِصَفْوَةِ عِبَادِ اللَّهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ

وَالْمُرْسَلِينَ.

(1) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (4/365) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (483).

(2) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ» (380)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (482).

(3) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (5/316)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (2273).

(4) «حَسَنٌ»: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (1/438) وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (1638).

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كَانِي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَخْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ: ضَرْبُهُ قَوْمُهُ، فَأَذْمَوهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَن وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَكْتُوبٌ فِي الْإِنْجِيلِ: «لَا فَظًّا، وَلَا غَلِيظًا، وَلَا سَخَابًا بِالْأَسْوَابِ (أَي: لَا يَرْفَعُ صَوْتُهُ بِالْأَسْوَابِ) وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا، بَلْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ».

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «وَمَا أَنْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ بِهَا».

- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْعَفْوِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ طَرِيقٌ لِكَسْبِ الْقُلُوبِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿فَمَا رَحِمُوا مِنْ أَلْفِ لَيْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَقْبَضُوا مِنْ حَرَكَ قَلْعَفٍ عَنْهُمْ وَأَسْتَفِرَّ لَهُمْ﴾ (آل عمران: 159).

- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْعَفْوِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ خَيْرٌ مِنَ الصَّدَقَةِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أذى وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (البقرة: 263).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رضي الله عنه: «﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ أَي: مِنْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ وَدُعَاءٍ لِمُسْلِمٍ، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ أَي: عَفْوٌ وَغَفْرٌ عَنْ ظُلْمٍ قَوْلِيٍّ أَوْ فِعْلِيٍّ»⁽⁴⁾.

(1) رواه البخاري (6929) - واللفظ له -، ومسلم (1792).

(2) «حسن»: أخرجه الحاكم (614/2) وحسنه الألباني في «الصحيح» (2458).

(3) رواه البخاري (6786).

(4) «المصباح المنير» (150).

- وَمِنْ مَحَاسِنِ الْعَفْوِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ مَنْ سَارَعَ إِلَى الْعَفْوِ أَدْرَكَتْهُ مَغْفِرَةُ اللَّهِ لَهُ
وَذَلِكَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَالْحَمِيسِ.

ففي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:
«تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ: يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَيَغْفِرُ اللَّهُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ
شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ، فَيَقَالُ أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَضْطَلِحَا،
أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَضْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَضْطَلِحَا».
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية - إصلاح ذات البين :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ عَنْ مَحَاسِنِ الْعَفْوِ وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ
عَنْ إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ عُنْوَانُ الْإِيمَانِ، وَمَنْبَعُ الْأَمَانِ وَمَقْتَدِرُ الرَّاحَةِ حَثَّ
اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ وَرَغَّبَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سُنَّتِهِ الصَّحِيحَةِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ (الأنفال: 1).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَتِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ

تَرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ (الحجرات: 10).

(1) «رواه مسلم» (2565).

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَا خَيْرَ لِي سَعْتِهِمْ مِنْ لَجْرَتِهِمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِمَنْكَلِهِ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝﴾ (النساء: ١١٤).

أَيُّهَا النَّاسُ، فِي الصُّلْحِ خَيْرٌ مِنَ الْمَشَاكِلِ وَالْقَلَاكِلِ مِنَ الضَّغَائِنِ وَالْأَخْقَادِ مِنَ الْبَاغِي وَالْتِدَابِرِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَاقِ وَالْفِرَاقِ وَالشَّقَاقِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ۝﴾ (النساء: ١٢٥).

وَهَا هُوَ النَّبِيُّ ﷺ - أَيُّهَا النَّاسُ - يَحْتُّ عَلَى الصُّلْحِ بَيْنَ النَّاسِ.

فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يَعْدِلُ بَيْنَ النَّاسِ صَدَقَةٌ». وَهَذَا الْحَدِيثُ قَدْ تَرَجَمَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْحَدِيثِ الْبُخَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِبَابِ فَضْلِ الْإِصْلَاحِ وَالْعَدْلِ.

وَقَارَنَ بَيْنَ السِّيَادَةِ وَالْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ.

فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (فِي شَأْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا): «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

وَهُنَا - أَيُّهَا النَّاسُ - طَائِفَةٌ تَرْتَفِعُ دَرَجَاتُهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتَتَفَرَّقُ بِعَمَلِهَا عَلَى الصَّائِمِ الْمُتَنَفِّلِ وَالْقَائِمِ الْمُتَنَفِّلِ.

(١) رواه البخاري (2707)، ومسلم (1009).

(٢) رواه البخاري (2704).

ففي «سنن الترمذي» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترمذي»⁽¹⁾ من حديث أبي الدرداء رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين هي الحالقة».

أيها الناس، الله - سبحانه وتعالى - نهي من أقسم على الامتناع من الإصلاح عن المضي في يمينه فقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَجْمَلُوا اللَّهَ عَرِضًا لِأَيْتِنَاكُمْ أَنْ تَبْرُوا وَتَسْتَفْتُوا وَتَصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَوَّيْعٌ عَلَيْهِمْ ﴾ (البقرة: 224).

وفي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث عائشة رضي عنها قالت: سمع رسول الله ﷺ صوت خصوم بالباب، عالية أصواتهما، وإذا أحدهما يستوضح الآخر ويسترفقه (أي يطلب منه الرفق) في شيء وهو يقول: والله لا أفعل، فخرج رسول الله ﷺ عليهما، فقال: «أين المتألي على الله لا يفعل المعروف». قال: أنا يا رسول الله، فله أي ذلك أحب، أي قد خفت عنه يا رسول الله فليختر ما شاء.

أيها الناس، ها هو النبي ﷺ يرشدنا إلى أفضل الصدقة إتيانها - والله - أقل مؤنة وأعظم أجرا.

فقد أخرج الأصبهاني في «الترغيب» بسند حسن، حسنه الألباني في «الصحيحة»⁽³⁾ من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلك على صدقة يحب موضعها؟ تصلاح بين الناس، فإنها صدقة يحب موضعها».

(1) «صحيح»: أخرجه أحمد (444/6 - 445) وأبو داود (4919)، والترمذي (2509) والبخاري في «الادب» (391) وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (2640).

(2) رواه البخاري (2706)، ومسلم (1558).

(3) «حسن»: أخرجه الأصبهاني في «الترغيب» (ص 50)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (2644).

وَأَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ فِي «الْمُتَّخَبِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ لِغَيْرِهِ كَمَا قَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ: إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ».

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ رَغِبَ فِي أَجْرِ الصُّلْحِ وَإِنَّ أَجْرَهُ لَعَظِيمٌ، وَمَنْ رَغِبَ فِي ثَوَابِهِ وَإِنَّ ثَوَابَهُ لَجَزِيلٌ فَعَلَيْهِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ أَنْ يَأْمَرَ بِالْعَفْوِ وَيُبَيِّنَ فَضْلَهُ وَشَرَفَهُ بَيْنَ يَدَيْ صُلْحِهِ وَيَحْتَسِبَ عَلَيْهِ وَهَكَذَا كَانَ مُعَلِّمُ الْبَشَرِيَّةِ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم.

فِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم رَفَعَ إِلَيْهِ شَيْءٌ فِيهِ قِصَاصٌ إِلَّا أَمَرَ بِالْعَفْوِ».

وَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «تَعَاَفَوْا الْحُدُودَ فِيمَا بَيْنَكُمْ، فَمَا بَلَغَنِي مِنْ حَدٍّ فَقَدْ وَجَبَ».

اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفْوٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنَّا، اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِلْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ، اللَّهُمَّ أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِإِزْغَامِ الشَّيْطَانِ بِالْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ فِيمَا بَيْنَنَا؛ فَإِنَّهُ مَا فَتَى يَتَحَرَّشُ بَيْنَنَا غَيْرَ يَأْسٍ مِنَّا، اللَّهُمَّ أَيُّسُهُ مِنْ ذَلِكَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

(1) «حسن»: أخرجه عبد بن حميد في «المتخب» (2/43)، والبخاري (2059) وحسنه الألباني في «الصحيح» (2639).

(2) «صحيح»: أخرجه أبو داود (4497)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (3774).

(3) «صحيح»: أخرجه أبو داود (4376)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (3680).

فضيلة الصدق

25

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَوَحَدٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْهَا كَثِيرًا وَمِنْهَا قَلِيلًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أما بعد، فإنَّ أصدق الحديث كتابُ الله، وخيرُ الهدى هدى محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

أما بعد، حديثي معكم اليوم - أيها الناس - عن الصدق.

والصدق - أيها الناس - هو الفضيلة الجامعة والرجل الصادق محبوبٌ من الله

محبوبٌ من الناس قريبٌ من كلِّ خيرٍ وبرٍّ؛ لأنه قد قيل: ثلاثٌ لا تُخطيءُ الصادق: الحلاوة، والملاحة، والهيبة.

ومن كان هذا حاله كيف لا تُحبه قلوبُ الناس.

فالصدق - أيها الناس - أمره عظيمٌ فهو محلٌّ للجزاء من الله.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

(التوبة: 119).

وَذَكَرَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - الصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ فِي مَقَامِ الشَّاءِ وَمِمَّا هُمْ مِنَ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ. فَقَالَ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ ﴾ (الاحزاب: 35).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى -: ﴿ قُلُوا لِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ (محمد: 21).

أَيُّ لَوْ عَامَلُوا اللَّهَ بِالصُّدُقِ فِي قُلُوبِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ، وَأَقْوَامِهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَلَكِنَّهُمْ كَذَّبُوا اللَّهَ فَكَانَ شَرًّا لَهُمْ.

وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الصُّدُقَ يَهْدِي صَاحِبَهُ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْجَنَّةُ غَايَةُ كُلِّ مُطْلَبٍ.

فَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الصُّدُقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَصُدُقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا، وَإِنَّ الْكُذْبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا».

وَأَخْبَرَ ﷺ - أَيْضًا - أَنَّ الصُّدُقَ طُمَأْنِينَةٌ.

فَقَدْ أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ؛ فَإِنَّ الصُّدُقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَالْكَذِبَ رِيبةٌ».

وَمَعْنَى طُمَأْنِينَةٌ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَيُّ لَيْسَ فِيهِ قَلْقٌ أَوْ شَكٌّ فَلَا يَنْدُمُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ أَبَدًا فَالطُّمَأْنِينَةُ سَاكِنَةٌ قَلْبُهُ وَالسَّكِينَةُ تَنْزِلُ عَلَيْهِ وَالْيَقِينُ يُلَازِمُهُ فَلَا يَتَأَسَّفُ عَلَى شَيْءٍ حَصَلَ أَوْ يَخْصُلُ؛ لِأَنَّ الصُّدُقَ مَنْجَاةٌ وَالصَّادِقُونَ يُنَجِّهِمُ اللَّهُ بِصِدْقِهِمْ.

(1) رواه البخاري (6094)، ومسلم (2607).

(2) «صحيح»: أخرجه الترمذي (2518) وروى النسائي في شطره الأول (5714) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (3378).

وَهَكَذَا الْأَنْبِيَاءُ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِنْ ضَمِنَ مَا بُعِثُوا بِهِ أَمْرُهُمُ النَّاسَ بِصِدْقِ الْحَدِيثِ .
فَفِي «الصَّحِيحِينَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حَدِيثِهِ الطَّوِيلِ
فِي قِصَّةِ هِرَقْلَ، قَالَ هِرَقْلُ: «فَمَاذَا يَا أَمْرُكُمْ - يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ - قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: قُلْتُ:
يَقُولُ: «اعْبُدُوا اللَّهَ وَخُدُّهُ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرَكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا
بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ، وَالْعَفَافِ، وَالصَّلَةِ».

وَقَدْ حَثَّنَا نَبِينَا ﷺ عَلَى الصَّدَقِ وَبَيَّنَ لَنَا أَنَّهُ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَالْبِرُّ يَهْدِي إِلَى
الْجَنَّةِ، وَذَكَرَ لَنَا أَرْبَعَ مَنْ جَمَعَهَا فَقَدْ جَمَعَ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا.

فَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ لِغَيْرِهِ كَمَا قَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽²⁾
مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ،
فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانَةٍ وَصِدْقُ حَدِيثٍ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ، وَعِفَّةٌ
فِي طَعْمَةٍ».

وَضَمِنَ لَنَا الْجَنَّةَ إِنْ ضَمِنَّا لَهُ سِتًّا مِنْ أَنْفُسِنَا وَمِنْهَا الصَّدَقُ.

فَفِي «مُسْتَدْرَكِ الْحَاكِمِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ لِغَيْرِهِ، قَالَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ»⁽³⁾
مِنْ حَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ
أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنَ لَكُمْ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا
اِثْمَنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكَفُّوا أَيْدِيَكُمْ».
وَأَخْبَرَ أَنَّ الصَّدَقَ سَبَبُ الْبَرَكَةِ فِي الْأَرْزَاقِ.

(1) رواه البخاري (2681)، ومسلم (1773).

(2) «صحيح»: رواه أحمد (2/177) وقال الألباني في «صحيح الترهيب» (2929) صحيح لغيره.

(3) «صحيح»: رواه الحاكم (4/359) وقال الألباني في «صحيح الترهيب» (2925) صحيح لغيره.

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «البَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا بُورِكَ لُهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَّتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا».

وَهَذَا كَانَ الصَّدَقُ مَنجَاةً وَالصَّادِقُ تَصَحُّبُهُ السَّلَامَةُ وَلَا بُدَّ.

ففي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث كعب بن كعب رضي الله عنه الطويل وفيه: «فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا أَنْجَانِي اللَّهُ بِالصَّدَقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أَحَدَثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيْتُ».

فَهَذَا - أَيُّهَا النَّاسُ - الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ كَعْبُ بْنُ مَالِكِ الَّذِي تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى صَاحِبِيهِ.... ذَكَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ مِنْ تَوْبَتِهِ أَلَّا يُحَدِّثَ بِحَدِيثٍ كَذِبٍ بَعْدَ أَنْ نَجَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّدَقِ - فَكَانَ - رضي الله عنه مَضْرَبَ الْمَثَلِ فِي الصَّدَقِ حَتَّى أَنْ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَنْزَلَ فِيهِ وَفِي صَاحِبِيهِ: ﴿يَتَأْتِيهَا الْذِّبُكَ ؕ أَمِنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: 119).

أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ قَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ: «حَقِيقَةُ الصَّدَقِ أَنْ تَصْدُقَ فِي مَوْطِنٍ لَا يُنَجِّيكَ مِنْهُ إِلَّا الْكَذِبُ»⁽³⁾.

وَهَذَا مَا يَظْهَرُ لِلغَرِّ مِنْ بَنِي آدَمَ لِأَوَّلِ وَهَلَةِ وَلَكِنَّ الصَّدَقَ مَنجَاةً عَلَى كُلِّ حَالٍ وَلَنَا بِقِصَّةِ كَعْبٍ وَصَاحِبِيهِ أَسْوَةٌ؛ لِأَنَّ الصَّدَقَ مِنْ أَصُولِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي يَتَفَرَّغُ عَنْهَا غَيْرُهَا.

(1) رواه البخاري (2114)، ومسلم (1532).

(2) رواه البخاري (4418)، ومسلم (2769).

(3) «مدارج السالكين» (2/290).

قَالَ السَّخَرِيُّ الْمُحَاسِبِيُّ رحمته: «وَأَعْلَمُ - رَحِمَكَ اللَّهُ - أَنَّ الصَّدْقَ وَالْإِخْلَاصَ أَضَلُّ كُلِّ حَالٍ؛ فَمِنَ الصَّدْقِ يَتَشَعَّبُ الصَّبْرُ، وَالْقَنَاعَةُ، وَالزُّهْدُ، وَالرِّضَى، وَالْأَنْسُ. وَعَنِ الْإِخْلَاصِ يَتَشَعَّبُ الْيَقِينُ، وَالْحَوْفُ، وَالْمَحَبَّةُ، وَالْإِجْلَالُ، وَالْحَيَاءُ، وَالتَّعْظِيمُ. فَالصَّدْقُ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِهِ؛ صِدْقُ الْقَلْبِ بِالْإِيمَانِ تَحْقِيقًا، وَصِدْقُ النِّيَّةِ فِي الْأَعْمَالِ، وَصِدْقُ اللَّفْظِ فِي الْكَلَامِ»⁽¹⁾.

وَقَالَ ابْنُ حِبَّانٍ رحمته: «إِنَّ اللَّهَ - جَلَّ وَعَلَا - فَضَّلَ اللِّسَانَ عَلَى سَائِرِ الْجَوَارِحِ، وَرَفَعَ دَرَجَتَهُ، وَأَبَانَ فَضِيلَتَهُ بِأَنْ أَنْطَقَهُ - مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْجَوَارِحِ - بِتَوْجِيدِهِ، فَلَا يَجِبُ لِلْعَاقِلِ أَنْ يُعَوِّدَ آلَةَ خَلْقِهَا اللَّهُ لِلنُّطْقِ بِتَوْجِيدِهِ بِالْكَذِبِ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ الْمُدَاوِمَةُ بِرِعَايَتِهِ بِلُزُومِ الصَّدْقِ، وَمَا يُعَوِّدُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ فِي دَارِيهِ؛ لِأَنَّ اللِّسَانَ يَقْتَضِي مَا عَوِّدَ، إِنْ صِدْقًا فَصِدْقًا، وَإِنْ كِذْبًا فَكِذْبًا»⁽²⁾.

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ - التَّحْذِيرُ مِنَ الْكُذْبِ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنِ فَضِيلَةِ الصَّدْقِ، وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنِ التَّحْذِيرِ مِنَ الْكُذْبِ.

(1) «هداية المسترشدين» (170).

(2) «روضة العقلاء» (51).

أَيُّهَا النَّاسُ، مَا مِنْ شَيْءٍ أَنْ الْكَذِبَ مِنْ مَسَاوِيءِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يُتْرَكَ
 الْمُسْلِمُ نَفْسَهُ عَنْهُ بَلْ وَمِنْ صِفَةِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ نُهِينَا عَنْ الْإِتِّصَافِ بِأَوْصَافِهِمْ لَيْسَلَمْ
 لَنَا دِينَنَا. فَالْكَذِبُ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ تَوَاعَدَ اللَّهُ صَاحِبَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ (الجنانية: 7).
 وَقَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿إِنَّمَا يَقْعُرَى الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ
 الْمَكِيدُونَ﴾ (النحل: 105).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ
 ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ
 فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا اثْتَمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ
 غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «آيَةُ
 الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اثْتَمِنَ خَانَ».

وَالْكَذِبُ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَسَاسُ الْفُجُورِ، وَالْفُجُورُ يَهْدِي إِلَى النَّارِ كَمَا فِي
 «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ
 وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ
 الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا».

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ - أَيُّهَا النَّاسُ - دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْكَذِبَ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، لِأَنَّ
 الرَّسُولَ ﷺ تَوَاعَدَهُ بِأَنَّهُ يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا.

(1) رواه البخاري (34) - واللفظ له -، ومسلم (58).

(2) رواه البخاري (33)، ومسلم (59).

(3) رواه البخاري (9064)، ومسلم (2607).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ جُنْدَبِ الطَّوِيلِ بَيَانٌ فِي عُقُوبَةِ مَنْ يَكْذِبُ
الْكُذِبَةَ فَتَبْلُغُ الْآفَاقَ وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ فِي الرَّوْيَا الَّتِي رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمِمَّا جَاءَ فِي
الْحَدِيثِ: «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقْفَاهُ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِكُلُوبٍ مِنْ
حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقِّي وَجْهِهِ فَيُسْرِشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمِنْخَرَهُ إِلَى قَفَاهُ،
وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ
الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ، حَتَّى يُضْبِحُ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ
عَلَيْهِ، فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى».

وَفِي نِهَايَةِ الْحَدِيثِ بَيَانُ الذَّنْبِ الَّذِي اِزْتَكَبَهُ الرَّجُلُ، وَفِيهِ: «فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ
بَيْتِهِ يَكْذِبُ الْكُذِبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ».

وَفِي رِوَايَةِ لِلْبُخَارِيِّ⁽²⁾: «فَيَصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

وَالْكَذَّابُ - أَيُّهَا النَّاسُ - يُعْرِفُ مِنْ وَجْهِهِ يَعْرِفُ ذَلِكَ الْمُتَقَرِّسُونَ بَلْ قَدْ يَعْرِفُ
ذَلِكَ ضِعَافُ الْإِيمَانِ.

أَلَيْسَ قَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الْكُذِبُ رَيْبَةٌ»⁽³⁾. أَي تَشْكُ فِيهِ
وَلَا تَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ نَفْسُكَ، وَعُلَمَاءُ التَّرْبِيَةِ كَمَا يُسْمَوْنَهُمُ الْيَوْمَ عُلَمَاءُ النَّفْسِ يَقُولُونَ
أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَذَبَ الْكُذِبَةَ تَتَسَرَّعُ دَقَّةُ قَلْبِهِ وَكَذَلِكَ أَنْفَاسُهُ وَتَرَى الْحُمْرَةَ فِي
خَدِّهِ وَتُحْمَلِقُ عَيْنَاهُ وَكَفَى بِهَذَا دَلِيلٌ، حَتَّى بَعْضُ الْكُفَرَةِ يَعْرِفُونَ وَجْهَ الصَّادِقِ
مِنَ الْكَاذِبِ.

(1) رواه البخاري (7047)، ومسلم (2275).

(2) رواه البخاري (1386).

(3) تقدم تخریجه.

ففي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ»، و«سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ»، و«ابْنِ مَاجَةَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رضي الله عنه قَالَ: «لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ، انْجَفَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَكُنْتُ فِيمَنْ انْجَفَلَ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ، عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ». وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ - أَيُّهَا النَّاسُ - كَانَ حِينِيذٍ كَافِرًا وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْكُذَّابَ يَفْضَحُهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ. أَيُّهَا النَّاسُ، الْكُذِبُ لَا يَضْلُحُ فِي جِدٍّ وَلَا هَزَلٍ.

ففي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ»، و«سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»، و«التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ فَيَكْذِبُ، وَيَلُّ لَهُ، وَيَلُّ لَهُ».

وَمِنْ الْكُذِبِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَنْقُلَ أَحَدُنَا كَلَامَ غَيْرِهِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ صِدْقَهُ مِنْ كُذْبِهِ، وَنَاقِلُ الْكُذِبِ كَذَّابٌ وَلَا شَكَّ وَهَذَا مَا دَلَّ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ. فَقَدْ ذَكَرَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي مُقَدِّمَةِ «صَحِيحِهِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «كَفَى بِالْمُرءِ كُذْبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ». أَيُّهَا النَّاسُ، قَبْلَ أَنْ أُوَدِّعَ مَقَامِي هَذَا أُذَكِّرُكُمْ أَنَّ الْكُذِبَ كَانَ أَبْغَضَ خُلُقِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم.

(1) «صحيح»: أخرجه أحمد (5/451)، والترمذي (2487)، وابن ماجه (1334)، وصححه الألباني في «الصحيح» (569).

(2) «حسن»: أخرجه أحمد (2/5)، والترمذي (2315) وأبو داود (4990) وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» (1885).

(3) مسلم (المقدمة 5).

التواضع

26

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (آل عمران: ١٥٢).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ فِيهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: ١).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٣٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٣٨﴾﴾ (الأحزاب: ٧٠ - ٧١).

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، أيها الناس حديثي معكم اليوم عن التواضع.

أيها الناس، لقد خلق الله - سبحانه وتعالى - الإنسان وكرمه وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً، وألبسه حلة الإيمان، وزينه بأنواع الفضائل وذلك تمييزاً لكرامته وتفضيله.

والتواضع أحد تلك الفضائل.

والذين نبذوا هذا الخلق العظيم إنما هم في الحقيقة معتدون على مقام الألوهية؛ لأن الكبرياء والعظمة لله وحده لا يتازعه فيها منازع إلا كبه الله في النار.

ففي «مسند أحمد» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترهيب»⁽¹⁾ من حديث عائشة رضي عنها قالت: «مَا كَانَ مِنْ خُلُقِي أَبْغَضُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْكَذِبِ، مَا أَطَّلَعَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ فَيَخْرُجُ مِنْ قَلْبِي، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ أَحَدَتْ تَوْبَةً».

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِلصُّدُقِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَذِبِ وَالنَّفَاقِ وَالشَّقَاقِ وَسَيِّئِ الْأَخْلَاقِ، اللَّهُمَّ ارزُقْنَا حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ الْعَمَلِ الَّذِي يُبَلِّغُنَا حُبَّكَ.



(1) «صحيح»: أخرجه أحمد، وصححه الألباني في «صحيح الترهيب» (2941).

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»، وَ«سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي. مَنْ نَارَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا الْقَيْتُهُ فِي جَهَنَّمَ».

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ حَنَّنَا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَحَدَرْنَا مِنَ الْكِبْرِ.

فَقَالَ - سُبْحَانَهُ، -: ﴿ وَخُوفٌ جَنَّاكَ لِيَنِ أَبْعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء: 215).

وَجَعَلَ الْجَنَّةَ لِلَّذِينَ لَا يَرِيدُونَ تَكْبُرًا فِي الْأَرْضِ. فَقَالَ - سُبْحَانَهُ، -: ﴿ تِلْكَ الْأَرْضُ

الْآخِرَةُ جُمَعْتُهَا لِلَّذِينَ لَا يَرِيدُونَ عُلوًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ (القصص: 83).

وَوَصَفَ عِبَادَهُ الْمُتَّقِينَ بِأَنَّهُمْ يَمْشُونَ فِي الْأَرْضِ مُتَوَاضِعِينَ غَيْرَ مُتَكَبِّرِينَ فَقَالَ:

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ (الفرقان: 63).

قَالَ ابْنُ سَعْدِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ذَكَرَ أَنَّ صِفَاتِهِمْ أَكْمَلُ الصِّفَاتِ وَنُعُوتِهِمْ أَفْضَلُ

النُّعُوتِ، فَوَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا، أَي سَاكِنِينَ مُتَوَاضِعِينَ لِلَّهِ

وَلِلْخَلْقِ، فَهَذَا وَصْفٌ لَهُمْ بِالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ، وَالتَّوَاضُّعِ لِلَّهِ وَلِعِبَادِهِ»⁽²⁾.

وَقَالَكَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - حَاكِيًا عَنْ لُقْمَانَ وَهُوَ يَعِظُ ابْنَهُ: ﴿ وَلَا تُصِرَّ خَدَّكَ لِلنَّاسِ

وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (لقمان: 18).

وَمَعْنَى الْآيَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - : أَيُّ: «لَا تَتَكَبَّرْ، فَتَحَقِّرْ عِبَادَ اللَّهِ، وَتُعْرِضَ عَنْهُمْ إِذَا

كَلَّمُوكَ». كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا⁽³⁾.

(1) رواه مسلم (2620)، وابنُ ماجه (4174) واللفظُ لَهُ.

(2) «تفسير السَّعْدِيِّ» (586).

(3) «فتح القدير» للشوكاني (301/4).

والتواضع - أيها الناس - علامة حب الله للعبد كما قال - تعالى - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ
يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (المائدة: 54).

قال الحافظ ابن كثير رحمته: «هذه صفة المؤمنين الكُمَّلِ، أن يكون أحدُهُم
متواضعا لأخيه ووليِّه، متعززا على خصمه وعدوه» (1).

وقال الفقيه السمرقندي رحمته: «اعلم أن الكبر من أخلاق الكفار والفراعنة،
والتواضع من أخلاق الأنبياء والصالحين؛ لأن الله وصف الكفار بالكبر فقال: ﴿ لَأَنَّهُمْ
كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (الصفات: 35)».

وقال - سبحانه - : ﴿ وَقُرُونٌ وَفِرْعَوْنٌ وَهَمَانٌ ﴾ ولقد جاءهم ثورون بالبينات
فانتكبروا في الأرض وما كانوا سفيهاً ﴿ (العنكبوت: 39).

وقال - سبحانه - وتعالى - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ
دَلِيلِينَ ﴾ (غافر: 60).

وقال - سبحانه - وتعالى - : ﴿ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾
(غافر: 76).

وقال - سبحانه - وتعالى - : ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (النحل: 23).

وقد مدح الله عباده المؤمنين بالتواضع فقال: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَلَى
الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ (الفرقان: 63).

يعني متواضعين ومدحهم بتواضعهم وأمر نبيه بالتواضع فقال: ﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الحجر: 88).

(1) «تفسير ابن كثير» (2/73).

وَقَالَ: ﴿ وَنُفِضَ جَنَّتَكَ لِيَنَّ أَمَّكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء: 215).

وَمَدَحَ النَّبِيَّ ﷺ بِخُلُقِهِ فَقَالَ: ﴿ وَأِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: 4).

وَكَانَ خُلُقُهُ التَّوَاضُعَ؛ لِأَنَّهُ رُوِيَ فِي الْحَبَرِ أَنَّهُ كَانَ يَرْكَبُ الْجِمَارَ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْمَمْلُوكِ، فَثَبَّتَ أَنَّ التَّوَاضُعَ مِنْ أَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، وَكَانَ الصَّالِحُونَ مِنْ قَبْلِ أَخْلَاقِهِمُ التَّوَاضُعُ، فَوَجَبَ عَلَيْنَا أَنْ نَقْتَدِيَ بِهِمْ ⁽¹⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ حَنَّنَا نَبِيَّنَا ﷺ عَلَى التَّوَاضُعِ وَرَغَبْنَا فِيهِ وَبَيَّنَّ لَنَا أَنَّهُ سَبَبٌ لِلرَّفْعَةِ وَالْعِزَّةِ، وَطَرِيقٌ إِلَى الْجَنَّةِ.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» ⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عِيَّاضِ بْنِ جِمَارٍ ⁽³⁾ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْنِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ».

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» ⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ⁽⁴⁾ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ». قَالَ ابْنُ الْحَاجِّ ⁽⁴⁾: «مَنْ أَرَادَ الرَّفْعَةَ فَلْيَتَوَاضَعَ لِلَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ الْعِزَّةَ لَا تَقَعُ إِلَّا بِقَدْرِ النَّزُولِ، أَلَا تَرَى أَنَّ السَّمَاءَ لَمَّا نَزَلَ إِلَى أَصْلِ الشَّجَرَةِ صَعَدَ إِلَى أَغْلَاهَا، فَكَأَنَّ سَائِلًا سَأَلَهُ: مَا صَعَدَ بِكَ هُنَا - أَغْنِي فِي رَأْسِ الشَّجَرَةِ وَأَنْتَ تَحْتَ أَصْلِهَا؟! فَكَأَنَّ لِسَانَ حَالِهِ يَقُولُ: مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ» ⁽⁴⁾.

(1) «تبيه الغافلين» (97).

(2) رواه مسلم (2865).

(3) رواه مسلم (2588).

(4) المدخل لابن الحاج (122/2).

وفي «صحيح مسلم»⁽¹⁾ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر». قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة. قال: «إن الله جميل يحب الجمال. الكبر بطر الحق وغمط الناس».

وَمَعْنَى بَطْرُ الْحَقِّ - أَيُّهَا النَّاسُ - دَفْعُهُ وَإِنْكَارُهُ تَرْفَعًا وَتَجَبُّرًا وَتِلْكَ صِفَاتُ الْمُتَكَبِّرِينَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ اللَّهَ وَقَارًا فَاعْرِفُوهُمْ. وَمِنْ صِفَاتِهِمْ - أَيضًا - مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُمْ يَغْمِطُونَ النَّاسَ وَمَعْنَى غَمَطِ النَّاسِ أَيِ اخْتِقَارِهِمْ.

فَهَذَا - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ تَعْرِيفُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم لِلْكَبْرِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ التَّوَاضُّعِ وَالذُّلِّ وَالْمَهَانَةِ لِأَنَّهُ قَدْ قِيلَ: «مِنَ التَّوَاضُّعِ مَا وَضَعَ».

وَالْحِكْمَةُ وَضَعُ الشَّيْءِ فِي مَوْضِعِهِ. قَالَ تَعَالَى ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة: 269).

أَيُّهَا النَّاسُ، الْفَرْقُ بَيْنَ التَّوَاضُّعِ وَالْمَهَانَةِ أَنَّ التَّوَاضُّعَ يَتَوَلَّدُ مِنْ بَيْنِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ - سُبْحَانَهُ - وَمَعْرِفَةِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَنُعُوتِ جَلَالِهِ وَتَعْظِيمِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَإِجْلَالِهِ، وَمِنْ مَعْرِفَتِهِ بِنَفْسِهِ وَتَفَاصِيلِهَا وَعُيُوبِ عَمَلِهَا وَأَفَاتِهِ، فَيَتَوَلَّدُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ خُلُقٌ هُوَ التَّوَاضُّعُ وَهُوَ انْكِسَارُ الْقَلْبِ لِلَّهِ وَخَفْضُ جَنَاحِ الذُّلِّ وَالرَّحْمَةِ لِعِبَادِهِ فَلَا يَرَى لَهُ عَلَى أَحَدٍ فَضْلًا وَلَا يَرَى لَهُ عِنْدَ أَحَدٍ حَقًّا بَلْ يَرَى الْفَضْلَ لِلنَّاسِ عَلَيْهِ وَالْحُقُوقَ لَهُمْ قَبْلَهُ، وَهَذَا خُلُقٌ إِنَّمَا يُعْطِيهِ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - مَنْ يُحِبُّهُ وَيُكْرِمُهُ وَيُقَرِّبُهُ.

(1) رواه مسلم (91).

وَأَمَّا الْمَهَانَةُ فَهِيَ الدَّنَاءَةُ وَالْحِسَّةُ وَبَدَلُ النَّفْسِ أَوْ ابْتِدَافُهَا فِي نَيْلِ حَظِّهِ مِنْهُ فَهَذَا كُلُّهُ ضَعْفٌ لَا تَوَاضَعٌ طَالِبٌ كُلُّ حَظٍّ لِمَنْ يَرْجُو نَيْلَ حَظِّهِ مِنْهُ فَهَذَا كُلُّهُ ضَعْفٌ لَا تَوَاضَعٌ وَاللَّهِ - سُبْحَانَهُ - يُحِبُّ التَّوَاضِعَ وَيَبْغِضُ الضَّعْفَ وَالْمَهَانَةَ. كَمَا قَالَ ذَلِكَ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيْمِ رحمته (1).
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية - صُورٌ مِنْ تَوَاضَعِ النَّبِيِّ ﷺ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ عَنِ التَّوَاضَعِ وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ صُورٍ مِنْ تَوَاضَعِ النَّبِيِّ ﷺ.

أَيُّهَا النَّاسُ، نَبِينَا مُحَمَّدٌ ﷺ هُوَ أَحْسَنُ النَّاسِ خُلُقًا وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - اخْتَارَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ، وَأَكْرَمَهُ بِالرَّسَالَةِ وَأَيَّدَهُ بِالْوَحْيِ، وَجَبَلَهُ عَلَى حَمِيدِ الْخَلَالِ، وَفَطَرَهُ عَلَى كَرِيمِ الْخِصَالِ.

وَأَتْنَى عَلَيْهِ بِأَحْسَنِ الشَّنَاءِ فَقَالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَمَنْ خُلِقَ عَظِيمٌ﴾ (القلم: 4).

وَأَمَرْنَا بِالتَّأْسِيِّ بِهِ فِي أَقْوَالِهِ، وَأَفْعَالِهِ، وَأَحْوَالِهِ.

فَقَالَ - سُبْحَانَهُ - : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا﴾ (الأحزاب: 21).

(1) انظر «الروح» لابن القيم (211).

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ آدَبَ اللَّهُ نَبِيَّهُ فَأَخْسَنَ نَأْوِيَهُ وَرَبَّاهُ فَأَخْسَنَ تَرْبِيَتَهُ، لَكَانَ خُلْفَةُ الْقُرْآنِ، كَمَا قَالَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رضي الله عنها حِينَذَا مَا سُئِلَتْ عَنْ خُلْفِهِ ⁽¹⁾.

وَمِنْ تَرْبِيَةِ اللَّهِ لَهُ أَنْ أَمَرَهُ بِالتَّوَاضِعِ فَقَالَ: ﴿ وَاللَّيْلُ جَنَاحُكَ مِنَ التَّوَضُّعِ ﴾ (الحجر: 88).

وَقَالَ - سُبْحَانَهُ - : ﴿ وَاللَّيْلُ جَنَاحُكَ لِئِنْ أَلَمْتَكَ مِنَ التَّوَضُّعِ ﴾ (النمر: 215).

أَيُّهَا النَّاسُ، لِنَقِفْ قَلِيلًا أَمَامَ تَوَاضِعِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَلِنَبْدَأْ بِأَخْلَاقِهِ وَجُلُوسِهِ.

فَفِي «شَرْحِ السُّنَنِ لِلْبَغْوِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صُحَّحَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» ⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَكُلْ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ وَأَجْلِسْ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ».

وَنَظَرَةٌ إِلَى بَيْتِهِ يَجْلِي لَنَا تَوَاضِعُهُ وَجَمِيلُ أَخْلَاقِهِ صلى الله عليه وسلم.

فَهَا هُوَ الْأَسْوَدُ يَسْأَلُ أُمَّنَا عَائِشَةَ رضي الله عنها كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» ⁽³⁾ مَا كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: «كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ - تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ».

- وَهَلْ كَانَ صلى الله عليه وسلم يَرْتَكِبُ الْحِمَارَ؟

يُحَدِّثُنَا بِذَلِكَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ رضي الله عنه كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» ⁽⁴⁾ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ عَلَى إِكَافٍ عَلَيْهِ قَطِيفَةٌ فَرَكِبَهُ وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ وَرَأَاهُ.

- وَهَلْ كَانَ صلى الله عليه وسلم يُسَلِّمُ عَلَى الصَّبِيَّانِ؟

(1) رواه مسلم (746).

(2) «صحيح»، شرح السنه للبغوي (13 / 248)، وضححه الألباني في «الصحيحه» (544).

(3) رواه البخاري (6039).

(4) رواه البخاري (5964).

يُخْبِرُنَا بِذَلِكَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ره كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صَبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَفْعَلُهُ».

- وَهَلْ كَانَ صلى الله عليه وآله يُخَالِطُ الصَّبْيَانَ؟

يُخْبِرُنَا بِذَلِكَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ره قَالَ: «إِنْ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله لِيُخَالِطَنَا حَتَّى يَقُولَ لِأَخِي صَغِيرٍ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ»». كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾.

- وَهَلْ صَحَّ أَنَّ الْأُمَّةَ مِنَ الْإِمَاءِ لَتَأْخُذُ بِيَدِهِ حَيْثُ شَاءَتْ؟

يُخْبِرُنَا بِذَلِكَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ره كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽³⁾ قَالَ: «إِنْ كَانَتْ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَتَنْطَلِقُ حَيْثُ شَاءَتْ».

فَأَيُّ تَوَاضَعٍ هَذَا - أَيُّهَا النَّاسُ - ؟ فَهَلْ رَأَيْتُمْ أَوْ سَمِعْتُمْ بِمِثْلِ تَوَاضَعِهِ بِأَبِي هُوَ وَ أُمِّي صلى الله عليه وآله؟!.

أَتَأْخُذُ الْأُمَّةُ مِنَ الْإِمَاءِ بِيَدِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ، وَأَزْكَى الْبَشَرِيَّةِ فَتَنْطَلِقُ حَيْثُ شَاءَتْ، فَلَا يَأْنَفُ وَلَا يَتَأَفَّفُ وَلَا يَتَضَجَّرُ وَلَا يَتَبَرَّمُ، يَرْكَبُ نَاقَةً لَهُ فَيَأْتِي أَعْرَابِيًّا عَلَى قَعُودٍ لَهُ فَيَسْبِقُهَا فَيَسْقُ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَيَقُولُ كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ره: «إِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ».

وَيُعَلِّقُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ ره عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ بِقَوْلِهِ: «فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى الْحَثِّ عَلَى عَدَمِ التَّرْفَعِ، وَالْحَثِّ عَلَى التَّوَضُّعِ وَالْإِعْلَامِ بِأَنَّ أُمُورَ الدُّنْيَا نَاقِصَةٌ غَيْرُ كَامِلَةٌ».

(1) «رواه البخاري» (6247)، واللفظ له، ومسلم (2168).

(2) «رواه البخاري» (6129)، ومسلم (2150).

(3) «رواه البخاري» (6072).

(4) «رواه البخاري» (6501).

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ رحمته: «فِيهِ هَوَانُ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ، وَالتَّنْبِيهِ عَلَى تَرْكِ الْمُبَاهَاةِ وَالْمُفَاخَرَةِ وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ هَانَ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ فِي مَحَلِّ الضَّعْفِ فَحَقُّ عَلَى كُلِّ ذِي عَقْلِ أَنْ يَزْهَدَ فِيهِ وَيُقَلِّلَ مُنَافَسَتَهُ فِي طَلْبِهِ»⁽¹⁾.

وَيَأْتِي النَّبِيُّ عليه السلام رَجُلٌ فَلَمَّا رَأَى هَيْبَتَهُ أَزْعَدَتْ فَرَائِضُهُ فَيُعْرِفُ ذَلِكَ فِيهِ فَيَقُولُ لَهُ كَمَا فِي «مُسْتَدْرَكِ الْحَاكِمِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه: «هُوَ نَ عَلَيْهِ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ، كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ».

أَيُّهَا النَّاسُ، الْحَدِيثُ عَنْ تَوَاضُعِ النَّبِيِّ عليه السلام ذُو شُجُونٍ وَلَعَلَّ فِي هَذَا الْقَدْرِ كِفَايَةٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ. رَزَقَنَا اللَّهُ حُسْنَ اتِّبَاعِهِ، وَالْإِتْسَاءَ بِهِ وَالْإِهْتِدَاءَ بِهِدْيِهِ.



(1) «الفتح» (349 / 11).

(2) «صحيح»: أخرجه الحاكم (466 / 2) وصحَّحه الألباني في «الصَّحِيحَةِ» (1876).

الْحَسَدُ

[27]

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا

اللَّهَ الَّذِي فَسَخَ لَكُمْ فِيهِ الْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ عَنِ الْحَسَدِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، الْحَسَدُ وَمَا أَذْرَاكُمْ مَا الْحَسَدُ؟ الْحَسَدُ مَنَبِعُ الشُّرُورِ الْعَظِيمَةِ وَمِفْتَاحُ

الْعَوَاقِبِ الْوَحِيمَةِ.

وَيُعَرَّفُ بِأَنَّهُ كَرَاهَةُ النِّعْمَةِ وَحُبُّ زَوَالِهَا عَنِ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ، هَذَا هُوَ تَعْرِيفُهُ وَهُوَ

خُلِقَ قَبِيحٌ بِكُلِّ إِنْسَانٍ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ.

بَلْ هُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْيَهُودِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّوْكُمْ مِّنْ بَعْدِ
إِيْمَانِكُمْ كَثْرًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقَّ فَاعْتَرُوا وَأَصْحَمُوا حَتَّىٰ بَاتُوا اللَّهُ
بِأَمْهُرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة: 109).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ: «يَحْذَرُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ سُلُوكِ طَرِيقِ الْكُفَّارِ مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ، وَيُعَلِّمُهُمْ بَعْدَ أَوْتِهِمْ هُمْ فِي الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ، وَمَا هُمْ مُشْتَمِلُونَ عَلَيْهِ مِنْ
الْحَسَدِ لِلْمُؤْمِنِينَ مَعَ عِلْمِهِمْ بِفَضْلِهِمْ وَفَضْلِ نَبِيِّهِمْ».

فَوَصَفَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿ كَثْرًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقَّ ﴾ يَعْنِي:
«مِنْ بَعْدِ مَا أَضَاءَ لَهُمُ الْحَقُّ لَمْ يَجْهَلُوا مِنْهُ شَيْئًا وَلَكِنَّ الْحَسَدَ حَمَلَهُمْ عَلَى الْجُحُودِ
فَعَيَّرَهُمْ وَوَبَّخَهُمْ وَلَا مَهْمَ أَشَدَّ الْمَلَامَةِ»⁽¹⁾.

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا
مَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: 54).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ: «يَعْنِي ذَلِكَ حَسَدُهُمُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُ اللَّهُ مِنَ النُّبُوَّةِ
الْعَظِيمَةِ وَمَنْعُهُمْ مِنْ تَصَدِيقِهِمْ إِيَّاهُ حَسَدُهُمْ لَهُ لِكُونِهِ مِنَ الْعَرَبِ وَلَيْسَ مِنْ بَنِي
إِسْرَائِيلَ»⁽²⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ، كَمَا اتَّصَفَ الْيَهُودُ بِالْحَسَدِ فَهَوَ - أَيْضًا - صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ؛
قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ إِنْ تَسْكُمُ حَسَنَةٌ تَكُونُ مِنْكُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ
تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَسْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (آل عمران: 120).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ إِنْ تُصِيبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكَ مُصِيبَةٌ
يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَكَتَلْنَا وَإِهِمْ يَفْرَحُونَ ﴾ (التوبة: 50).

(1) تفسير ابن كثير، (1/184).

(2) المرجع السابق، (2/194).

أَيُّهَا النَّاسُ، مَا خَلَا جَسَدٌ مِنْ حَسَدٍ لَكِنَّ الْكَرِيمَ يُخْفِيهِ وَاللَّيْمَ يُبْدِيهِ.
قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رحمته وَقَالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ: هَلْ يُحْسَدُ الْمُؤْمِنُ؟
قَالَ: مَا أَنْسَاكَ إِخْوَةَ يُوسُفَ!

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٥١﴾ قَالَ يَبْنَؤُ لَا تَقْصُصْ رُءُوسَكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ
لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥٢﴾ (يوسف: 4-5).

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رحمته: «لَمَّا تَمَكَّنَ الْحَسَدُ فِي قُلُوبِ إِخْوَةِ يُوسُفَ أَرَى الْمَظْلُومَ
مَا لِلظَّالِمِ فِي مِرَاةٍ: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ ، فَتَلَطَّفُوا بِخِدَاعٍ: ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا﴾
وَشَوَّقُوا يُوسُفَ إِلَى رِيَاضٍ: ﴿يَرْزُقُ وَيَلْعَبُ﴾ فَلَمَّا أَضْحَرُوا وَأَظْهَرُوا الْمَقْتَ لَهُ،
وَرَمَوْا بِسَهْمِ الْعُدْوَانِ مَقْتَلَهُ وَأَغْبَاشَ غِيَابَةِ الْجُبِّ: ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقُوَّةَ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ﴾
وَبَعْدَ ذَلِكَ وَصَلَ بِهِمُ الْحَسَدُ إِلَى أَنْ يُلْقُوهُ فِي الْجُبِّ وَفَرَجَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَخَذَهُ بَعْضُ
السَّيَّارَةِ ثُمَّ كَانَ مَالُهُ إِلَى بَيْتِ الْمَلِكِ بِمَضَرَ، ثُمَّ نَشَأَ وَتَرَعَرَ عَ، وَفُتِنَتْ بِهِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ،
وَأَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْ سُورِنَهَا؛ لِأَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُخْلِصِينَ ثُمَّ سُجِنَ ثُمَّ أُفْرِجَ عَنْهُ وَقَالَ لَهُ
الْمَلِكُ: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ (يوسف: 54) «⁽¹⁾».

أَيُّهَا النَّاسُ، الْحَسَدُ مِنْ أَسْبَابِ هَلَاكِ الْأُمَّمِ، وَهُوَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ.

فَقَدْ أَخْرَجَ «الْعِرَاقِيُّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ سَيُصِيبُ أُمَّتِي دَاءُ الْأُمَّمِ». قَالُوا: وَمَا دَاءُ الْأُمَّمِ؟ قَالَ: «الْأَشْرُ وَالْبَطْرُ
وَالْتَكَاثُرُ وَالتَّنَافُسُ فِي الدُّنْيَا وَالتَّبَاعُدُ وَالتَّحَاسُدُ حَتَّى يَكُونَ الْبَغْيُ ثُمَّ الْهَرْجُ»⁽²⁾.

(1) «المدحش»، (ص 80).

(2) «صحيح»: «المغني عن حمل الأسفار» (2/863).

فالحديث - أيها الناس - قد دلَّ على أن الحسد واقع في هذه الأمة كما هو في الأمم السابقة كما دلَّ الحديث على عاقبة الحسد وأن عاقبته تؤول إلى البغي ثم الهرج أي: الظلم ثم القتل.

فالظلم - أيها الناس - هو نظير ما حصل ليوسف عليه السلام من إخوانه والقتل نظير ما حصل لابن آدم من أخيه وذلك في قوله - تعالى - : ﴿ وَأَقْبَلُ عَلَيْهِمْ تَبًّا آتِقًا ءَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ لَيْسَ لَكَ بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ غَالِبٌ إِنَّهُمْ عَلَىٰ رَبِّكَ لَأَعْيُنٌ عَذُوبَةٌ ﴿٨﴾ أَتَىٰ يَاقُونَِبُ إِذْ يَبُوءُ بِالَّذِي أُورِثَ أَنَّ تَبَوَّأَ لِأَخِيهِ وَمِمَّا كَرِهَ اللَّهُ لِعِبَادِهِ تَمَتُّعَ الزَّوْجِ وَالزَّوْجِ فَتَمَتَّعُوا بِالزَّوْجِ الَّذِي زَوَّجْتَهُمْ لَمْ يَكُنِ لَهُمْ عَلَيْهِمْ جُنُودٌ عَلَيْهِمْ سُلُوفٌ وَأُولَٰئِكَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ (المائدة: 27-30).

قال ابن كثير رحمته: «يقول الله - سبحانه، وتعالى - مبيِّنًا عاقبة البغي والحسد والظلم في خير ابني آدم لصلبه في قول الجمهور وهما قابيل وهابيل كيف عدا أحدهما على الآخر فقتله بغيا عليه وحسدا له فيما وهبه الله من النعمة وتقبَّل القربان الذي أخلص فيه لله عزَّ وجلَّ» (١).

أيها الناس، لما كانت عاقبة الحسد وبيلة فقد أمر الله - سبحانه، وتعالى - بالتعوذ من الحاسد إذا حسد.

فقال - سبحانه، - : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾ (الفلق: 1-5).

وحذَّر النبي ﷺ من الحسد.

(1) تفسير ابن كثير (3/50).

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ لِإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحْسُبُوا وَلَا تَتَّجِسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا
وَلَا تَبَاهُضُوا وَلَا تَدَابِرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا».

أيها الناس، لَا يَزَالُ الْإِنْسَانُ بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَحْسُدْ.

فقد أخرج الطبراني في «الكبير» بسند حسن، حسنه الألباني في «صحيح
الترغيب» من حديث ضمرة بن ثعلبة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَزَالُ
النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَتَحَاسَدُوا»⁽²⁾.

وأفضل الناس من كان خاليا من الحسد.

ففي «سنن ابن ماجه» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترغيب»⁽³⁾
من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ
أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كُلُّ مَحْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ». قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا
مَحْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا بَغْيَ وَلَا حَسَدَ».

أيها الناس، ليس من خلق المؤمنين أن يجمع بين الإيثار والحسد.

ففي «سنن النسائي» و«الإحسان لابن حبان» بسند حسن، حسنه الألباني في
«صحيح الترغيب»⁽⁴⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا
يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبٍ هَبِيدٌ: الْإِيثَانُ وَالْحَسَدُ».

(1) رواه البخاري (6066)، ومسلم (2563).

(2) «حسن»، أخرجه الطبراني في «الكبير» (8/8157)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (2887).

(3) «صحيح»، أخرجه ابن ماجه (4216)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (2889).

(4) «حسن»، أخرجه النسائي (3111)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (2886).

أَيُّهَا النَّاسُ، التَّنَافُسُ إِذَا لَمْ يَصْحَبْهُ تَقْوَى اللَّهِ عَاقِبَتُهُ إِلَى الْحَسَدِ، فَالْمُنَافَسَةُ طَلَبُ التَّشْبِيهِ بِالْأَفْضَلِ مِنْ غَيْرِ إِذْخَالِ ضَرَرٍ عَلَيْهِمْ وَالْحَسَدُ مَضْرُوفٌ إِلَى الضَّرَرِ، فَالْمُنَافَسَةُ إِذَا صَحِبَهَا تَقْوَى اللَّهِ فَهِيَ دَاعِيَةٌ إِلَى اخْتِسَابِ الْفَضَائِلِ وَالْإِقْتِدَاءِ بِالْأَخْيَارِ الْأَفْضَلِ.

فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسٌ وَالرُّومُ أَيْ قَوْمٌ أَنْتُمْ؟».

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللَّهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟ تَتَنَافَسُونَ ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ ثُمَّ تَتَدَابِرُونَ ثُمَّ تَتَبَاغِضُونَ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ثُمَّ تَنْتَطِلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ فَتَجْعَلُونَ بَعْضُهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ».

قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قَوْلُهُ: «تَتَنَافَسُونَ ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ» أَصْلُ التَّنَافُسِ التَّسَابِقُ إِلَى الشَّيْءِ أَيُّهُمْ يَأْخُذُهُ أَوْلَا وَكَأَنَّهُ كَثْرَةُ الرَّغْبَةِ فِي الشَّيْءِ هُوَ أَوَّلُ بَابِ التَّحَاسُدِ»⁽²⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ، هُنَاكَ نَوْعٌ مِنَ الْحَسَدِ الْمُحْمُودِ وَهُوَ أَنْ يَتَمَنَّى الرَّجُلُ مِثْلَ عَمَلِ أَخِيهِ أَوْ أَفْضَلَ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ تَمَنِّي زَوَالِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى أَخِيهِ فَهَذِهِ يُسَمِّيهِ الْعُلَمَاءُ الْغِبْطَةَ.

قَالَ الْكَفَوِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْغِبْطَةُ: تَمَنِّي الْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنَ الَّذِي لِغَيْرِهِ مِنْ غَيْرِ إِرَادَةٍ إِذْهَابِ مَا لِغَيْرِهِ، أَمَّا الْحَسَدُ فَهُوَ إِرَادَةُ زَوَالِ نِعْمَةِ الْغَيْرِ ثُمَّ إِنَّ الْغِبْطَةَ صِفَةُ الْمُؤْمِنِ وَالْحَسَدُ صِفَةُ الْمُنَافِقِ»⁽³⁾.

(1) رواه مسلم (2962).

(2) إكمال المعلم (513/8).

(3) «الكليات» (242).

فَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الْحَسَدِ سَمَاءُ الْعُلَمَاءِ الْغِيْطَةُ وَقَدْ سَمَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ حَسَدًا.

فِي «الصَّحِيْحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسَلَطَهُ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ، وَآخَرَ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا».

وَفِي «صَحِيْحِ الْبُخَارِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَنْتَلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فَسَمِعَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا لَيْتَنِي أُوتَيْتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا فَعَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ هَذَا، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الْحَقِّ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا لَيْتَنِي أُوتَيْتُ مَا أُوتِيَ هَذَا فَعَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ هَذَا».

أَيُّهَا النَّاسُ، عَلِمْتُمْ الْحَسَدَ الَّذِي نَهَى عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَّا فِي مَوْضِعَيْنِ هُوَ الَّذِي سَمَّاهُ الْعُلَمَاءُ الْغِيْطَةَ. وَهُوَ أَنْ يُحِبَّ مِثْلَ حَالِ الْغَيْرِ وَيَكْرَهُ أَنْ يُفْضَلَ عَلَيْهِ فَهَذَا مَحْمُودٌ مَرْغُوبٌ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُحِبُّ زَوَالَ ذَلِكَ الْخَيْرِ عَنْ غَيْرِهِ وَلَا يَتَمَنَّى ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ، وَمَتَى أَحَبَّ أَنْ تَكُونَ لَهُ مِثْلَ مَا لِغَيْرِهِ مِنَ الْخَيْرِ وَقَامَ فِي نَفْسِهِ حُبُّ زَوَالِ ذَلِكَ الْخَيْرِ عَنْ غَيْرِهِ أَوْ تَمَنَّى ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ فَهُوَ الْحَسَدُ الْمَذْمُومُ الَّذِي نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْهُ.

وَأَسْتَغْفِرُ الله.

(1) رواه البخاري (5025)، ومسلم (816).

(2) رواه البخاري (5026).

الخطبة الثانية - علاج الحسد

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - فَقَدِمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ عَنِ الْحَسَدِ وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ مِنْ عِلَاجِ الْحَسَدِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، عِلَاجُ الْحَسَدِ مِنْهُ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْحَاسِدِ وَمِنْهُ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَحْسُودِ.

فَعِلَاجُ الْمَحْسُودِ مَا يَأْتِي،

1- الرُّجُوعُ إِلَى اللَّهِ وَتَجَرِيدُ التَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي سَلَطَتْ عَلَيْهِ أَعْدَاءَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - يَقُولُ: ﴿ وَمَا أَصْحَابَكُم مِّن مَّوْبِقِكُمْ فِيمَا كُنتُمْ بِهَا بِكُفْرًا ﴾ (الشورى: 30).

2- التَّعَوُّذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الْحَاسِدِ:

وَالتَّعَوُّذُ مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ كَمَا فِي سُورَةِ الْفَلَقِ، وَيَحْسُنُ قِرَاءَةُ الْمُعَوِّذَاتِ الثَّلَاثِ (الإِخْلَاصِ، وَالْفَلَقِ، وَالنَّاسِ) ذُبَّ كُلُّ صَلَاةٍ وَحِينَ نُضْبِعُ وَحِينَ نُنْمِيهِ وَإِذَا أَوْينَا إِلَى فِرَاشِنَا وَإِلَى هَذَا أَرْشَدَنَا النَّبِيُّ ﷺ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْحَسَدَ يَشْتَرِكُ مَعَ الْعَيْنِ فِي الْأَثَرِ حَيْثُ يُسَبِّبَانِ ضَرَرًا لِلْمَعِينِ وَالْمَحْسُودِ وَيَحْتَلِفَانِ فِي الْمُضْدَرِّ، فَمُضْدَرُّ الْحَسَدِ تَحْرِيقُ الْقَلْبِ وَاسْتِكْثَارُ النِّعْمَةِ عَلَى الْمَحْسُودِ، وَتَهْمِي زَوَالِهَا عَنْهُ، وَأَمَّا الْعَائِنُ فَمُضْدَرُّهُ انْقِدَاحُ نَظَرَةِ الْعَيْنِ لِدَا قَدْ يُصِيبُ مَنْ لَا يَحْسُدُهُ.

3- التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ حَسْبُ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ، وَكَافِي مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (الطلاق: 3).

4- تَقْوَى اللَّهِ وَحِفْظُهُ عِنْدَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (الطلاق: 2).

أَيُّهَا النَّاسُ، ذَلِكَ شَيْءٌ مِنْ عِلَاجِ الْمَحْسُودِ، وَأَمَّا عِلَاجُ الْحَسَدِ فَالْحَدِيثُ عَنْهُ
ذُو شُجُونٍ فَمِنْهُ: تَقْوَى اللَّهِ وَالصَّبْرُ الْجَمِيلُ فَمَنْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ حَسَدًا لِغَيْرِهِ
فَلْيَسْتَعْمِلْ مَعَهُ الصَّبْرَ وَالتَّقْوَى فَيَكْرَهُ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ.

- وَمِنْ عِلَاجِ الْحَسَدِ - أَيُّهَا النَّاسُ - الْاِسْتِسْلَامُ لِلْمَقْدُورِ وَالرِّضَى بِالْقَضَاءِ وَلَا
يَرَى أَحَدٌ أَنْ يُغَالِبَ قَضَاءَ اللَّهِ فَيَرْجِعَ مَغْلُوبًا. فَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: «مَنْ رَضِيَ
بِقَضَاءِ اللَّهِ - تَعَالَى - لَمْ يَسْخَطْهُ أَحَدٌ وَمَنْ قَنِعَ بِعَطَائِهِ لَمْ يَدْخُلْهُ حَسَدٌ».

- وَمِنْ عِلَاجِ الْحَسَدِ - أَيُّهَا النَّاسُ - ذِكْرُ الْمَوْتِ.

فَقَدْ قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: «مَا أَكْثَرَ عَبْدٌ ذَكَرَ الْمَوْتَ إِلَّا قَلَّ فَرَحُهُ وَقَلَّ حَسَدُهُ».

- وَمِنْ عِلَاجِ الْحَسَدِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ يَعْلَمَ الْحَاسِدُ أَنَّهُ يَجْلِبُ لِنَفْسِهِ الْهَمَّ وَالْغَمَّ
وَالْكَرْبَ فَتَرَكَ الْحَسَدَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الرَّاحَةِ.

قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ: «الْحَسَدُ دَاءٌ الْجَسَدِ».

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: «يَكْفِيكَ مِنَ الْحَاسِدِ أَنَّهُ يَغْتَمُّ وَقَتَ سُرُورِكَ».

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «مَا رَأَيْتُ ظَالِمًا أَشْبَهَ بِمَظْلُومٍ مِنَ الْحُسُودِ نَفْسٌ دَائِمٌ وَهَمٌّ لَازِمٌ
وَقَلْبٌ هَائِمٌ».

وَلَعَلَّ فِي هَذَا الْقَدْرِ كِفَايَةٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ
الْحَسَدِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ.

التَّحذِيرُ مِنَ الْبُخْلِ

28

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا

اللَّهِ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، حَدِيثِي مَعَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ عَنِ «التَّحذِيرِ مِنَ الْبُخْلِ».

أَيُّهَا النَّاسُ، مَا مِنْ شَيْءٍ أَنْ الْبُخْلَ مَرَضٌ مِنْ أَمْرَاضِ الْمُجْتَمَعِ بَلْ هُوَ الدَّاءُ الدَّائِي.

فَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ رحمته فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ

الْأَلْبَانِيُّ فِي «الرَّوْضِ النَّضِيرِ» مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

ﷺ: «وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ؟»⁽¹⁾.

(1) رواه البخاري (5025).

أَيُّهَا النَّاسُ، جُعِلَتِ النَّفُوسُ عَلَى بُغْضِ الْبَخِيلِ؛ لِأَنَّهُ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ بَعِيدٌ مِنْ خَلْقِهِ
بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لِلْبُخْلِ مَسَاوِيُّ جَمَّةٍ غَزِيرَةٌ سَوْفَ اقْتَصِرَ بِذِكْرِ طَرَفٍ مِنْهَا، فَمِنْهَا:

1- أَنَّ الْبَخِيلَ يَظُنُّ أَنَّهُ يَبْخُلُهُ يُحَافِظُ عَلَى مَالِهِ وَهُوَ إِنَّمَا يُحْرِمُ نَفْسَهُ ثَوَابَ اللَّهِ. أَلَمْ

يَقُلِ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ إِنَّمَا لِلدُّنْيَا لَوْمٌ وَلَهُوَ وَلَانِ قَوْمًا وَتَنَفَّقُوا بِؤُزُكُمُ الْجُورِكُمْ وَلَا

يَسْتَلِكُمْ أَمْوَالِكُمْ ﴿٣٦﴾ إِنْ يَسْتَلِكُمْ فَيُخْرِجِكُمْ وَيَخْرِجِ اصْفَانَكُمْ ﴿٣٧﴾ مَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ

لِيُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَخِلْ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ

وَلَا تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾ (محمد: 36-38).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رحمته: «يَقُولُ تَعَالَى تَحْقِيرًا لِأَمْرِ الدُّنْيَا وَتَهْوِينًا لِشَأْنِهَا: ﴿ إِنَّمَا لِلدُّنْيَا

الدُّنْيَا لَوْمٌ وَلَهُوَ ﴾ أَي حَاصِلُهَا ذَلِكَ إِلَّا مَا كَانَ مِنْهَا لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَهَذَا قَالَ: ﴿ وَلَئِنْ

قَوْمًا وَتَنَفَّقُوا بِؤُزُكُمُ الْجُورِكُمْ وَلَا يَسْتَلِكُمْ أَمْوَالِكُمْ ﴾ أَي هُوَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ لَا يَطْلُبُ مِنْكُمْ شَيْئًا وَإِنَّمَا

فَرَضَ عَلَيْكُمْ الصَّدَقَاتِ مُوَاسَاةً لِإِخْوَانِكُمُ الْفُقَرَاءِ لِيَعُودَ نَفْعُ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ وَيَرْجِعَ

ثَوَابُهُ إِلَيْكُمْ ثُمَّ قَالَ - جَلَّ جَلَالُهُ - : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَلِكُمْ فَيُخْرِجِكُمْ وَيَخْلُوا ﴾ أَي: يُخْرِجُكُمْ

تَبْخُلُوا ﴿ وَيَخْرِجِ اصْفَانَكُمْ ﴾».

قَالَ قَتَادَةُ: قَدْ عَلِمَ اللَّهُ - تَعَالَى - أَنَّ فِي إِخْرَاجِ الْأَمْوَالِ إِخْرَاجِ الْأَصْغَانِ، وَصَدَقَ

قَتَادَةُ فَإِنَّ الْمَالَ مَحْبُوبٌ وَلَا يُصْرَفُ إِلَّا فِيمَا هُوَ أَحَبُّ إِلَى الشَّخْصِ مِنْهُ وَقَوْلُهُ - تَعَالَى -:

﴿ مَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِيُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ ﴾ أَي لَا يُجِيبُ إِلَى ذَلِكَ.

﴿ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَخِلْ عَن نَّفْسِهِ ﴾ أَي: إِنَّمَا نَقَصَ نَفْسَهُ مِنَ الْأَجْرِ وَإِنَّمَا يَعُودُ وَبَالَ

ذَلِكَ عَلَيْهِ»⁽¹⁾.

(1) «تفسير ابن كثير» (7/216).

2- أَنَّ الْبُخِيلَ يُجَازِي بِعَمَلِهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَا شَكَّ أَنَّ الْبُخِيلَ يُجَازِي بِعَمَلِهِ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ كَمَا قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ وَأَمَّا مَنْ يَبْخُلْ وَأَسْتَفْتَى ۙ وَكَذَّبَ بِالسُّعَى ۙ فَنُيَبِّرُهُ لِلْمُتْرَى ۙ فَمَا يَتَّبِعِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ۙ ﴾ (الليل: 8-11).

فَالْآيَاتُ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَضَمَّنَتْ الْوَعِيدَ بِالتَّعْسِيرِ لِمَنْ بَخَلَ بِمَالِهِ وَاسْتَفْتَى عَنْ رَبِّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَكَذَّبَ بِالْجُزْءِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رحمته: « ﴿ فَنُيَبِّرُهُ لِلْمُتْرَى ﴾ أَي: لِطَرِيقِ الشَّرِّ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنَقَلَبْ أَعْدَتَهُمْ وَأَبْصَرْتَهُمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِمْ أَوْلَ مَرَقَ وَنَذَرْتَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَتَمَثَّلُونَ ﴾ (الأنعام: 110).

وَالْآيَاتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ ذَالَّةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يُجَازِي مَنْ قَصَدَ الْخَيْرَ بِالتَّوْفِيقِ وَمَنْ قَصَدَ الشَّرَّ بِالتَّخْذَلَانِ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِقَدْرِ مُقَدَّرٍ⁽¹⁾.

3- أَنَّ جَمْعَ الْمَالِ مَعَ الْبُخْلِ وَبِأَلٍ عَلَى صَاحِبِهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ يُحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنَّ جَمْعَهُ الْمَالِ مَعَ الْبُخْلِ أَنَّ ذَلِكَ نَافِعُهُ بَلْ هُوَ مَضْرَّةٌ عَلَيْهِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنْتَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ يَمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (آل عمران: 180).

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رحمته قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مِثْلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَيْبَتَانِ»

(1) المرجع السابق (261/8).

(2) رواه البخاري (1403).

يُطَوِّفُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُ بِلَهْزَمَتَيْهِ - يَعْنِي شِدْقَيْهِ - ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالِكٌ، أَنَا كَنْزُكَ ثُمَّ تَلَا: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ بِمَاءِ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ مِنَ قَضِيئِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ يُبْرِتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ .

4- أَنْ الْمَلَائِكَةَ يَدْعُونَ عَلَى الْمُنْسِكِ بِالتَّلْفِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْعَاقِبَةِ الْعَاجِلَةَ لِلْبَخِيلِ إِلَّا دُعَاءُ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِ بِتَلْفِ أَمْوَالِهِ لَكَانَ فِي ذَلِكَ كِفَايَةٌ فِي ارْتِدَاعِهِ فَكَيْفَ وَقَدْ جَمَعَ الْبُخْلَ آفَاتٍ كَثِيرَةً تَفُوقُ الْحَضَرَ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُضْبِحُ الْعِبَادُ إِلَّا وَمَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا لِلَّهِمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْسِكًا تَلْفًا».

أَيُّهَا النَّاسُ، الدُّعَاءُ بِالتَّلْفِ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ. فَقَدْ يَكُونُ أَضْلُ الْمَالِ أَوْعَيْنُهُ مَوْجُودًا، لَكِنْ لَا بَرَكَةَ لَهُ، وَقَدْ تَتَلَفُ نَفْسُ صَاحِبِ الْمَالِ، وَالْمُرَادُ بِهِ فَوَاتُ أَعْمَالِ الْبِرِّ بِالتَّشَاغُلِ بِغَيْرِهَا كَمَا قَالَ ذَلِكَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رضي الله عنه⁽²⁾.

5- إِنْ مَنَعَ الْعَبْدِ الْحَقَّ الْوَاجِبَ وَبَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنْ مَنَعَ الْعَبْدِ الْحَقَّ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ كَالزَّكَاةِ أَوْ النِّفَقَاتِ الْوَاجِبَةِ لِلزَّوْجَاتِ أَوْ الْأَقَارِبِ، أَوْ النِّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِذَا وَجِبَتْ فَهُوَ مَمَّنْ يَشْمَلُهُمْ قَوْلُهُ - تَعَالَى - ﴿ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ

(1) رواه البخاري (1442)، ومسلم (1010).

(2) «فتح الباري» (3/305).

أَيُّهَا النَّاسُ ﴿٣٥﴾ يَوْمَ يُخَمَّنُ عَلَيْهِمَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكُونُ يَمَانِيَهُمَا جِبَاهَهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَفَرْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَلَوْ قَرَأْتُمْ مَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿ (التوبة: 34-35).

6- إِنَّ الْبُخْلَ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ النَّارِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مَا مِنْ شَيْءٍ أَنْ الْبُخْلَ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ النَّارِ الَّتِي يُعْرَفُونَ بِهَا فِي الدُّنْيَا.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عِيَّاضِ بْنِ حَمَارِ الْمُجَاشِعِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زُبْرَ لَهُ الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَتَّبِعُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا، وَالْحَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ، وَرَجُلٌ لَا يُضْبِحُ وَلَا يُنْسِي إِلَّا وَهُوَ يُجَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ، وَذَكَرَ الْبُخْلَ أَوْ الْكُذِبَ وَالسُّنْظِيرَ وَالْفَحَّاشَ».

فَقَوْلُهُ الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زُبْرَ لَهُ أَيُّ لَا عَقْلَ لَهُ بِزُبْرِهِ وَيَمْنَعُهُ مِمَّا لَا يَنْبَغِي، وَأَمَّا السُّنْظِيرُ فَهُوَ السَّيِّءُ الْخُلُقِ.

وَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ النَّارِ كُلَّ جَعظري جَوَّازٍ مُسْتَكْبِرٍ جَمَاعٍ مَنَاعٍ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ الضُّعْفَاءُ الْمَغْلُوبُونَ».

7- أَنَّ الْبُخْلَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، أَنَّ الْبُخْلَ قَدْ يَوْضَعُ فِي الْقُلُوبِ حَتَّى لَا يَجِدَ الْعَبْدَ لَهُ فَكَأَنَّ.

(1) رواه مسلم (2865).

(2) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (142)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (1741).

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«يتقارب الزمان، وينقص العمل ويلقي الشُّحُّ، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج». قالوا: يَا
رَسُولَ اللَّهِ أَيُّهَا هُوَ؟. قَالَ: «القتل القتل».

والشُّحُّ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ الْبَخْلُ بِأَدَاءِ الْحَقُوقِ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رضي الله عنه: «قَوْلُهُ: «يَلْقَى الشُّحُّ» فَالْمُرَادُ إِقَاؤُهُ فِي قُلُوبِ
النَّاسِ عَلَى اخْتِلَافِ أَحْوَالِهِمْ حَتَّى يَبْخُلَ الْعَالَمُ بِعِلْمِهِ فَيَتْرَكَ التَّعْلِيمَ وَالْفَتْوَى، وَيَبْخُلُ
الصَّانِعُ بِصِنَاعَتِهِ حَتَّى يَتْرَكَ تَعْلِيمَ غَيْرِهِ، وَيَبْخُلُ الْغَنِيُّ بِمَالِهِ حَتَّى يَهْلِكَ الْفَقِيرُ،
وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَصْلَ الشُّحِّ لِأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ مَوْجُودًا»⁽²⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ، مِنْ مَحَاسِنِ دِينِنَا الْحَنِيفِ أَنَّهُ حَثَّ عَلَى الْكُرْمِ بَلَّ أَنَّهُ كَرِهَ لِأَهْلِهِ
الإِحْصَاءَ فِي الْإِنْفَاقِ عَلَى الْغَيْرِ وَنَدَبَ إِلَى الْإِنْفَاقِ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

ففي «الصحيحين»⁽³⁾ من حديث أسماء رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَنْفَقِي
وَلَا تُحْصِي فَيُحْصِيَ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَلَا تَوْعِي فَيُوعِي اللَّهُ عَلَيْكَ».

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رضي الله عنه: «الإِحْصَاءُ مَعْرِفَةُ قَدْرِ الشَّيْءِ وَزَنًّا أَوْ عَدَدًا وَهُوَ مِنْ
بَابِ الْمَقَابَلَةِ، وَالْمَعْنَى النَّهْيُ عَنِ مَنَعِ الصَّدَقَةِ خَشْيَةَ النِّفَادِ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَعْظَمُ الْأَسْبَابِ لِقَطْعِ
الْبُرْكَاتِ، لِأَنَّ اللَّهَ يَثِبُ عَلَى الْعَطَاءِ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَمَنْ لَا يَحَاسِبُ عِنْدَ الْجَزَاءِ لَا يَحْسِبُ عَلَيْهِ
عِنْدَ الْعَطَاءِ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ يَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ فَحَقُّهُ أَنْ يُعْطَى وَلَا يَحْسَبُ»⁽⁴⁾.

(1) رواه البخاري (7061)، ومسلم (157).

(2) «فتح الباري» (17 / 13).

(3) رواه البخاري (1433)، ومسلم (1028).

(4) «فتح الباري» (300 / 3).

أَيُّهَا النَّاسُ، لَعَلَّ هُنَاكَ مَنْ يَظُنُّ أَنِّي أَخَاطِبُ أَهْلَ الدُّثُورِ أَصْحَابِ الْأَمْوَالِ، كَلَّا
فَخِطَابِي إِنَّمَا هُوَ لِلْجَمِيعِ فَإِنَّ أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ جَهْدُ الْمُقِلِّ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ؟ أَجْرًا؟ قَالَ: «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ
صَاحِبُ شَيْءٍ تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَتَأَمَّلُ الْغِنَى، وَلَا تُمَهِّلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْحُلُقُومُ قُلْتَ
لِفُلَانٍ كَذَا وَلِفُلَانٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ».

أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ إِنَّ أَبْخَلَ الْبُخْلِ الْبُخْلُ عَلَى النَّفْسِ وَعَلَامٌ يَبْخُلُ
أَحَدُنَا عَلَى نَفْسِهِ وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمِهِ عَلَى عَبْدِهِ وَإِظْهَارُ
النَّعْمَةِ هُوَ جُزْءٌ مِنَ التَّحَدُّثِ بِهَا وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - يَقُولُ: ﴿وَأَمَّا يَنْعَمَ رَبُّكَ فَعَلَيْتَ﴾
(الضحى: 11).

فَإِذَا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْنَا فَعَلَيْنَا أَنْ نُظْهِرَ أَثَرَ تِلْكَ النَّعْمَةِ فِي طَعَامِنَا وَشَرَابِنَا وَمَلْبَسِنَا
وَمَرْكَبِنَا وَمَسْكِنِنَا.

فَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَابْنِ مَاجَةَ وَالنَّسَائِيِّ» بِسَنَدٍ صَاحِبِ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي
«صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الْأَخْوَصِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي
ثَوْبٍ دُونَ، فَقَالَ: «أَلَيْكَ مَالٌ؟». قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «مِنْ أَيِّ الْمَالِ؟». قَالَ: قَدْ آتَانِي
اللَّهُ مِنَ الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ وَالْحَيْلِ وَالرَّقِيقِ، قَالَ: «فَإِذَا آتَاكَ اللَّهُ مَالًا فَلْيُرْ أَثَرَ نِعْمَةِ اللَّهِ
عَلَيْكَ وَكَرَامَتَهُ».

(1) رواه البخاري (1419)، ومسلم (1032).

(2) «صحيح»: أخرجه أبو داود (4063)، وابن ماجه (3573)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (3428).

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ فِي «سُنَّتِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ».

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية - جود النبي صلى الله عليه وسلم وبعده عن البخل :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ. وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، نَبِينَا مُحَمَّدٌ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ. أَمَا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ عَنِ التَّحْذِيرِ مِنَ الْبُخْلِ، وَالْآنَ حَدِيثِي مَعَكُمْ عَنْ جُودِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَسَخَاؤُهُ وَبُعْدِهِ عَنِ الْبُخْلِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، «نَبِينَا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم هُوَ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ، وَأَزْكَى الْبَشَرِيَّةِ، وَأَعْلَاهَا رُتْبَةً، وَأَجْلَهَا قَدْرًا، وَأَحْسَنَهَا خُلُقًا، وَأَكْرَمَهَا عَلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - اخْتَارَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ، وَأَكْرَمَهُ بِالرِّسَالَةِ وَأَيْدَهُ بِالْوَحْيِ. جَبَلَهُ عَلَى حَمِيدِ الْخِلَالِ، وَفَطَرَهُ عَلَى كَرِيمِ الْخِصَالِ، ثُمَّ آدَبَهُ فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهُ، وَرَبَّاهُ فَأَحْسَنَ تَرْبِيَّتَهُ، فَكَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها عِنْدَمَا سُئِلَتْ عَنْ خُلُقِهِ»⁽²⁾⁽³⁾.

وَهُوَ الْأَسْوَةُ الْحَسَنَةُ، الَّذِي أَمَرْنَا اللَّهَ بِالتَّأْسِي بِهِ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ.

(1) «حسن»: أخرجه الترمذي (2819) وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (1887).

(2) رواه مسلم (746).

(3) انظر «سوء الخلق» للحمد (167).

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَكَرِهَ اللَّهُ جُورًا ﴾ (الأحزاب: 21).

فَهَذِهِ الْآيَةُ - أَيُّهَا النَّاسُ - تُوَكِّدُ اتِّبَاعَ النَّبِيِّ ﷺ وَالْإِقْتِدَاءَ بِهِ وَاعْتِبَارَ ذَلِكَ
الْأَصْلِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ نُنْطَلِقَ مِنْهُ لِتَصْحِيحِ أَخْلَاقِنَا وَتَقْوِيمِ سُلُوكِنَا⁽¹⁾.
أَيُّهَا النَّاسُ، تَعَالَوْا إِنَّا لِنَقِفَ قَلِيلًا عَلَى شَيْءٍ مِنْ جُودِهِ وَكَرَمِهِ فَقَدْ كَانَ ﷺ كَمَا
يَصِفُهُ خَادِمُهُ أَنَسُ رضي عنه: «أَحْسَنُ النَّاسِ وَأَجْوَدُ النَّاسِ وَأَشْجَعُ النَّاسِ». وَالحَدِيثُ
فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» - أَيضًا - مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رضي عنه قَالَ: «مَا سِئَلَ النَّبِيُّ ﷺ
عَنْ شَيْءٍ قَطُّ فَقَالَ لَا»⁽³⁾.

مَا قَالَ لَا - قَطُّ - إِلَّا فِي تَشْهِيدِهِ ... لَوْلَا التَّشْهِيدُ كَانَتْ لَأَوْهُ نَعَمٌ
يَكَادُ يُمْسِكُهُ عِرْفَانٌ رَاحَتِهِ ... رُكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ

أَيُّهَا النَّاسُ، تَعَالَوْا نَنْظُرْ إِلَى عَطَائِهِ بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي وَبُعْدِهِ عَنِ الْبُخْلِ.

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي جُبَيْرُ بْنُ
مُطْعِمٍ أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ النَّاسُ مُقْفَلَةٌ مِنْ حُنَيْنٍ، مَغْلَقَتْ
النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سُمُوءَةٍ فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ فَوَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ:

(1) انظر «الأخلاق بين الطبع والتطبع» لراقمه.

(2) رواه البخاري (2820)، ومسلم (2307).

(3) رواه البخاري (6034)، ومسلم (2311).

(4) رواه البخاري (2821).

«أَغْطُوبُ رِدَائِي، لَوْ كَانَ لِي حِدَّةٌ هَدِيهِ الْعِضَاءُ نَعْمًا لَقَسَمْتُه بَيْنَكُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلَا كَدُوبًا وَلَا جَبَانًا».

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: «أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَنَّمَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ»⁽¹⁾.

قَالَ النَّوَوِيُّ رحمته: «أَيُّ كَثِيرَةٌ كَأَلْهَا قَمَلًا مَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ».

إِلَيْهِ وَإِلَّا لَا تُشَدُّ الرِّكَائِبُ ... وَمِنْهُ وَإِلَّا فَالْمُؤَمَّلُ خَائِبٌ
وَفِيهِ وَإِلَّا فَالْفَرَامُ مَضِيعٌ ... وَعَنْهُ وَإِلَّا فَالْمُحَدَّثُ كَاذِبٌ

أَيُّهَا النَّاسُ، لَعَلَّ فِي هَذَا الْقَدْرِ كِفَايَةٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ فَاللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلْنَاكَ بِهِ نَبِيَّكَ مُحَمَّدًا، وَنَسْتَعِيدُكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَكَ بِهِ نَبِيَّكَ مُحَمَّدًا، اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ يَسْتَعِيدُكَ مِنَ الْبُخْلِ وَنَحْنُ نَسْتَعِيدُكَ بِمَا اسْتَعَاذَكَ بِهِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْقَبْرِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَيَّ مَنْ أَمَرَكَمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيَّ فَقَالَ:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

(الأحزاب: 56).

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:
«مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ عَشْرًا»⁽²⁾.

(1) رواه مسلم (2312).

(2) رواه مسلم (408).

وَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمَشْكَاةِ» مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»⁽¹⁾.

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».



(1) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3795) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمَشْكَاةِ» (933).

قِصَّةُ مُوسَى وَالْحَضِرِ

29

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: 102).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَوَضَعَكُمْ فِيهَا رُوحًا وَإِلَاحًا كَثِيرًا وَلَسَاءُ أَتَقُونَا

اللَّهُ الَّذِي قَسَمَ لَكُمْ يَوْمَ الْآزْهَامِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء: 1).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ

اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، حَدِيثِي مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ قِصَّةِ مُوسَى وَالْحَضِرِ ﷺ.

أَيُّهَا النَّاسُ، اعْلَمُوا - عَلَّمَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ - أَنَّ الْحَضِرَ ﷺ كَانَ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَهَذَا هُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ لِأَدِلَّةٍ مِنْهَا:

- قَوْلُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَأَتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ

لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ (الكهف: 65)، فَالْعَبْدُ هُوَ الْحَضِرُ ﷺ فِي قَوْلِ الْجُمْهُورِ.

- وَقَوْلُهُ - تَعَالَى - ﴿ ءَأَتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا ﴾ (الكهف: 65).

فَالرَّحْمَةُ هِيَ النُّبُوَّةُ، وَقَدْ تَكَرَّرَ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ كَمَا فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى - ﴿أَمْ هُمْ يَعْمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ (الزخرف: 32).

- وَالْعِلْمُ الْوَارِدُ فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى - ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾.

هُوَ عِلْمُ الْوَحْيِ، وَقَدْ تَكَرَّرَ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى - ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء: 113).

- وَقَوْلُهُ - تَعَالَى - ﴿وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَلِيمٌ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ (يوسف: 68).

وَهَذَا - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ التَّفْسِيرُ الصَّحِيحُ الَّذِي عَلَيْهِ الْكِتَابُ - أَيِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ وَتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بِالسُّنَّةِ وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ أَهْلِ الْعِلْمِ.

أَمَّا لِمَاذَا سُمِّيَ الْحَضْرُ بِهَذَا الْأِسْمِ فَيُخْبِرُنَا بِذَلِكَ نَبِينَا ﷺ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا سُمِّيَ الْحَضْرُ أَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فُرُوجِ بَيْضَاءَ، فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ مِنْ خَلْفِهِ حَضْرَاءَ».

أَيُّهَا النَّاسُ، دَعُونِي أَحَلِّقُ بِكُمْ فِي رِيَاضِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ حَيْثُ النَّبِيعُ الصَّافِي وَالْمُورِدُ الْعَذْبُ حَيْثُ يَنْهَلُ مِنْهُمَا كُلُّ وَارِدٍ فَنَأْخُذُ مَا صَفَى وَنَتْرُكُ مَا كَدَرَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، أَمَّا سَبَبُ اجْتِمَاعِ نَبِيِّ اللَّهِ مُوسَى وَكَلِيمِهِ بَعِيدِ اللَّهِ وَنَبِيِّهِ الْحَضْرِ - عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فَيُحَدِّثُنَا عَنْ تَفَاصِيلِ هَذَا اللَّقَاءِ نَبِينَا مُحَمَّدٌ ﷺ.

فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: هَلْ

(1) رواه البخاري (3402).

(2) رواه البخاري (3400)، ومسلم (2380).

تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟ قَالَ: لَا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى: بَلَى، عَبْدُنَا خَضِرٌ، فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَيْهِ، فَجَعَلَ لَهُ الْحُوتَ آيَةً، وَقِيلَ لَهُ: إِذَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَارْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ فَكَانَ يَتَّبِعُ أَثَرَ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ. فَقَالَ لِمُوسَى فَتَاهُ: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَبِئْتُ الْمَوْتِ وَمَا أَنْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ فَقَالَ مُوسَى: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَارْتَدْنَا عَنْ آثَارِهِمَا فَمَعَا﴾، فَوَجَدَا خَضِرًا فَكَانَ مِنْ شَأْنَيْهَا الَّذِي قَصَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ.

فَقَدْ دَلَّ الْحَدِيثُ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَلَى سَبَبِ اجْتِمَاعِ مُوسَى الْكَلِيمِ بِنَبِيِّ اللَّهِ وَعَبْدِهِ الْخَضِرِ **عَلَيْهِ السَّلَامُ** كَمَا صَرَّحَ الْحَدِيثُ بِاسْمِ نَبِيِّ اللَّهِ وَعَبْدِهِ وَأَنَّهُ الْخَضِرُ **عَلَيْهِ السَّلَامُ** وَفِيهَا يَأْتِي مَزِيدٌ بَيَانٍ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ - أَيْضًا - مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ «وَهُوَ الثَّوْرِيُّ» قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ قَالَ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ إِنَّ نَوْفًا الْبُكَائِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى صَاحِبَ الْخَضِرِ لَيْسَ هُوَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّمَا هُوَ مُوسَى آخَرُ، فَقَالَ: كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ، حَدَّثَنَا أَبِي بْنُ كَعْبٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عَنِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ مُوسَى قَامَ حَطْبِيًّا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا، فَعَاتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: بَلَى، لِي عَبْدٌ بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ: أَيُّ رَبِّي وَمَنْ لِي بِهِ» وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: أَيُّ رَبِّ وَكَيْفَ لِي بِهِ - قَالَ: تَأْخُذُ حُوتًا، فَتَجْعَلُهُ فِي مِكَتَلٍ، حَيْثُمَا فُقِدَ الْحُوتُ فَهُوَ تَمَّ وَرُبَّمَا قَالَ: فَهُوَ تَمَّةٌ.

وَأَخَذَ حُوتًا، وَجَعَلَهُ فِي مِكَتَلٍ وَانْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يُوْشَعُ بْنُ نُونٍ حَتَّى إِذَا أَتَيَا الصَّخْرَةَ وَضَعَا رُؤُوسَهُمَا فَرَقَدَ مُوسَى وَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فَخَرَجَ، فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا، فَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنِ الْحُوتِ جَرِيَهُ الْمَاءَ فَصَارَ مِثْلَ الطَّاقِ

(1) رواه البخاري (340)، ومسلم (2380).

فَقَالَ: هَكَذَا مِثْلَ الطَّاقِ، فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ بَقِيَّةَ لَيْلَتَيْهِمَا وَيَوْمَيْهِمَا حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ قَالَ لِفَتَاهُ: آتِنَا غَدَاءَنَا، لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَ حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ قَالَ لَهُ فَتَاهُ: أَرَأَيْتَ إِذَا أَوْينَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ، وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكَرَهُ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا فَكَانَ لِلْحَوْتَ سَرَبًا وَهَمَّا عَجَبًا قَالَ لَهُ مُوسَى: ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا، رَجَعَا يَقْضَانِ آثَارَهُمَا حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِذَا رَجُلٌ مُسْجَى بِثَوْبٍ، فَسَلَّمَ مُوسَى فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ وَأَنْيَ بِأَرْضِكَ السَّلَامُ، قَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَتَيْتَكَ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا، قَالَ: يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ اللَّهُ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكُهُ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ أَنَا، قَالَ: هَلْ أَتَيْتَكَ؟ قَالَ: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ٣٧ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا تَرَى تُحِطُ بِهِ. خَبْرًا ٣٨ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٣٩﴾ فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ كَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمْ فَعَرَفُوا الْخَضِرَ فَحَمَلُوهُ بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَلَمَّا رَكِبَ فِي السَّفِينَةِ جَاءَ عُضْفُورٌ، فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَتَقَرَّرَ فِي الْبَحْرِ تَقَرَّرَةً أَوْ تَقَرَّتَيْنِ، قَالَ لَهُ الْخَضِرُ: يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلُ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُضْفُورُ بِمِنْقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ، إِذْ أَخَذَ الْفَأْسَ فَتَرَعَ لَوْحًا. قَالَ: فَلَمْ يَفْجَأْ مُوسَى إِلَّا وَقَدْ قَلَعَ لَوْحًا بِالْقُدُومِ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: مَا صَنَعْتَ؟ قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمِدَتْ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقَتْهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا. قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، قَالَ: لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا، فَكَانَتْ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا، فَلَمَّا خَرَجَا مِنَ الْبَحْرِ مَرُّوا بِغُلَامٍ يَلْعَبُ مَعَ الصَّبْيَانِ، فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ فَقَلَعَهُ بِيَدِهِ هَكَذَا، أَوْ مَا سُفْيَانُ بِأَصْبَعِهِ كَأَنَّهُ يَقْطِفُ شَيْئًا، فَقَالَ لَهُ مُوسَى:

﴿ أَتَلَّتْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧﴾ ﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ لَكَ إِنْكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٨﴾
 قَالَ إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَوْعٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَيِّبْنِي قَدْ بَلَّغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُنْدًا ﴿٩﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَلْعَمَا
 أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ ﴿١٠﴾ ، مَاثِلًا ، أَوْ مَا بِيَدِهِ هَكَذَا وَأَشَارَ
 سُفْيَانُ كَأَنَّهُ يَمْسَحُ شَيْئًا إِلَىٰ فَوْقِ ، فَلَمْ أَسْمَعْ سُفْيَانَ يَذْكُرُ مَاثِلًا إِلَّا مَرَّةً . قَالَ : قَوْمٌ
 أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُطْعِمُونَا وَلَمْ يُضَيِّفُونَا عَمَدَتْ إِلَىٰ حَائِطِهِمْ ، لَوْ شِئْتُ لَأَتَّخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا .
 ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأْنَيْتَكَ بِأَوَّلِ مَا لَمْ تَسْتَطِيعَ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ .

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «وَدِدْنَا أَنْ مُوسَىٰ كَانَ صَبْرَ فَقَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ خَيْرِهِمَا» .

قَالَ سُفْيَانُ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَىٰ لَوْ كَانَ صَبْرَ لَقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ
 خَيْرِهِمَا» .

أَيُّهَا النَّاسُ ، تِلْكَ أَحَادِيثُ صِحَاحُ تُفَصِّلُ مَا أَجِئَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ قِصَّةِ مُوسَىٰ مَعَ
 الْحَضِرِ ﷺ وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ ، وَتَعَالَى - يَقُولُ : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ
 وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل : 44) .

أَيُّهَا النَّاسُ ، قَدْ زَعَمَ أَقْوَامٌ أَنَّ الْحَضِرَ ﷺ لَا يَزَالُ حَيًّا وَهَذَا الْقَوْلُ بَاطِلٌ لِأَنَّهُ
 مُخَالِفٌ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ . أَمَّا الْكِتَابُ فَقَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِشَيْءٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ
 أَفَلَا يَنْ مَتَّ فَهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (الأنبياء : 34) .

فَقَوْلُهُ : ﴿ لِشَيْءٍ ﴾ نَكْرَةٌ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ تَعْمُّ كُلَّ الشَّيْءِ ، وَالْحَضِرُ دَاخِلٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى .

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» ⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

ﷺ : «اللَّهُمَّ ! إِنْ تَهَلَّكَ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبُدُ فِي الْأَرْضِ» .

(1) رواه مسلم (1763) .

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى مَوْتِ الْحَضِرِ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِخْبَارُهُ ﷺ بِأَنَّهُ عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنَ اللَّيْلَةِ الَّتِي تَكَلَّمَ فِيهَا بِالْحَدِيثِ لَمْ يَبْقَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ مِمَّنْ عَلَيْهَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَلَوْ كَانَ الْحَضِرُ حَيًّا فِي الْأَرْضِ لَمَا تَأَخَّرَ بَعْدَ الْمِائَةِ الْمَذْكُورَةِ.

فَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ؟ فَإِنَّ عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لَا يَبْقَى مَنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ».

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَوْ كَانَ الْحَضِرُ حَيًّا إِلَى زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَكَانَ مِنْ أَتْبَاعِهِ، وَلَنْصَرَهُ وَلَقَاتَلَ مَعَهُ لِأَنَّهُ ﷺ مَبْعُوثٌ لِلنَّاسِ كَافَّةً بَلْ لِجَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ.

وَحَتَّى لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَتْبَاعُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ - أَيُّ مُوسَى - خَيْرٌ مِنَ الْحَضِرِ عليه السلام وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا فِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «إِرْوَاءِ الْعَلِيلِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ مُوسَى ﷺ كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي».

أَيُّهَا النَّاسُ، مَا يُشَاهِدُهُ بَعْضُ الْجُهَّالِ فِي الْوَاقِعِ أَحْيَانًا مِنَ التَّبَجُّحِ بِرُؤْيَةِ الْحَضِرِ إِنَّهَا هُوَ شَيْطَانٌ لِيَلْبَسَ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَتَمَثَّلَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رحمته: «وَلَمْ يَذْكَرْ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ رَأَى الْحَضِرَ وَلَا أَنَّهُ أَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَإِنَّ الصَّحَابَةَ كَانُوا أَعْلَمَ وَأَجَلَّ قَدْرًا مِنْ أَنْ يُلْبَسَ

(1) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (4348)، وَالتِّرْمِذِيُّ (2366)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (871).

(2) «حَسَنٌ»: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (15223) وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ».

الشَّيْطَانُ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنْ لَبَسَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ بَعْدِهِمْ فَصَارَ يَتَمَثَّلُ لِأَحَدِهِمْ فِي صُورَةِ النَّبِيِّ، وَيَقُولُ: أَنَا الْخَضِرُ، وَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ»⁽¹⁾.
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية - قصة موسى والخضر :

الحمد لله القائل: ﴿ تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾

(يوسف: 3).

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ الْقَائِلِ كَمَا فِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ الْمُقَدَّامِ بْنِ مَعْدِيٍّ **هَذَا**: «أُوتِيْتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ».

أَمَّا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ عَمَّا فَصَّلْتُهُ السُّنَّةُ مِنْ قِصَّةِ مُوسَى الْكَلِيمِ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ وَنَبِيِّهِ الْخَضِرِ **ﷺ** فَإِلَيْكُمْ مَا حَكَاهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ لَا آتِبُكُمْ حَتَّى أَتِيَنَّكُمْ مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضَى حُقُبًا ۖ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَبِيًّا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ۗ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَوْمِهِ إِينَا غَدَاءَةٌ لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ۗ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتِنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْكُوتَ وَمَا أَنسَيْتُهُ إِلَّا الشَّيْطَانَ أَنْ أَذْكَرَهُ وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۗ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ۗ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ۗ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ۗ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۗ وَكَيْفَ نَصْبِرُ عَلَى مَا

(1) «مجموع الفتاوى» (18/27).

(2) «صحيح»: أخرجه أحمد (17306) وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (3804).

لَوْ حُطَّ بِهِ خَبْرًا ﴿٥٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٥٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَتَّبِعُنِي
عَنْ شَوْءٍ حَقٍّ أُحَدِّثُكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٦٠﴾ فَاذْهَبْ حَتَّى إِذَا رَكِبْتَ فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقَهَا لِنُفُوسِ أَهْلِهَا لَقَدْ
جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٢﴾ قَالَ لَا تُؤَلِّمُنِي بِمَا نَوَيْتُ وَلَا تُرَوِّفْنِي مِنْ
أَمْرِي عَسْرًا ﴿٦٣﴾ فَاذْهَبْ حَتَّى إِذَا لَقِيَ غُلَامًا فَقُلْنَا قَالَ أَقْبَلْتُمْ نَفْسًا رَكِيئَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا لَكْرًا ﴿٦٤﴾
قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتَهُ عَنِ شَوْءٍ بِعَدَاهَا فَلَا تُصِغْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي
عَذْرًا ﴿٦٦﴾ فَاذْهَبْ حَتَّى إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَ أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوا لَهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ
فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٦٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأْنِيكَ بِأَوْيَلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ
صَبْرًا ﴿٦٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ
غَصَبًا ﴿٦٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٧٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّنَا
خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٧١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ
أَبُوهُمَا صَالِحًا فَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا كُنَّا عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ
تَأْوِيلَ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ ﴿الكهف: 60-82﴾.

اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا نُحْوِلُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا
تُبَلِّغُنَا جَنَّتِكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا
وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا،
وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا
مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا.

قصة يونس عليه السلام

30

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥١﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَعَلَ لَكُمُ سُبُلَ دَعْوَاهُمْ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَهَا فَمَا يَكْفُرُ أَكْثَرُ النَّاسِ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَارْتَقُوا بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١٩﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٨﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أما بعد، فإنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ أَهْدِي هَدْيٍ مُحَمَّدٌ عليه السلام. وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد - أيها الناس - حَدِيثِي مَعَكُمْ الْيَوْمَ عَنْ قِصَّةِ يُونُسَ عليه السلام أَسْوَفَهَا إِلَيْكُمْ

امْتِنَالًا لِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ، فُؤَادَكَ ﴿١٢٥﴾﴾

(هود: 125).

نَسُوقُهَا لِتَثْبِيتِ الْفُؤَادِ كَمَا نَسُوقُهَا لِلِاتِّعَاطِ وَالِإِعْتِبَارِ: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً

لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (يوسف: 111).

لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (يوسف: 111).

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - نَبِيَّ يُونُسَ فِي أَكْثَرِ مِنْ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ

الْكَرِيمِ بَلْ فِي كِتَابِ اللَّهِ سُورَةٌ بِاسْمِهِ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ وَإِنَّ يُوسُفَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٣٦) إِذْ أُنزِلَ إِلَى الْفَلَكِ الْمَشْرِقِيِّ ﴿٣٥﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿٣٧﴾ فَالْتَقَمَهُ لُحْمٌ وَهُوَ مَلِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿٣٩﴾ لَلَّتْ فِي بَطْنِهِ إِذْ يَوْمَ يُنْعَتُونَ ﴿٤٠﴾ ﴿ فَبَدَّلَهُ بِالْعُرْوَةِ وَهُوَ سَكِيمٌ ﴿٤١﴾ وَأَلْقَيْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ﴿٤٢﴾ وَرَأَيْنَاهُ إِذْ يَلَاقَى آيَةَ آيَةِ أَوْزُرِيدُونَ ﴿٤٣﴾ فَامْتُوا فَتَمَتَّعْتُمُ الْإِجِينَ ﴾ (الصافات: 139-148).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْتَضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَيَّعْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخَوِّجُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنبياء: 87-88).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُكِنُّ كَتِيبًا لِلتُّورِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ فَلَوْلَا أَنْ تَدْرِكُهُ نِصَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعُرْوَةِ وَهُوَ مَدْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (القلم: 48-50).

وَقَالَ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى - ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ إِذْ نَادَى وَهُوَ آتِنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ (النساء: 163).

وَقَالَ - سُبْحَنَهُ - ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيَةً ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُوسُفَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَدَابَ الْآخِرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنُفِخَتْ إِلَى جِبِينِ ﴾ (يونس: 98).

أَيُّهَا النَّاسُ، مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْآيَاتِ إِنَّمَا هِيَ تَتَحَدَّثُ عَنْ نَبِيِّ كَرِيمٍ إِنَّهُ يُوسُفُ - عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - إِنَّهُ ذُو النُّونِ وَأُطْلِقَ عَلَيْهِ هَذَا الْإِسْمُ (ذُو النُّونِ) لِإِتِّقَامِ الْحُوتِ لَهُ، وَالنُّونُ هُوَ الْحُوتُ فَهُوَ صَاحِبُ الْحُوتِ.

إِنَّهُ يُوسُفُ بْنُ مَتَّى كَمَا نَسَبَهُ نَبِيُّنَا ﷺ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(١) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُوسُفَ بْنِ مَتَّى». وَنَسَبَهُ إِلَى أَبِيهِ.

(1) رواه البخاري (3413)، ومسلم (2376).

إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ فَمَا تَوَعَّدْنَاهُمْ بِهِ نَجَاهُ إِنَّهُمْ لَمُؤْمِنُونَ إِنْ يَدْرُسُونَ آيَاتِنَا
 عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - لَا يَكْذِبُونَ، فَمِنْ ثَمَّ أَبْقَيْنَا بِرَسُولِ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ إِنْ اسْتَرَوْا عَلَى
 كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ فَأَقْبَلُوا عَلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - مُؤْمِنِينَ فَتَقَعْنَا عَلَيْهِمْ

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ قَوْلًا كَلِمَةً كَرِيمَةً كَلِمَةً فَتَقَعْنَا بِهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا
 آمَنُوا كَفَرْنَا عَنْهُمْ مَلَكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالنَّاسِ وَالْحَيَوَاتِ وَنَحْنُ بِهِمْ عَزِيزٌ ﴾ (يونس: 93).

وَمَكَدًا الْإِيمَانَ - أَيَا النَّاسِ - يَنْفَعُ فِي دَفْعِ الْعَذَابِ عَلَيْهِ النَّفْعُ. قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - :
 ﴿ مَا يَمْلِكُ اللَّهُ يَدَيْكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ ﴾ (النساء: 71).

أَيَا النَّاسِ، لَقَدْ أَنجَا يُونُسَ مِّنْهُ إِلَى سَفِينَةٍ وَاسْتَوْقَفَهَا وَرَكِبَهَا كَيْ يُسَاقِرَ بِعِيدٍ
 عَنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ عَانَدُوهُ وَكَانَتِ السَّفِينَةُ مَلِيئَةً بِالرُّكَّابِ وَالْأَمْتِ فَكَانَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - :
 ﴿ إِذْ أُنزِلَ فِي الْقُلُوبِ السَّحْرُ ﴾ (الصافات: 140).

وَمَعْنَى ﴿ أُنزِلَ ﴾ أَي فَرَّ، وَمَعْنَى ﴿ الْقُلُوبِ السَّحْرُ ﴾ أَي السَّفِينَةُ الْكَبِيرَةُ الْمُنْتَهِيَةُ.
 فَلَمَّ بَتِ الْأَمْوَاجِ بِالسَّفِينَةِ وَخَشَى أَهْلَهَا الْغَرَقَ، فَبَدَأُوا يَتَخَفُّونَ مِنَ الْأَحْمَالِ
 الَّتِي مَعَهُمْ بِالْقَائِنَاتِ فِي الْيَمِّ مَتَاعًا تَلَوَّ مَتَاعٌ وَلَكِنْ ذَلِكَ لَمْ يَنْفَعِ فَشَرَعُوا فِي التَّخْفِيفِ
 مِنَ الْأَشْخَاصِ حَتَّى تَسَلَّمَ لَهُمْ سَفِينَتُهُمْ فَأَنْفَقُوا عَلَى أَنْ يَسْتَهْمُوا فِيهَا يَتَهَمُّونَ بِعُرْفَةٍ مَنْ
 يُلْقَى، فَوَقَعَ السَّهْمُ عَلَى يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَتَلَعَمَ فَكَلَمًا مِنَ التَّنْحِينِ ﴾

(الصافات: 140).

وَمَعْنَى ﴿ فَتَلَعَمَ ﴾ أَي قَارَعَ أَجْرَى الْقُرْعَةِ وَمَعْنَى ﴿ فَكَلَمًا مِنَ التَّنْحِينِ ﴾ أَي التَّغْوِينِ
 (الَّذِينَ وَقَعَتْ عَلَيْهِمُ الْقُرْعَةُ).

وَهُنَا - أَيَا النَّاسِ - أَلْقَى يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْيَمِّ، وَهُوَ الْأَمْرُ مِنْ قِيلَ وَمِنْ بَعْدَ -
 لَكِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ سَخَّرَ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حُوتًا عَظِيمًا

جَاءَ يَشُقُّ الْبَحْرَ، فَابْتَلَعَ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿۱۳۷﴾ وَلَمْ تَتَنَاوَلْهُ أَسْنَانُهُ بِأَذَى لِأَمْرِ يُرِيدُهُ اللَّهُ وَلَا أَمْرٍ قَدْ قَدَّرَهُ اللَّهُ.

ثُمَّ مَاذَا بَعْدُ - أَيُّهَا النَّاسُ - لَقَدْ اتَّجَهَ الْحَوْتُ وَيُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَطْنِهِ إِلَى قَاعِ الْبِحَارِ، فَهَنَّاكَ تَرَكَمَتْ عَلَى يُونُسَ ظُلُمَاتٌ: ظُلْمَةٌ بَطْنِ الْحَوْتِ، وَظُلْمَةٌ قَاعِ الْبَحْرِ، وَظُلُمَاتُ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ، فَضَلَا عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنْ كَرْبٍ وَهَمٍّ وَنَكَدٍ وَغَمٍّ لِكَوْنِهِ ذَهَبَ مُغَاضِبًا وَخَرَجَ بِغَيْرِ إِذْنٍ مِنَ اللَّهِ لَهُ بِالْخُرُوجِ وَلَكِنَّهُ حَاوَلَ الْحُرْكََةَ فَبَدَأَ يَتَحَرَّكُ فَكَانَ أَوَّلَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ أَنْ قَالَ مُنَادِيًا فِي الظُّلُمَاتِ ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء: 87).

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ قَالَ تِلْكَ الدَّعْوَةَ الَّتِي مَا دَعَا بِهَا مَكْرُوبٌ إِلَّا وَفَرَجَ اللَّهُ هَمَّهُ، وَكَشَفَ كَرْبَهُ.

فَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ جَبْرِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ».

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ أَكْثَرَ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ التَّسْبِيحِ فِي تِلْكَ الظُّلُمَاتِ كَمَا قَالَ رَبُّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - : ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿۱۳۷﴾ لَلَبْتُ فِي بَطْنِهِ: إِنْ يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾

(الصفات: 143-144).

وَهَكَذَا الْمُؤْمِنُونَ لَا يَقْنَطُونَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَا يَيَأْسُونَ مِنْ رَوْحِهِ، فَقَدْ عَلِمُوا عَنِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَنَّهُ غَافِرُ الذَّنْبِ وَقَابِلُ التَّوْبِ وَعَلِمُوا أَنَّ رَحْمَةَ

(1) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3752)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ» (2785).

الله - سُبْحَنَهُ وَتَعَلَّى - وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ وَعَلِمُوا أَنَّهُ - سُبْحَنَهُ وَتَعَلَّى - كَانَ لِلأَوَابِينَ غَفُورًا.

وَهَكَذَا فَعَلَ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذْ اسْتَغْفَرَ وَهَلَّلَ وَوَحَّدَ وَأَخْلَصَ فِي الدُّعَاءِ لِهَيْبَةِ اللَّهِ وَاللَّهُ يُجِيبُ دَعْوَةَ الْمُضْطَرِّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ الشُّوْءَ، سَبَّحَ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاعْتَرَفَ بِالذَّنْبِ، وَنَادَى رَبَّهُ مُوَحَّدًا: ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

(الأنبياء: 87).

فَأَنْجَاهُ اللَّهُ - سُبْحَنَهُ وَتَعَلَّى - بِأَنْ أَتَجَهَّ الحُوتُ إِلَى جَانِبِ البَرِّ فَقَذَفَ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنَبَذَهُ - أَيْ طَرَحَهُ - بِالْعَرَاءِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَبَلَّغْتَهُ بِالْعَمَاءِ وَهُوَ مَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَبْتَنَا عَلَيْهِ شَجَرَةٌ مِنَ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْتَهُ إِذْ يَأْتِي آلَافٌ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَامْتَوُوا فَتَمَّتْ لَهُمُ الْإِيمَانُ ﴿١٤٨﴾﴾

(الصفات: 145-148).

وَمَعْنَى ﴿بِالْعَمَاءِ﴾ أَيْ: السَّاحِلِ، وَمَعْنَى ﴿مَقِيمٌ﴾ أَيْ: مَرِيضٌ، وَالْيَقْطِينُ هُوَ القَرَعُ قَالَ ذَلِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَقَالَ - أَيْضًا - جُمُهورُ المُفَسِّرِينَ، وَمِنَ المُنَاسَبَاتِ هُنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُحِبُّ الدُّبَّاءَ الَّذِي هُوَ القَرَعُ. كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ العُلَمَاءِ فِي تَفْسِيرِهِمْ لِقَوْلِهِ - تَعَالَى - ﴿وَأَبْتَنَا عَلَيْهِ شَجَرَةٌ مِنَ يَقْطِينٍ﴾ أَنَّهَا (أَيْ شَجَرَةُ اليَقْطِينِ) تُضَلُّ بِظِلِّهَا الظَّلِيلِ؛ لِأَنَّهَا بَارِدَةٌ الظَّلَالِ وَلَا يَسْقُطُ عَلَيْهَا ذُبَابٌ وَلَا يَجْتَمِعُ عِنْدَهَا. وَلِأَنَّهَا مِنْ أَسْرَعِ الأشْجَارِ نَبَاتًا وَامْتِدَادًا.

(1) رواه البخاري (5433)، ومسلم (2041).

أَيُّهَا النَّاسُ، مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى هَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ أَنَّهُ لَمْ يُنْبَذْ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ،
وَلَكِنْ نُبِذَ وَهُوَ سَقِيمٌ كَمَا قَالَ رَبُّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُكُمْ نَمَةٌ مِنْ رَبِّي لَفُتِحَتْ بِالْعَرَاءِ
وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ (القلم: 49).

وَأَنعَمَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ثَانِيَةً بِأَنْ أَرْسَلَهُ إِلَى قَوْمِهِ فَأَمَنُوا وَصَدَّقُوا كَمَا قَالَ
اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿وَأَرْسَلْتَهُ إِلَىٰ بِلَادٍ آلِفٌ أَرَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَتَنَّا لَهُمْ إِنْ جِئُوا
(الصفات: 147-148).

فَصَلَّوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَىٰ هَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ .
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ .

الخطبة الثانية - من فوائد قصة يونس عليه السلام :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله
وصحبه أجمعين.

أما بعد - أيها الناس - تقدّم الحديث معكم عن قصة نبي الله يونس عليه السلام .
والآن حديثي معكم عن شيء من فوائد قصة هذا النبي الكريم . فمن فوائد
قصة يونس عليه السلام ما يأتي :

1- الإنسان جيل على الخطأ

أيها الناس، أوّل اندروسٍ المُستفادَةِ أَنَّ الْإِنْسَانَ جَيْلٌ عَلَى الْخَطَا حَتَّى أَهْلُ
الْفَضْلِ وَالْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ .

فَهِيَ «صَحِيحٌ مُسْلِمٌ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذُنُّوا لَدَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذُنُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ فَيَغْفِرُ
اللَّهُ لَهُمْ».

2 لَمْ يَنْجُ مِنَ الذُّنُوبِ أَحَدٌ حَتَّى أَهَلَ الصَّلَاحَ

كَمَا قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَتَوْبُوا إِذْ أَلَّ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَاكَ عَلَيْهِمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ ﴾

(النحل: 61).

فَادُمُ ﷺ أَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ وَكَذَا زَوْجَتُهُ وَلَكِنَّهُمَا أَقْرَأَ بِالذَّنْبِ وَاعْتَرَفَا بِهِ وَأَقْلَعَا
عَنْهُ، فَقَالَا: ﴿ قَالَا رَبَّنَا عَلَّمْنَا السُّكْرَ وَلَكِنْ لَمْ نُنْفِرْ لَكَ وَتَرَحَّمْنَا لَنَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾⁽²⁾

(الأعراف: 16).

وَعَاتَبَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِقَوْلِهِ: ﴿ عَسَىٰ وَتَوَلَّىٰ ۗ أَنْ جَاءَهُ الْأَمَنُ ﴾

(عبس: 1-2).

وَأَصْحَابُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ صَدَرَ مِنْ بَعْضِهِمْ الَّذِي صَدَرَ يَوْمَ أُحُدٍ كَمَا

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ
بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (آل عمران: 155).

3 - عَدَمُ الْيَأْسِ مِنَ التَّوْبَةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، وَمِنَ الدَّرُوسِ الْمُسْتَفَادَةِ مِنْ قِصَّةِ يُونُسَ ﷺ عَدَمُ الْيَأْسِ مِنْ
رُوحِ اللَّهِ وَالْقَنُوطِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَالْإِعْتِرَاضِ عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ.

(1) رواه مسلم (2749).

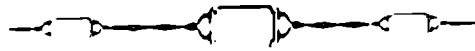
فَيُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحَاطَتْ بِهِ ثَلَاثُ ظُلُمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ فَأَرْسَلَ الْأَمَلَ مِنْ هُنَاكَ مُدَوِّيًّا: ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء: 87).

فَمَازَا كَانَتْ التَّيِّجَةُ: ﴿فَامْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَذَابِ وَكَذَلِكَ نُشَيِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنبياء: 88).

4- الثَّقَّةُ بِنَضْرِ اللَّهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يَتَّقَ بِنَضْرِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - قَالَ: ﴿فَامْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَذَابِ وَكَذَلِكَ نُشَيِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنبياء: 88).

اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنْ كُلِّ كَرْبٍ، اللَّهُمَّ أَنْتَ أَحَقُّ مَنْ ذُكِرَ، وَأَحَقُّ مَنْ عُيِدَ، وَأَنْصَرُ مَنْ ابْتُغِيَ وَأَرَأْفُ مَنْ مَلَكَ، وَأَجْوَدُ مَنْ سُئِلَ، أَنْتَ الْمَلِكُ لَا شَرِيكَ لَكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنَّا كُنَّا مِنَ الظَّالِمِينَ.



31 | الغلام المؤمن وأصحاب الأخدود

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَعَلَ لَكُمُ مَنَاسِكَكُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ فَإِنَّ اللَّهَ يَكُونُ لَكُمْ رَبًّا عَنَّا لَا تَدْرِي أَيُّكُمْ يَرْجُو أَجْرًا مِمَّا كَفَرَ بِهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ جَزَاءٌ مِمَّا كَفَرُوا بِهِ وَلَا يَمَسُّهُمُ اللَّهُ بِسُلْطَانٍ ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَسْمَاءَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد - أيها الناس - حديسي معكم اليوم عن قصة الغلام المؤمن وأصحاب الأخدود.

أيها الناس، فيما قصة الله علينا - سبحانه وتعالى - في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ الدُّرُوسُ وَالْعِظَاتُ وَالْعِبَرُ.

قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصصِهِمْ لَعْنَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف: 111).

(يوسف: 111).

وَقَالَ - سُبْحَنَهُ - : ﴿ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ - فُؤَادَكَ وَجَاءَ لَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُتُؤَمِّنِينَ ﴾ (هود: 120).

أَيُّهَا النَّاسُ، فِي قِصَّةِ الْغُلَامِ وَأَصْحَابِ الْأَخْدُودِ زَادَ لِلْغُرَبَاءِ وَأَيُّ زَادٍ وَقَدْ قَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ قِصَصِ السَّاهِبِينَ مَوْعِظَةً وَذِكْرًا.

وَأَمَرَ رَسُولُهُ ﷺ أَنْ يُبَلِّغَ وَخِي رَبِّهِ وَأَنْ يَقُصَّ عَلَى الْخَلْقِ آيَاتِهِ قَالَ - سُبْحَنَهُ - : ﴿ فَاقْصُصِ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف: 176).

أَيُّهَا النَّاسُ، إِلَيْكُمْ الْقِصَّةُ كَمَا جَاءَتْ فِيهَا السُّنَّةُ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبُرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبُرْتُ فَأَبْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أَعْلِمُهُ السَّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرًّا بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَغْلَمُ السَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجْرًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ الرَّاهِبُ: أَيُّ بَنِي، أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، وَقَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تُدَلَّ عَلَيَّ. وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ.

(1) رواه مسلم (3005).

فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ فَاتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ فَقَالَ: مَا هَا هُنَاكَ أَجْمَعُ إِنَّ
أَنْتَ شَفَيْتَنِي.

فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَإِنْ أَنْتَ أَمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ،
فَأَمَّنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ
عَلَيْكَ بَصْرَكَ؟

قَالَ: رَبِّي.

قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟!

قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ.

فَأَخَذَهُ الْمَلِكُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ:
أَيُّ بَنِي! أَقَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِيءُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ؟!

فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى
الرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ: ازْجِعْ عَن دِينِكَ فَأَبَى فَدَعَا بِالْمِنْشَارِ فَوَضِعَ الْمِنْشَارُ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ
فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ.

ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ازْجِعْ عَن دِينِكَ فَأَبَى فَدَعَا بِالْمِنْشَارِ فَوَضِعَ
الْمِنْشَارُ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ: ازْجِعْ عَن
دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَقْرِ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا
بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَن دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذْهَبُوا بِهِ فَصَعَدُوا بِهِ
الْجَبَلَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا. وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى
الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟

قَالَ: كَفَانِيهِمْ اللهُ.

فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَأَحْمِلُوهُ فِي قَرْقُورٍ (أَيِ السَّفِينَةِ الصَّغِيرَةِ) فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَأَقْدِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَاَنْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَفَرَّقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟

قَالَ: كَفَانِيهِمْ اللهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمْرُكَ بِهِ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟

قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَضْلِينِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَيْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلَامِ ثُمَّ اِرْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَيْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ، فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأَتَى الْمَلِكُ قَبِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ - وَالله - نَزَلَ بِكَ حَذْرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ فَأَمَرَ بِالْأَخْذُودِ فِي أَقْوَاهِ السَّكِّ فُحِدَّتْ وَأُضْرِمَ النَّيْرَانُ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَخْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهُ اضْبِرِّي؛ فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ».

وَالْحَدِيثُ - أَيُّهَا النَّاسُ - كَمَا أَخْرَجَهُ «الإمامُ مُسْلِمٌ» فَقَدْ أَخْرَجَهُ «التِّرْمِذِيُّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ» بِمَعْنَاهُ وَفِيهِ: «وَكَانَ عَلَى طَرِيقِ الْغُلَامِ رَاهِبٌ فِي صَوْمَعَتِهِ»، قَالَ مَعْمَرٌ: أَحْسَبُ أَنَّ أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ كَانُوا يَوْمِئِذٍ

مُسْلِمِينَ، وَفِيهِ: «أَنَّ الدَّابَّةَ الَّتِي حَبَسَتْ النَّاسَ كَانَتْ أَسَدًا وَأَنَّ الْغُلَامَ دُفِنَ - قَالَ - فَيُذَكَّرُ أَنَّهُ أُخْرِجَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه وَأَصْبَعُهُ عَلَى صَدْغِهِ كَمَا وَضَعَهَا حِينَ قُتِلَ»⁽¹⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ، تِلْكَ قِصَّةُ الْغُلَامِ الْمُؤْمِنِ وَأَصْحَابِ الْأَخْدُودِ كَمَا فَصَّلْتَ ذَلِكَ السُّنَّةَ الصَّحِيحَةَ وَفِيهَا فَوَائِدٌ عَظِيمَةٌ.

فَمِنْ فَوَائِدِهَا - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - أَنْعَمَ عَلَى الْغُلَامِ بِنِعْمٍ كَثِيرَةٍ، وَمِنْهَا إِكْرَامُهُ بِإِجَابَةِ دُعَائِهِ، وَنُصْرَتِهِ لَهُ، فَمَا مِنْ مَرَّةٍ قَالَ فِيهَا: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، إِلَّا وَكَفَاهُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - وَوَقَاهُ شَرَّ أَعْدَائِهِ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ كَفَاهُ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - ﴿الَّذِينَ يَكْفُلُونَ عِبَادَهُمْ وَمُخَوَّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ (الزمر: 36).

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا تَعَلَّقَتْ بِاللَّهِ صَنَعَ بِهَا - سُبْحَانَهُ، - الْأَعَاجِيبَ، فَمَنْ الَّذِي دَعَاهُ وَلَمْ يُجِبْهُ؟ وَمَنْ الَّذِي سَأَلَهُ وَلَمْ يُعْطِهِ؟ قَالَ - تَعَالَى - ﴿أَتَمَنُّ مَيْبُتًا مُضْطَرًّا إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ (النمل: 62).

وَقَالَ - تَعَالَى - ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلِقَائِهِمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: 186).

وَقَالَ - سُبْحَانَهُ، - ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَن عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: 60).

وَمِنْ فَوَائِدِ هَذِهِ الْقِصَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ الْإِبْتِلَاءَ سُنَّةٌ مَاضِيَةٌ فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ وَوَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ.

(1) «صحيح»: أخرجه الترمذي (3578)، وصححه الألبان في «صحيح الترمذي» (2661).

فَهَذَا الرَّاهِبُ يَقُولُ لِلْغُلَامِ: «أَيُّ بَنِي، أَنْتَ أَفْضَلُ مِنِّي، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلِي» فَهَلْ كَانَ الرَّاهِبُ - أَيُّهَا النَّاسُ - يَعْلَمُ الْغَيْبَ فَلَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَكِنَّهَا الْمَعْرِفَةُ بِسُنَنِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَالْعِلْمُ بِمَا حَدَّثَ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ مِنْ قَبْلِ قَالِكَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (الكهف: 7).

وَقَالَكَ - سُبْحَانَهُ - : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (الملك: 2).

وَقَالَكَ - سُبْحَانَهُ - : ﴿ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ (العنكبوت: 2).

وَقَالَكَ - سُبْحَانَهُ - : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ فِتْنَةِ أَنْصَارِيَّتِكُمْ ﴾ (الفرقان: 20).

وَلَقَدْ أُوذِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، خَنَقَهُ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ بِطَرْفِ رِدَائِهِ، وَأَلْقَى عَلَى ظَهْرِهِ سَلَّةَ الْجُرُورِ، وَهُوَ سَاجِدٌ أَمَامَ الْكَعْبَةِ، وَحُوصِرَ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ فِي شُعْبِ أَبِي طَالِبٍ، وَكُسِرَتْ رُبَاعِيَّتُهُ وَجُرِحَ وَجْهُهُ الشَّرِيفُ وَأَغْمَى عَلَيْهِ يَوْمَ أَحُدٍ، وَقِيلَ عَنْهُ: سَاحِرٌ وَكَاهِنٌ وَمَجْنُونٌ، كَمَا أُوذِيَ ﷺ فِي شَخْصِ أَصْحَابِهِ الْكِرَامِ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - .

وَمَنْ تَتَّبَعَ أَحْوَالَ الْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - كَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَعِيسَى لَوَجَدَ أَنَّ الْإِبْتِلَاءَ سِمَةٌ مَلَاذِمَةٌ لَهُمْ قَالَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي أَرْضِنَا فَأَوَّحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَكُلِّكُمْ أَلْأَرْضِينَ ﴾ (إبراهيم: 13).

وَقَالَكَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ يَحْضَرُهُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (يس: 30).

وَقَالَكَ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَائِرُ أَوْ مَنُونٌ ﴾ (٥٦)

أَتَوَصَّوْا بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ (الذاريات: 52-53).

وَكَانَ لِاتِّبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ كَصَاحِبِ بَسٍ وَمُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ وَأَصْحَابِ الْكُهْفِ
وَأَصْحَابِ الْأَخْدُودِ حَظُّهُمْ وَتَصِيْبُهُمْ مِنْ هَذَا الْبَلَاءِ.

وَمِنْ فَوَائِدِ هَذِهِ الْقِصَّةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ الْعَمَلَ لِهَذَا الدِّينِ مَسْئُولِيَّةُ الْجَمِيعِ.

فَهَذَا - أَيُّهَا النَّاسُ - غُلَامٌ أَيْ طِفْلٌ صَغِيرٌ كَانَ صَاحِبَ دَعْوَةٍ يُرِيدُ إِبْصَاحَهَا إِلَى
النَّاسِ حَتَّى وَإِنْ كَلَّفَهُ ذَلِكَ نَفْسَهُ فَلَا بَأْسَ بِيَدِّهَا رَخِيصَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَالْتَّفُسُ إِلَى
مَوْتٍ وَالسَّمَالُ إِلَى قَوْتٍ.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى - : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجْرَكَ يَوْمَ
الْوَيْكَةِ ﴾ (آل عمران: 185).

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية - الغلام المؤمن وأصحاب الأخدود :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله
وصحبه أجمعين.

أما بعد - أَيُّهَا النَّاسُ - تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مَعَكُمْ عَمَّا فَصَّلْتُهُ السُّنَّةُ مِنْ قِصَّةِ الْغُلَامِ
الْمُؤْمِنِ وَأَصْحَابِ الْأَخْدُودِ.

وَالآنَ سَأَلِقِي عَلَى مَسَامِعِكُمْ سُورَةَ الْبُرُوجِ وَهِيَ تَوْطِئَةٌ بَيْنَ يَدَيْ السُّورَةِ.

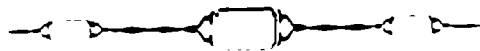
أَقُولُ إِنَّهَا مَكِّيَّةٌ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ وَالْمَقْصُودُ مِنْهَا تَسْلِيَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ عَنْ
إِيذَاءِ الْكُفَّارِ وَهِيَ - أَيْضًا - تَسْلِيَةٌ لِاتِّبَاعِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

فَأَخْبَرَ - سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى - أَنْ سَايَرَ الْأُمَمِ السَّالِفَةَ مِثْلَ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ وَغَيْرِهِمْ كَانُوا كَذَلِكَ ثُمَّ عَقَّبَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَقْبَهُمُ عُجْبًا﴾ ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ ذَلِكَ قَدَرٌ مَقْدُورٌ لَا رَادَّ لِأَمْرِهِ وَلَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿٦﴾ فِي تَوْجِ مَحْفُوظٍ﴾ .

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : ﴿وَأَتَمَّ ذَاتَ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ التَّوَعُّودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدِ وَمَشْهُورِ ﴿٣﴾ قِيلَ أَصْحَبُ الْأَنْحُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَعُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُرِّعَتْ عَلَيْهَا قُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِأَقْبِهِمُ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنَّا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَبْتُؤُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَلَدَكَ لَنُجْدٍ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ بَيْعُكَ وَبَيْعُكَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَوْرُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ فَسَأَلَ لِنَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ الْجَنَّاتِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَأَقْبَهُمُ عُجْبًا ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي تَوْجِ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ (البروج: 1-22).

اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْكَفْرَةِ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَيُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ وَيُقَاتِلُونَ أَوْلِيَاءَكَ.

اللَّهُمَّ مَنْ أَرَادَ بِالْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ بِسُوءٍ فَأَشْغَلْهُ بِنَفْسِهِ وَرَدَّ كَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ.



أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

[32]

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، حديثي معكم - أيها الناس - عن حياة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والحديث عن الصديق يخلو ويطيب فهو سيد الصديقين، وخير الصالحين بعد الأنبياء والمرسلين أفضل أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأعلمهم وأشرفهم، لم يشرب الخمر في جاهليته ولا في إسلامه، ولم يسجد لصنم - قط - في جاهليته ولما بعث الله رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أول من آمن به من الرجال وصدقته بما جاء به من ربه وسمي الصديق.

فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَعَدَ أَحَدًا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ فَقَالَ: «أُبْتُ أَحَدًا، فَإِنَّ عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ». فَالْصُّدِّيقُ هُوَ أَبُو بَكْرٍ وَالشَّهِيدَانِ عُمَرُ وَعُثْمَانُ.

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ وَوَأَسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي؟ فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي؟ فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا».

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ لِلصُّدِّيقِ فَضَائِلَ جَمَّةً فَلَا عَجَبَ فَقَدْ كَانَ صَدْرًا مُعَظَّمًا، وَرَبِيسًا فِي قُرَيْشٍ مُكْرَمًا سَمِعَ الخُلُقِ مِنَ الدِّينِ يَأْلِفُونَ وَيُؤْلَفُونَ.

فَمِنْ فَضَائِلِهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ عَمْرٍو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ» فَقُلْتُ: مِنْ الرِّجَالِ؟ قَالَ: «أَبُوهَا». قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ» فَعَدَّ رِجَالًا. وَمِنْ فَضَائِلِهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ.

فِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الألبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ»⁽⁴⁾ مِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي

(1) رواه البخاري (3675).

(2) رواه البخاري (3661).

(3) رواه البخاري (3662)، ومسلم (2384).

(4) «صحيح»، أخرجه أحمد (1629)، وصحَّحه الألباني في «صحيح أبي داود» (4650).

الْجَنَّةِ، وَالرُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ فِي الْجَنَّةِ، وَلَوْ
شِئْتُ أَنْ أَسْمِيَ الْعَاشِرَ.

وَالْعَاشِرُ - أَيُّهَا النَّاسُ - هُوَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ رضي الله عنه رَاوِي الْحَدِيثِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مَنْزِلَةَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما فِي الْجَنَّةِ لَعَالِيَةٌ.

فَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»⁽¹⁾
مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ
الْعُلَى لَيُرَوْنَ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَرَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ
مِنْهُمْ وَأَنْعِمًا».

بَلْ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

فَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»⁽²⁾
مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ طَلَعَ أَبُو
بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، مِنَ الْأَوَّلِينَ
وَالْآخِرِينَ، إِلَّا النَّبِيَّ وَالْمُرْسَلِينَ، يَا عَلِيُّ! لَا تُخْبِرْهُمَا».

وَمِنْ فَضَائِلِهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ عَتِيقُ اللَّهِ مِنَ النَّارِ.

فَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»⁽³⁾
مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ أَبَا بَكْرٍ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَنْتَ عَتِيقُ
اللَّهِ مِنَ النَّارِ». فَيَوْمَئِذٍ سُمِّيَ: عَتِيقًا.

(1) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3920)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ» (2892).

(2) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3927)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ» (2897).

(3) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3942)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ» (2905).

وَمِنْ فَضَائِلِهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ مِنْ أَعْلَمِ الصَّحَابَةِ.

فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ خَيْرَ عِبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدَ مَا عِنْدَ اللَّهِ». قَالَ: فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ فَعَجِبْنَا لِبُكَائِهِ أَنْ يُجِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خَيْرٍ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَمَنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَأَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أَخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّةُ، لَا يَبْقَيْنَ بَابٌ فِي الْمَشْحَدِ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ».

وَمِنْ فَضَائِلِهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - صُحْبَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْهِجْرَةِ وَقَوْلُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى - : ﴿إِذَا أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَانْفِرُوا أَثْنَيْنِ إِذَا هُمَا فِي الْفَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْرُجْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: 40).

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: اشْتَرَى أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه مِنْ عَازِبٍ رَحْلًا بِثَلَاثَةِ عَشَرَ ذِرْهَمًا فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعَازِبٍ: مَرُّ الْبَرَاءِ فَلِيَحْمَلْ إِلَيَّ رَحْلِي فَقَالَ عَازِبٌ: لَا، حَتَّى تُحَدِّثَنَا كَيْفَ صَنَعْتَ أَنْتَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ خَرَجْتُمَا مِنْ مَكَّةَ وَالْمُشْرِكُونَ يَطْلُبُونَكُمْ، قَالَ: ازْمَحَلْنَا مِنْ مَكَّةَ فَأَحْيَيْنَا، أَوْ سَرِينَا لَيْلَتَنَا وَيَوْمَنَا حَتَّى أَظْهَرْنَا وَقَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ فَرَمَيْتُ بِبَصْرِي هَلْ أَرَى مِنْ ظِلِّ فَاوِي إِلَيْهِ، فَإِذَا صَخْرَةٌ أَتَيْتُهَا فَنظَرْتُ بَقِيَّةَ ظِلِّ لَهَا فَسَوَّيْتُه، ثُمَّ فَرَشْتُ

(1) رواه البخاري (3654)، ومسلم (2382).

(2) أخرجه البخاري (3652)، وأخرجه مسلم (2009) بنحوه.

لِلنَّبِيِّ ﷺ فِيهِ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: اضْطَجِعْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَاضْطَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ انْطَلَقْتُ
 انْظُرْ مَا حَوْلِي: هَلْ أَرَى فِي الطَّلَبِ أَحَدًا؟ فَإِذَا أَنَا بِرَاعِي غَنَمٍ يَسُوقُ غَنَمَهُ إِلَى
 الصَّخْرَةِ يُرِيدُ مِنْهَا الَّذِي أَرَدْنَا فَسَأَلْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ: لِمَنْ أَنْتَ - يَا غَلامُ -، فَقَالَ لِرَجُلٍ مِنْ
 قُرَيْشٍ سَمَاءُ فَعَرَفْتُهُ، فَقُلْتُ: هَلْ فِي غَنَمِكَ مِنْ لَبَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: هَلْ أَنْتَ حَالِبٌ
 لَنَا؟ فَأَمَرْتُهُ فَاعْتَقَلَ شَاةً مِنْ غَنَمِهِ، ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ ضَرْعَهَا مِنَ الْغُبَارِ ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ
 يَنْفُضَ كَفَّيْهِ فَقَالَ: هَكَذَا، ضَرَبَ إِحْدَى كَفَّيْهِ بِالْأُخْرَى فَحَلَبَ لِي كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ وَقَدْ
 جَعَلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِدَاوَةً عَلَى فَمِهَا خِرْقَةٌ فَصَبَّيْتُ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ
 فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَافَقْتُهُ قَدْ اسْتَيْقَظَ فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَشَرِبَ
 حَتَّى رَضِيْتُ ثُمَّ قُلْتُ: قَدْ أَنْ الرَّحِيلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «بَلَى». فَارْتَحَلْنَا وَالْقَوْمُ
 يَطْلُبُونَنَا فَلَمْ يَدْرِكُنَا أَحَدٌ مِنْهُمْ غَيْرُ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشَمٍ عَلَى فَرَسٍ لَهُ فَقُلْتُ:
 هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لِحِقْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ
 ﷺ وَأَنَا فِي الْغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا فَقَالَ: «مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا
 بَكْرٍ بَاتْنَيْنِ اللَّهِ تَالِثَهُمَا».

وَمِنْ فَضَائِلِهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - دِفَاعُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ
 عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ: أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ الْمُشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا
 النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي حِجْرِ الْكَعْبَةِ، إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ

(1) رواه البخاري (3653)، ومسلم (2381).

(2) رواه البخاري (3856).

فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿اِنْقُتِلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ (غافر: 28).

وَهَذِهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - بَشَارَةٌ لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ - يَعْنِي الْجَنَّةِ - يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ». قَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا عَلَى هَذَا الَّذِي يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضُرُورَةٍ، وَقَالَ: هَلْ يُدْعَى مِنْهَا كُلُّهَا أَحَدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ».

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟». قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ تَبَعَ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟». قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟». قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ عَادَ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟». قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا اجْتَمَعَنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

(1) رواه البخاري (3666)، ومسلم (1027).

(2) رواه مسلم (1028).

الخطبة الثانية - ابو بكر الصديق رضي الله عنه :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد - أيها الناس - الحديث عن أبي بكر الصديق ذو شجون فقد طبقت محاسنه الدنيا وسارت بذكره الركبان في الآفاق ما حملت الأبل رجلاً - بعد الأنبياء والمرسلين - خيراً منه.

ففي «سنن أبي داود» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح أبي داود»⁽¹⁾ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم: «من رأى الليلة رؤيا؟».

فقال رجل: أنا، رأيت كأن ميزاناً نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر، فرجحت أنت بأبي بكر، ووزن عمر وأبو بكر فرجح أبو بكر بعمر، ووزن عمر بعثمان فرجح عمر بعثمان، ثم رفع الميزان.

وها هو عمر - أيها الناس - يسابق أبا بكر فهل سوف يسبقه في هذه الجولة ولنذع الحديث لعمر رضي الله عنه محدثنا.

ففي «سنن الترمذي» بسند حسن، حسن الألباني في «المشكاة»⁽²⁾ من حديث عمر رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق، ووافق ذلك عندي مالا، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، قال فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(1) «صحيح»: أخرجه أبو داود (4634)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (3875).

(2) «حسن»: أخرجه الترمذي (3939) وحسنه الألباني في «المشكاة» (6021).

«مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟». قُلْتُ: مِثْلَهُ. وَاتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟».

فَقَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ.

قُلْتُ: لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا.

أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ أَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى اسْتِخْلَافِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رضي الله عنه فِي أَكْثَرِ مِنْ حَدِيثٍ وَسَادَّكَرُ طَرَفًا مِنْهَا فَإِنَّ قَوْمًا يَدَّعُونَ أَنَّ الْوَصِيَّةَ لِغَيْرِهِ وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ مِنْ ذَلِكَ بُرْهَانٌ وَلَا كِتَابٌ مُنِيرٌ.

لَا تَذْكُرُ الْكُتُبَ السَّوَالِفُ قَبْلَهُ ... طَلَعَ الصَّبَاحُ فَأَطْفَيْ الْقِنْدِيلَا

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ: «ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ وَأَخَاكِ حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّأَ مُتَمَنَّئٌ وَيَقُولَ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى وَيَأْبَى اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَتْ امْرَأَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، قَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ - كَأَنَّهَا تَقُولُ الْمَوْتَ - قَالَ ﷺ: «إِنْ لَمْ تَجِدْنِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ».

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رحمته: «وَالْأَسْتِدْلَالُ بِأَنَّ هَذَا الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ هُوَ الْخَلِيفَةُ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ صَحِيحٌ، لَكِنْ بِطَرِيقِ الْإِشَارَةِ لَا التَّصْرِيحِ»⁽³⁾.

(1) رواه مسلم (2387).

(2) رواه البخاري (3659)، ومسلم (2386).

(3) «فتح الباري» (345/13).

وَكَذَلِكَ أَمْرُهُ ﷺ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ لِأَعْظَمِ دَلِيلٍ وَأَبْلَغِ إِشَارَةٍ مِنْهُ ﷺ عَلَى أَنَّهُ الْخَلِيفَةُ بَعْدَهُ.

فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ».

قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لَمْ يَسْمَعْ النَّاسُ مِنَ الْبُكَاءِ فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ قُولِي لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يَسْمَعْ النَّاسُ مِنَ الْبُكَاءِ فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ فَفَعَلْتُ حَفْصَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَهْ إِنَّكَ نَزَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ». فَقَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ: مَا كُنْتُ لِأُصِيبَ مِنْكَ خَيْرًا.

أَيُّهَا النَّاسُ، هُنَاكَ قَوْمٌ يَدْعُونَ التَّشْيِيعَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَيَنَالُونَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَهَذَا ظُلْمٌ لِأَنْفُسِهِمْ فَإِنَّ الَّذِي زَكَّاهُمْ وَعَدَّاهُمْ هُوَ خَالِقُهُمْ ثُمَّ نَبِيُّهُمْ ثُمَّ هَاهِي سَهَادَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي (أَيُّ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ): أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟

قَالَ: أَبُو بَكْرٍ.

قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟

قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ.

(1) رواه البخاري (679)، ومسلم (418).

(2) رواه البخاري (3671).

أيها الناس، قَبْلَ أَنْ أُودَعَ مَقَامِي هَذَا أَذْكُرْكُمْ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ، كَمَا فِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْتَدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ».

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلَا خَوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ.

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نُحِبُّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَبِكَ الْوَجْهِ اللَّهُمَّ بِحُبِّنَا هُمَا فِيكَ اخْشُرْنَا مَعَهُمْ.



(1) «صحيح»: أخرجه الترمذي (3924)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (2895).

عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه

33

الخطبة الأولى :

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

- ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّمَا اللَّهُ حَقُّ تَقَالِيهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: 102).

- ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلنَّاسِ أَنَّمَا رَبُّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ فِيهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَنقَضُوا

اللَّهُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: 1).

- ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّمَا اللَّهُ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ

اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب: 70 - 71).

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صلوات الله عليه، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ، حَدِيثِي مَعَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه.

عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَمَا أَدْرَاكُمْ مَا عُمَرُ إِنَّهُ الْفَارُوقُ الَّذِي فَرَّقَ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ كَانَتْ أَوَّلُ شُعَاعَةٍ مِنْ نُورِ الْإِيمَانِ لَأَمَسَتْ قَلْبَهُ هِيَ دَعْوَةُ النَّبِيِّ صلوات الله عليه.

فِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمِشْكَاةِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه قَالَ: «اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ؛ بَابِي جَهْلِي، أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ». قَالَ: وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ.

(1) «صحيح»: أخرجه الترمذي (3946)، وصححه الألباني في «المشكاة» (6036).

وَأَخْرَجَ ابْنُ جِبَّانٍ فِي «مَوْرِدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ لِغَيْرِهِ، كَمَا فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽¹⁾ لِلْأَلْبَانِيِّ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ ~~عَنْهَا~~ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ! اعِزَّ الْإِسْلَامَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ خَاصَّةً».

وَبَعْدَ هَذِهِ الدَّعْوَةِ الْمُبَارَكَةِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَسْلَمَ عُمَرُ فَكَانَ كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ ~~عَنْهُ~~: «مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ»⁽²⁾ وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَطُوفَ بِالْبَيْتِ وَنُصَلِّيَ، حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ فَلَمَّا أَسْلَمَ قَاتَلَهُمْ وَتَرَكُونَا، فَصَلَّيْنَا وَطُفْنَا»⁽³⁾. وَقَالَ - أَيْضًا - كَانَ إِسْلَامُ عُمَرَ فَتَحًا، وَكَانَتْ هِجْرَتُهُ نَصْرًا، وَكَانَتْ إِمَارَتُهُ رَحْمَةً»⁽⁴⁾. وَقَالَ - أَيْضًا - إِذَا ذُكِرَ الصَّالِحُونَ فَحَيَّهَا بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ»⁽⁵⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ، الْحَدِيثُ عَنْ عُمَرَ ذُو شُجُونٍ أَمَّا كَيْفَ كَانَ وَاقِعُ إِسْلَامِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُحَدِّثُنَا ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ كَمَا فِي «مَوَارِدِ الظَّمَانِ» بِسَنَدٍ حَسَنِ، حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «التَّعْلِيلَاتِ الْحَسَانِ» قَالَ: «لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ~~عَنْهُ~~ لَمْ تَعْلَمْ قُرَيْشٌ بِإِسْلَامِهِ فَقَالَ: أَيُّ أَهْلِ مَكَّةَ أَفْشَى لِلْحَدِيثِ؟ قَالُوا: جَيْلُ بْنُ مُعَمَّرِ الْجُمَحِيِّ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَأَنَا (مَعَهُ) أَتَّبِعُ أَثَرَهُ، أَعْقِلُ مَا أَرَى وَأَسْمَعُ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا جَيْلُ! إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ كَلِمَةً، حَتَّى قَامَ عَامِدًا إِلَى الْمَسْجِدِ فَنَادَى أُنْدِيَةَ قُرَيْشٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! إِنَّ ابْنَ الْخَطَّابِ قَدْ صَبَأَ، فَقَالَ عُمَرُ: كَذِبٌ، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ، وَأَمَنْتُ بِاللَّهِ،

(1) «صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ»: أَخْرَجَهُ ابْنُ جِبَّانٍ فِي «مَوَارِدِ الظَّمَانِ» وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (3225): «صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ».

(2) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (3684).

(3) «حَسَنٌ»: أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ» (1/344).

(4) الشَّيْخَانُ بِرَوَايَةِ الْبَلَاذِرِيِّ (141).

(5) «مَوْقُوفٌ صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ» (1/340).

وَصَدَقْتُ رَسُولَهُ، فَنَازَرُوهُ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى رَكَدَتِ الشَّمْسُ عَلَى رُؤُسِهِمْ (أَبِي
اسْتَوَتْ)، حَتَّى فُتِرَ عُمَرُ وَجَلَسَ، (فَقَامُوا عَلَى رَأْسِهِ)، فَقَالَ (عُمَرُ): افْعَلُوا مَا بَدَأَ
لَكُمْ، فَوَاللَّهِ لَوْ كُنَّا ثَلَاثَ مِئَةِ رَجُلٍ؛ لَقَدْ تَرَكْتُمُوهَا (لَنَا) أَوْ تَرَكْنَاهَا لَكُمْ.

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ قِيَامٌ (عَلَيْهِ)؛ إِذَا جَاءَ رَجُلٌ عَلَيْهِ حُلَّةٌ حَرِيرٍ، وَفَمِصْرٌ مُوشِي
فَقَالَ: مَا لَكُمْ؟ قَالُوا: إِنَّ ابْنَ الْخَطَّابِ قَدْ صَبَأَ. قَالَ: فَمَهْ؟ أَمَرُوا اخْتَارَ دِينًا لِنَفْسِهِ،
أَقْتَضُونَ أَنْ بَنِي عَدِي تُسَلِّمُوا إِلَيْكُمْ صَاحِبَهُمْ؟ قَالَ: فَكَأْتُمَا كَانُوا ثَوْبًا انْكَشَفَ عَنْهُ،
فَقُلْتُ لَهُ بَعْدُ بِالْمَدِينَةِ: يَا أَبَتِ! مَنْ الرَّجُلُ الَّذِي رَدَّ عَنْكَ الْقَوْمَ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: يَا بَنِي!
ذَلِكَ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ⁽¹⁾.

أَيُّهَا النَّاسُ، دُونَكُمْ فَضَائِلُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَهِيَ جَمَّةٌ غَزِيرَةٌ.
فَمِنْ فَضَائِلِهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ مُحَدِّثٌ مُلْهِمٌ صَادِقُ الظَّنِّ.

فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه:
«لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ نَاسٌ مُحَدِّثُونَ، فَإِنْ بَكَ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ».
وَمِنْ فَضْلِهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِهِ وَقَلْبِهِ.

فِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»⁽³⁾
مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ
عُمَرَ وَقَلْبِهِ. وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: مَا نَزَلَ بِالنَّاسِ أَمْرٌ - قَطُّ - فَقَالُوا فِيهِ، وَقَالَ عُمَرُ - أَوْ قَالَ
ابْنُ الْخَطَّابِ فِيهِ - شَكَّ خَارِجَةٌ - إِلَّا نَزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ عَلَى نَحْوِ مَا قَالَ عُمَرُ».

(1) «حسن»: «موارد الظمان» (2181)، وحثه الألباني في «التعليقات الحسان» (6840).

(2) رواه البخاري (3689).

(3) «صحيح»: أخرجه الترمذي (3947)، وضححه الألباني في «صحيح الترمذي» (2908).

وَمِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ - أَيُّهَا النَّاسُ - مُوَافَقَاتُهُ ﷺ لِرَبِّهِ - سُخْنَتُهُ، وَتَمَلُّنَ - أَيَّ أَنْ النَّاسَ إِذَا قَالُوا فِي أَمْرٍ وَقَالَ فِيهِ عُمَرُ إِلَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى نَحْوِ مَا قَالَ عُمَرُ.

فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ عُمَرُ: «وَأَلْفَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّ فَتَزَلْتُ: ﴿وَاللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّ﴾ وَأَيَّةِ الْحِجَابِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَتَّحِجْنَ فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ فَتَزَلْتُ أَيَّةَ الْحِجَابِ، وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغِيَرَةِ عَلَيْهِ فَقُلْتُ هُنَّ: عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ فَتَزَلْتُ هَذِهِ الْآيَةَ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَمَّا تَوَقَّى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَاهُ قَمِيصَهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يُكْفِنَهُ فِيهِ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي عَلَيْهِ فَأَخَذَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِثَوْبِهِ فَقَالَ: تُصَلِّي عَلَيْهِ وَهُوَ مُنَافِقٌ، وَقَدْ تَهَكَ اللَّهُ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ؟ قَالَ: إِنَّمَا خَيْرِي - أَوْ أَخْبَرَنِي اللَّهُ - فَقَالَ: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ فَقَالَ: سَأَرِيدُهُ عَلَى سَبْعِينَ. قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَلَّيْنَا مَعَهُ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ: ﴿وَلَا تَقْصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُوتٌ﴾».

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ عُمَرُ: «وَأَلْفَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ فِي مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، وَفِي الْحِجَابِ، وَفِي أَسَارَى بَدْرٍ».

وَمِنْ فَضَائِلِهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّهُ مَا سَلَكَ طَرِيقًا إِلَّا سَلَكَ الشَّيْطَانُ طَرِيقًا غَيْرَ طَرِيقِهِ.

(1) رواه البخاري (402).

(2) رواه البخاري (4672)، ومسلم (2400).

(3) رواه مسلم (2399).

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا (أي طريقا) - قط - إلا سلك فجا غير فجع».

ومن فضائل عمر رضي الله عنه - أيها الناس - أن شياطين الجن والإنس تفر منه.

ففي «سنن الترمذي» بسند صحيح، صححه الألباني في «المشكاة»⁽²⁾ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إني لأنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فروا من عمر».

وفي «سنن الترمذي» بسند صحيح، صححه الألباني في «صحيح الترمذي»⁽³⁾ من حديث بريدة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ في بعض مغازيه، فلما انصرف جاءت جارية سوداء فقالت: يا رسول الله إني كنت نذرت إن ردك الله سالما، أن أضرب بين يديك بالدف وأتغنى، فقال لها رسول الله ﷺ: «إن كنت نذرت فاضربي وإلا فلا». فجعلت تضرب، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل علي وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب. ثم دخل عمر فألقت الدف تحت استيها، ثم قعدت عليه، فقال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان ليخاف منك يا عمر، إني كنت جالسا وهي تضرب، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل علي وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب فلما دخلت أنت يا عمر القت الدف».

وأستغفر الله.

(1) رواه البخاري (3683)، ومسلم (2396).

(2) «صحيح»: أخرجه الترمذي (3956)، وصححه الألباني في «المشكاة» (6039).

(3) «صحيح»: أخرجه الترمذي (3955)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (2913).

الخطبة الثانية - عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد - أيها الناس - الحديث عن عمر وفضائله بحاجة إلى سفر من الأسفار فلا يزال الشريط طويلاً والسجل حافلاً.
فمن فضائله أنه عبقرى هذه الأمة.

ففي «الصحيحين»⁽¹⁾ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أريت في المنام أني أنزع بدلو بكرة على قلب فجاء أبو بكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين نزاعاً ضعيفاً والله يغفر له ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت (أي صارت) غرباً (أي دلوا عظيمة) فلم أر عبقرياً يفري قرية (أي لم أر عبقرياً ينزع نزع عمر) حتى روى الناس وضرّبوا بعطن».

ومن فضائله - أيها الناس - أن النبي صلى الله عليه وسلم بشره بالجنة.

ففي «الصحيحين»⁽²⁾ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حائط من حيطان المدينة فجاء رجل فاستفتح فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «افتح له وبشره بالجنة». ففتح له فإذا هو أبو بكر فبشرته بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «افتح له وبشره بالجنة».

(1) رواه البخاري (3682)، ومسلم (2393).

(2) رواه البخاري (3693)، ومسلم (2403).

فَفَتَحَتْ لَهُ فَإِذَا هُوَ عُمَرُ فَأَخْبَرْتُهُ بِهَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فَحَمَدَ اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ فَقَالَ لِي: «افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ». فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ فَأَخْبَرْتُهُ بِهَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فَحَمَدَ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ».

وَمِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رضي الله عنه - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنْ لَهُ قَضْرًا فِي الْجَنَّةِ مِنْ ذَهَبٍ.

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَيَّ جَانِبِ قَضْرٍ فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَضْرُ؟ قَالُوا: لِعُمَرَ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا». فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ: أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

وَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَعَا بِلَالًا فَقَالَ: «يَا بِلَالُ بِمَ سَبَقْتَنِي إِلَى الْجَنَّةِ؟ مَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ قَطُّ إِلَّا سَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أَمَامِي، فَآتَيْتُ عَلَى قَضْرٍ مُرَبَّعٍ مُشْرِفٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَضْرُ؟ قَالُوا: لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقُلْتُ: أَنَا قُرَيْشِي! لِمَنْ هَذَا الْقَضْرُ؟ قَالُوا: لِرَجُلٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَقُلْتُ: أَنَا مُحَمَّدًا! لِمَنْ هَذَا الْقَضْرُ؟ قَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ».

أَيُّهَا النَّاسُ، أَمَا عَلِمَ عُمَرُ فَيُخْبِرُنَا النَّبِيُّ ﷺ كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽³⁾ مِنْ حَدِيثِ حَمْزَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ شَرِبْتُ - يَعْنِي اللَّبْنَ - حَتَّى أَنْظَرْتُ إِلَى الرَّيِّ يَخْرُجُ مِنْ ظَفْرِي - أَوْ فِي أَظْفَرِي - ثُمَّ نَاوَلْتُ عُمَرَ».

(1) رواه البخاري (3680)، ومسلم (2395).

(2) «صحيح»: أخرجه الترمذي (3954)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الترمذي» (2912).

(3) رواه البخاري (3681)، ومسلم (2391).

قَالُوا: فَمَا أَوْلَتْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «الْعِلْمَ».

أَمَّا دِينَ عُمَرَ - أَيُّهَا النَّاسُ - فَيُخْبِرُنَا النَّبِيُّ ﷺ - أَيْضًا - كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽¹⁾ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ عُرِضُوا عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمْصٌ فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدْيَ وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ اجْتَرَّهُ».

قَالُوا: فَمَا أَوْلَتْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «الدِّينَ».

تِلْكَ - أَيُّهَا النَّاسُ - بَعْضُ فَضَائِلِ عُمَرَ فَهَلْ يَسُوغُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَأْتِيَ أَنَاؤُ بَعْدَهُ وَإِلَى يَوْمِنَا هَذَا وَهُمْ يَطْعَنُونَ فِي هَذَا الْجَبَلِ الشَّامِخِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي زَكَّى عُمَرَ هُوَ رَسُولُهُ ﷺ فَالطَّعْنُ فِيهِ طَعْنٌ فِي تَرْكِيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالطَّعْنُ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَعْنٌ فِي الدِّينِ، وَأَشَدُّ النَّاسِ طَعْنًا فِي هَذَا الْجَبَلِ مَنْ يَزْعُمُونَ التَّشْيِيعَ لِأَلِ النَّبِيِّ وَلِعَلِّيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَهَلْ بَلَّغَهُمْ تَرْكِيَةُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْجَمِيعِ - .

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «إِنِّي لَوَاقِفٌ فِي قَوْمٍ فَدَعَا اللَّهُ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - وَقَدْ وُضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ - إِذَا رَجُلٌ مِنْ خَلْفِي قَدْ وَضَعَ مِرْفَقَهُ عَلَى مَنْكَبِي يَقُولُ: رَحِمَكَ اللَّهُ إِنْ كُنْتُ لِأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ لِأَنِّي كُنْتُ كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: كُنْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَفَعَلْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَأَنْطَلَقْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَإِنْ كُنْتُ لِأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَهُمَا، فَالْتَفْتُ فَإِذَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ».

(1) أخرجه البخاري (3691)، ومسلم (2390).

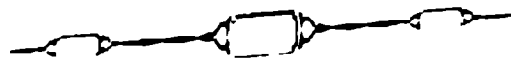
(2) رواه البخاري (3677)، ومسلم (2389).

أَيُّهَا النَّاسُ، تِلْكَ تَرْكِيَةٌ عَلَيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَالطَّنُّ فِي تَرْكِيَّةِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ طَعْنٌ فِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ نَفْسَهُ وَهَكَذَا جَرَّهْمُ طَعْنُهُمْ فِي الْفَارُوقِ إِلَى الطَّنِّ فِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَإِلَى الطَّنِّ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَنَّهُ - أَيْضًا - عَدَلُ عُمَرَ وَشَهِدَ لَهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، قَبْلَ أَنْ أُودَّعَ مَقَامِي هَذَا أَذْكَرُكُمْ بِقَوْلِ ابْنِ سِيرِينَ كَمَا فِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، «صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ»⁽¹⁾ قَالَ رحمته: «مَا أَظُنُّ أَنَّ رَجُلًا يَتَّقِصُّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ».

أَيُّهَا النَّاسُ - اَعْلَمُوا أَنَّهُ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ مِنَ الْفَضَائِلِ الْغَزِيرَةِ مَا لَا يَتَّسِعُ الْمَقَامُ لِذِكْرِهَا وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا هَذِهِ الْفَضِيلَةُ الَّتِي رَوَاهَا التِّرْمِذِيُّ فِي «سُنَنِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ، حَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»⁽²⁾ مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رحمته قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كَانَ نَبِيٌّ بَعْدِي، لَكَانَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ». لَكَفَاهُ بِذَلِكَ فَخْرًا فَكَيْفَ وَفَضَائِلُهُ جَمَّةٌ غَزِيرَةٌ.

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.
رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.



(1) «صَحِيحٌ»: أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3950)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ» (204/3).
(2) «حَسَنٌ»: أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (3951)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (397).

الفرس

الصفحة

الموضوع

5 - - - - - المقدمة

التوحيد

7 - - - - - (1) - الشُّرْكُ الْأَكْبَرُ وَخَطَرُهُ.

16 - - - - - (2) - التَّهَانِمُ وَالرُّقَى.

25 - - - - - (3) - ضَعْفُ الْإِيمَانِ وَعِلَاجُهُ.

الأحكام

35 - - - - - (4) - ذِكْرُ شَيْءٍ مِنَ الْكَبَائِرِ.

46 - - - - - (5) - مِنْ أَحْكَامِ الْيَمِينِ.

54 - - - - - (6) - الاسْتِخَارَةُ وَفَوَائِدُهَا.

الأدب

61 - - - - - (7) - أُسُسُ اخْتِيَارِ الزَّوْجَةِ.

71 - - - - - (8) - صَلَاحُ الْأَوْلَادِ وَالنَّهْيُ عَنِ الدُّعَاءِ عَلَيْهِمْ.

80 - - - - - (9) - تَعْلِيمُ الْأَطْفَالِ التَّوْحِيدَ ثُمَّ الْقُرْآنَ وَأَمْرُهُمْ بِالصَّلَاةِ.

90 - - - - - (10) - وَصِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

الصفحة	الموضوع
100	(11) - النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِهِ.
110	(12) - وَفَاةُ النَّبِيِّ ﷺ.

الرَّقَائِقُ

118	(13) - التَّقْوَى وَصِفَةُ الْمُتَّقِينَ.
127	(14) - صِفَةُ الْمُؤْمِنِينَ وَثَمَرَاتُ الْإِيمَانِ.
136	(15) - مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ.
148	(16) - وَصْفُ الْحُورِ الْعِينِ.
156	(17) - ذِكْرُ اللَّهِ عِبَادَةَ الْكَائِنَاتِ.
166	(18) - الْاسْتِغْفَارُ وَفَوَائِدُهُ.
174	(19) - الْبُكَاءُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَالسَّبِيلُ إِلَيْهِ.
183	(20) - الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ.
192	(21) - وَسْوَسةُ الشَّيَاطِينِ وَالتَّحْصِينَاتُ الْإِيمَانِيَّةُ.
202	(22) - شُكْرُ النِّعَمِ وَأَهْمِيَّتُهُ.
211	(23) - حُسْنُ الْخَاتِمَةِ وَسُوءُ الْخَاتِمَةِ.

الأخلاق

220	(24) - محاسنُ العفوِّ وإصلاحُ ذاتِ البينِ.
-----	--

الصفحة	الموضوع
229	(25) - فضيلة الصدق والتحذير من الكذب.
238	(26) - التواضع وصور من حياته ﷺ.
247	(27) - الحسد وعلاجه.
256	(28) - التحذير من البخل وصور من جود النبي ﷺ.
قصص وعبر	
267	(29) - قصة موسى والخضر.
275	(30) - قصة يونس.
284	(31) - الغلام المؤمن.
292	(32) - أبو بكر الصديق.
302	(33) - عمر بن الخطاب.
311	- الفهرس.



من أحدث إصدارات دار الإيمان

أسماء حافظ القرآن

تأليف

أبي عبد الله فضيل بن عميرة قائد الرياض السري

عفا الله عنه

دار الإيمان
إشعارات ٥١٥٧٦٦٩

دار القبة
إشعارات ٥١٥٧٦٦٩

من أحدث اصدارات دار الإيمان

فوائد

مِلْكِ السَّالِكِينَ

بَيْنَ مَنَازِلَ

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

للإمام العلامة ابن القيم الجوزية

تأليف

أبي عبد الله فيصل بن عميرة قائل أبي اسري

عفا الله عنه

دار الإيمان
رشته: ٥١٥٧٧٦٩

دار القيمة
رشته: ٥١٥٧٧٦٩

من أحدث إصدارات دار الإيمان

الملكوت

تأليف

أبي عبد الله فضيل بن عبيد قاتر الطائري

عنا الله عنه

دار الإيمان
إشعارات ٧١٦٩

دار القبة
إشعارات ٧١٦٩

من أحدث إصدارات دار الإيمان

صِنَاءُ عَمْرِو لِحِفْظِ

قواعد سهلة ووسائل مبتكرة لحفظ

القرآن الكريم

تأليف

أبي عبد الله فضيل بن عميرة قاتر الحاسري

عفا الله عنه

دار الإيمان
شركة تأسست عام ١٤١٦ هـ

دار القبة
شركة تأسست عام ١٤١٦ هـ

من أحدث مطبوعات دار الإيمان

جَفَافُ الْمَسَاعِرِ

تَأَلَّفَ

أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فَيضَلْ بِنِ عَمْرَةَ قَائِدُ الْوَحَائِدِ

عَمَّا اللَّهُ عَنْهُ

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ